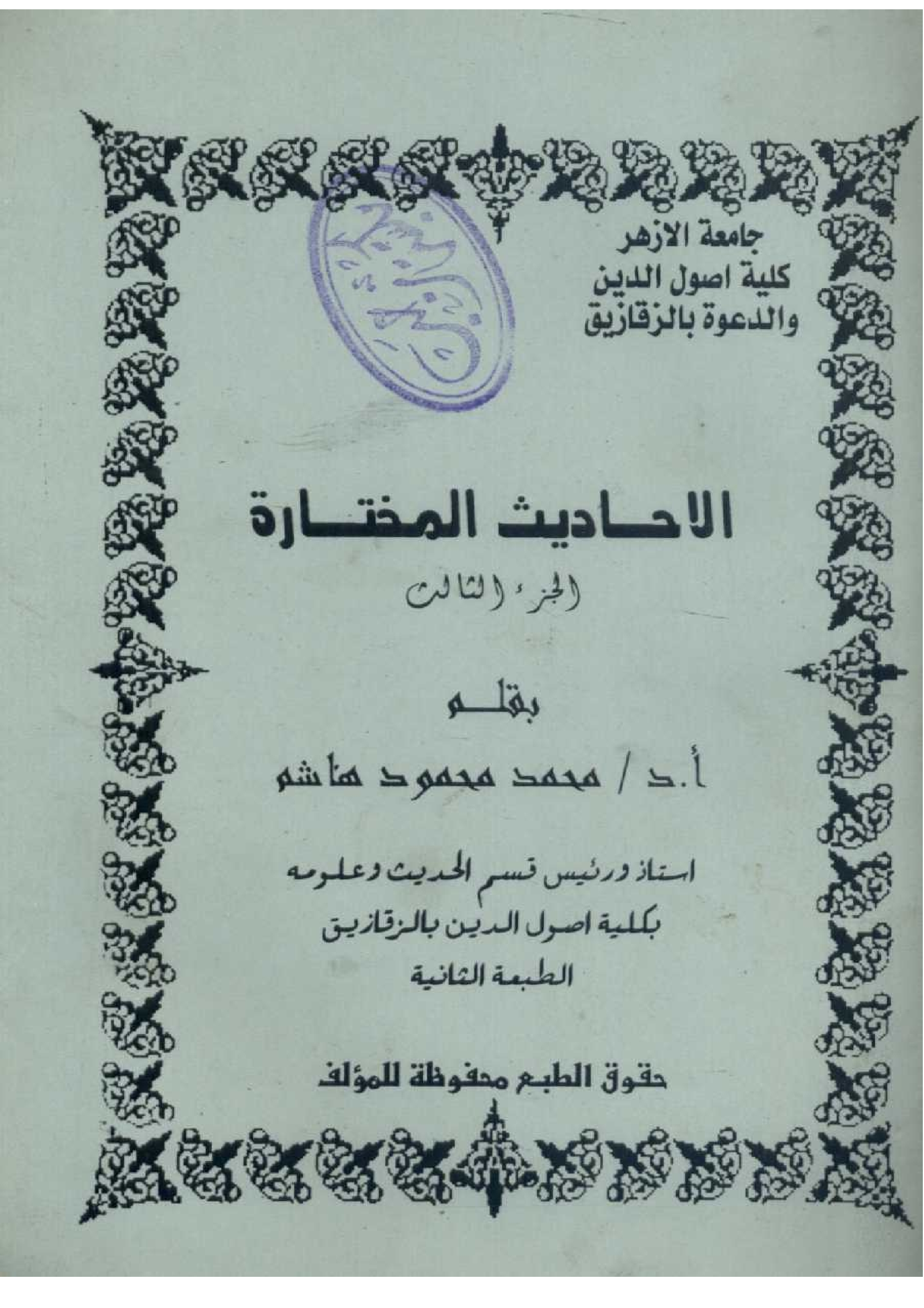


جامعة الازهر
كلية اصول الدين
والدعوة بالزقازيق

الاحاديث المختارة

الجزء الثالث

بقلم

أ.د / محمد محمود هاشم

استاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه
بكلية اصول الدين بالزقازيق

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي و علي آله و صحبه أجمعين.

وبعد :

فأقدم لطلاب العلم و المعرفة هذه الباقة من الأحاديث النبوية الشريفة، و التي تتعلق بعدة موضوعات هامة و هي:(الإيمان والصلاة، والزكاة ، و الصيام، و الحج ، و الجهاد ،و السير ، و النكاح)

و قد أوردت في كل موضوع من هذه الموضوعات مجموعه من الأحاديث قمت بشرحها شرحا تفصيليا وبينت الأحكام الفقهية المتعلقة بهذه الأحاديث ،وذكرت ما يستفاد من الأحاديث ليسهل للطالب الاستفادة من هذه الأحاديث .

والله أسأل: أن ينفع كل من يطلع عليها بالتوفيق والسداد . انه سميع قريب مجيب .

المؤلف .

أ.د/ محمد محمود هاشم .

كتاب الإيمان

باب الإيمان ما هو وبيان خصاله

الحديث

أولاً رواية الإمام البخارى :-

حدثنا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا اسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أخْبَرَنَا أبُو حَيَّان التَّيمِيُّ عَنْ أبِى زُرْعَةَ عَنْ أبِي هُرَيْرة قَالَ (كَانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ فَأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ ما الإيمَانُ قَالَ الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلائكته وَبلِقَائِهِ وَرُسُلِه وَتؤمِنَ بالبعث قَالَ ما الإسْلامُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ وتُقِيمُ الصلاةَ وتؤدِّىَ الزكاةَ المَفْرُوضَةَ وتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ ما الإحسَانُ قالَ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنكَ تَراهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ قالَ مَتَى السَّاعَةُ قالَ ما المَسْؤُلُ عَنها بأعْلَمَ مِنَ السَّائل وسأخْبِرُكَ عَنْ أشْرَاطِهَا إذا وَلَدَتِ الأمَه رَبَّهَا وإذا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإبلِ البُهْمُ فى البُنيانِ فى خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا اللهُ ثُمَّ تَلا النبى صلى الله عليه وسلم إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ من الآية ثم أدْبَرَ فَقَالَ رُدُّوه فَلَمْ يَرَوا شَيئاً فَقَالَ هذا جِبْرِيلُ جاءَ يُعَلِّمُ النَّاس دِينَهم[1]) .

ثانياً رواية الإمام مسلم :-

حدثنا أبُو بكْرِ بْنُ شَيْبَةَ وزُهَيْر بْنُ حَرْبٍ جَمِيعاً عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا اسْمَاعِيلُ بْنُ إبْرَاهِيمَ عَنْ أبى حَيَّان عَنْ أبِى زُرْعَةَ بْنِ عَمْرو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أبِي هُرَيْرة قَالَ (كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْماً بارِزاً لِلنَّاسِ فأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يا رَسُولَ الله ما الإيمَانُ قَالَ أنْ تُؤمِنَ بالله وَمَلائكته وكتابه ولِقَائِهِ ورُسُلِه وتؤمِنَ بالبعث الآخِرِ قالَ يا رَسُولَ الله ما الإسْلامُ قَالَ الإسْلام أنْ تَعْبُدَ اللهَ ولا تُشْرِكَ به شَيْئاً وتُقِيمُ الصلاةَ المَكْتُوبَةَ وتؤدِّىَ الزكاةَ

(١) أخرجه البخارى فى ٢ - كتاب الإيمان : ٧٣ باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان

المَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ يَا رَسُول الله مَا الإِحسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَالله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ يَارَسُول الله مَتَى السَّاعَة قَالَ مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائل ولكن ساحدثك عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذا وَلَدَت الأمه رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذا كَانَتَ العُرَاةُ الحُفَاةُ رؤسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ البَهْمِ فى البُنْيَان فذاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فى خَمْسٍ لا تَعْلَمُهُنَّ إلا اللهُ ثُمَّ تَلا صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مافِى الأَرْحَامِ وَمَاتَدرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكسِبُ غَداً ومَاتَدرِي نَفْسٌ بِأَيِ أَرضٍ تَمُوتُ إن اللهُ عَلِيمٌ خَبِيـــرٌ قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رُدُوا عَلَيَّ الرجُلَ فَأَخَذُوا لِيَرُدوهُ فَلَمْ يَروا شَيئاً فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم هذا جِبْرِيلُ جاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاس دِينَهم[٢]) .

الراوى الأعلى للحديث وهو أبو هريرة وقد سبق التعرف به فى حديث رقم ٤ .

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم ١ – كتاب الإيمان : ١ باب الإيمان ما هو وبيان خصاله .

المفردات

(بـارزاً) أى ظاهراً وغير محتجب والبروز هو الظهور وقال ابن سيدة برز يبرز بروزاً خرج إلى البراز وهو الفضاء وبرزه إليه وأبرزه وكلما ظهر بعد خفاء فقد برز قال تعالى (وترى الأرض بارزة) قال الهروى أي ظاهرة ليس فيها مستظل ولا متضى.

(ملائكتـه) جمع ملك وأصله ملاك مفعل من الألوكة بمعنى الرسالة وزيدت التاء فيه لتاكيد معنى الجمع أو لتانيث الجمع وهم أجسام علوية نورانية مشكلة بما شاءت من الأشكال .

(رسلـه) جمع رسول والرسول هو من أوحى اليه بشرع أو أمر بتبليغه وهو أعم من النبى لأن النبى هو من أوحى اليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا وعلى هذا فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً .

(البعـث) هو بعث الموتى وإحيائهم مرة أخرى من القبور للحساب يوم القيامة . ويقال المراد منه بعثة الأنبياء عليهم السلام .

(الإحسـان) مصدر أحسن من حسن من الحسن وهو ضد القبح ومعناه الشرعى الإخلاص والمراقبة فى العبادة كما وضحه رسول الله صلى الله علي وسلم بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه) .

(السـاعة) هى مقدار زمن أكثر من غير معين وعند أهل الشرع عبارة عن يوم القيامة.

(أشراطها) بفتح الهمزة جمع شرط بالتحريك يعنى علامتها ومثل مقدماتها وقيل صغار أمورها وفى المحكم والجامع أوائلها وفى القريبين عن الأصمعى ومنه الاشتراط الذى يشترط بعض الناس على بعض إنما هى علامة يجعلونها بينهم والمراد أشراطها السابقة لا أشراطها المقارنة لها كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ونحوها .

(ربـها) الرب هو المالك والسيد والمصلح وفى العباد رب كل شىء مالكه والرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال فى غيره إلا بالإضافة فنقول رب البيت أو رب الأسرة وهكذا .

(رعـاة) بضم الراء جمع راع كالقضاة جمع قاض وكذا الرعاه بكسر الراء جمع راع كالجياع جمع جائع والراعى هو الذى يرعى بالابل والغنم فى البادية أى الصحراء .

(البُهْـم) بضم الباء الموحدة جمع الأبهم وهو الذى لا شية له قال الكرمانى وقال القاضى جمع بهيم وهو الأسود الذى لا يخالطه لون غيره وهو شر الأبل والبهم بفتح الباء جمع بهيمة وهى صغار الضأن والماعز قال النووى هذا قول الجمهور لأن فى رواية مسلم جاءت بحزف لفظه إبل والمعنى فى الكل أن أهل الفقر والحاجة تصير لهم الدنيا حتى يتباهون فى البنيان.

(أدبـر) من الأدبار وهو التولى والانصراف [1] .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف الذى معنا له أهمية كبرى إذ أنه اشتمل على مسائل مهمة وأشياء مفيدة لكل مسلم يريد أن يعرف حقيقة دينه والدرجة التى هو عليها ويعرف ما هى الأشياء التى يسأل فيها والأشياء التي لا يسأل عنها وكيفية السؤال وسبب هذا الحديث أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكثرون من سؤال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نهوا عن ذلك فتحاشوا أن يسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعندما امتنعوا عن سؤاله صلى الله عليه وسلم نزل أمين الوحى جبريل عليه السلام ليسأل نيابة عنهم ويعلمهم كيفية السؤال والهيئة التى يكون عليها السائل فيروى لنا راوى الحديث سيدنا أبو هريرة وقد روى هذا الحديث أيضاً سيدنا عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة فيروون أنهم فى ذات يوم وهم جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً للناس جميعاً غير متخف عنهم ولا يبعد منهم فاتاه رجل لا يعرفونه وهذا الرجل كان شديد بياض الوجه شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ولا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد فتعجب الصحابة من هذا الرجل كيف لا يعرفه منا أحد فمعنى ذلك أنه غريب وكيف يكون غريباً ولا يرى عليه أثر السفر كما هو معلوم أن السفر قديما يكون فى الصحراء وعلى وسائل السفر فى ذلك الوقت فهى إما الجمل وإما الفرس وإما الترجل والآتى على أى وسيلة من هذه الوسائل لابد أن يظهر عليه أثر السفر وغبار الطريق أما هذا الرجل الذى جاء ليسأل كما وصفته بذلك بعد روايات الحديث فكان ما يرى عليه أثر للسفر وجلس هذا الرجل أمام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على فخديه كهيئة المتعلم أمام المعلم وبدأ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان وكما هو معلوم أن الإيمان تصديق بالقلب وعمل بالجوارح فهو أعلى درجة من الإسلام فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإيمان فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث) أى أن من يصل إلى درجة الإيمان أو من يريد أن يكون من المؤمنين فلابد وأن يؤمن بالله رباً خالقاً ورازقاً ومعطياً ومانعاً وهو المتصرف فى هذا الكون فى كل شئ ولا يقع شيء على غير إرادته سبحانه وتعالى ويوقن هذا فى قلبه ويصدق أيضاً بأن لله تعالى

خلقاً آخرين خلقهم من النور وجبلوا على الطاعة هم الملائكة المقربون يد...
ليل نهار لا يعصونه أبداً منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم من
الملائكة مما عرفنا منهم وما لم نعرف فعليه أن يصدق ويوقن بأن هؤلاء الملائكة هم
عباد الله المقربين المكلفين من قبل الله لتنفيذ ما أراد الله.

وعلى المؤمن أيضاً أن يؤمن وأن يصدق بأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى
الذي أنزله على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذي جعل فيه هداية
البشر جميعاً إلى أن تقوم الساعة فلا كتاب غيره ولا رسول بعد رسولنا صلى الله
عليه وسلم وعلى المؤمن أيضاً أن يؤمن ويوقن ويقر بأنه سيلقى الله تعالى في الآخرة
عند الحساب فمن كان عمله حسناً فسيكون له رؤيا الله تعالى وهي غاية ما يتمنا
الإنسان وعليه أيضاً أن يؤمن ويقر برسل الله تعالى الذين جاء ذكرهم في القرآن
الكريم والذين لم يأت ذكرهم فاعلمنا وما لم نعلم فيؤمنوا أن هؤلاء الناس اصطفاهم
الله وأوحى إليهم وأرسلهم مبشرين منذرين الى عباده .

وبعد ذلك على المؤمن أيضاً أن يؤمن بيوم البعث وأن جميع الأموات سيعيد الله
إليهم حياتهم مرة أخرى يوم القيامة ليبعثهم ليحاسبوا على ما قدموا في الدنيا وكل
سيجزى بحسب عمله ومن خلال شروط الإيمان التي وضحها لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم نجد أن من آمن فعلاً وعلم أن له رباً رازقاً وأن له نهاية أكيدة وأن له
يوماً سيبعث فيه ويلقى الله لا يمكن لهذا الشخص أن يعصى الله أبداً أو أن ينهه أي
شيء عن ذكر الله .

ثم بعد ذلك يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الإسلام أقل درجة
من الإيمان ولكن السائل قدم الإيمان عن الإسلام فقال له الرسول صلى الله عليه
وسلم (أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأن تقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة
المفروضة وتصوم رمضان .

فمن خلال إجابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده وضح للرجل
أركان الإسلام وأولها شهاده أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا إذا نطق بالشهادتين ولا تكفي إحداهما
على الأخرى فهما مرتبطان بعضها ببعض لا ينفكان أبداً فإذا دخل الإنسان
الإسلام وجب عليه أن يقيم ثاني ركن من أركان الإسلام وهو الصلاة المكتوبة و
بذلك أن يحافظ ويداوم على الصلاة المفروضة عليه والتي هي خمس صلوات

اليوم والليلة وذلك لأن الصلاة هى عماد الدين وهى الصلة بين العبد وربه ثم بعد
يأتى من النوافل بما شاء وبعد ذلك وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أ
الزكاة المفروضة وفى هذا إشارة إلى أنه يجب على كل مسلم أن يؤدى ويدفع
فرضه الله عليه ومن الزكاة أولاً ثم بعد ذلك يتطوع بما شاء من الصدقات .

والزكاة هى برهان على صدق إيمان المرء كما يقول الرسول صلى الله ع
وسلم (والصدق برهان) أى دليل على صدق إيمان صاحبها وذلك لما جبل عل
النفس البشرية من حب المال وبعد ذلك وضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن ا
فرض على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام والمسلم أن يصوم نافلة
غير رمضان كما شاء إلا فى الإيام التى نهى الإسلام صيامها كالعيدين وأي
التشريق الثلاثة ويوم الشك ونلاحظ من الرواية التى معنا أن الحج لم يذكر فى هذ
الرواية وهناك روايات أخرى قد ذكرت وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا فلعله ا
يذكر هنا إلا الحج ليس فرضاً على كل المسلمين بخلاف الشهادة والصلاة والصو
فإنها تجب على كل مسلم أما الحج فلا يجب إلا على المستطيع فلعل هذا السبب ف
عدم ذكره فى هذه الرواية .

ثم بعد ذلك يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن مقام أرقى من الإسلام ومن
الإيمان ألا وهو مقام الإحسان وهو مقام القرب والمشاهدة والمراقبة والصدق فى
السر والعلانية فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
تكن تراه فهو يراك) أى أن تعبد الله وأنت ترى الله فى كل شىء فإذا لم تستطع أن
تصل إلى هذه الدرجة فتعلم وتؤمن أن الله يراك على أية حال وفى أى مكان وزمان .

ثم بعد ذلك سأله عن الساعة والساعة هى مقدار من الوقت غير محدد وقد
يحددها البعض بستين دقيقة ولكن المقصود هنا بالساعة هو يوم القيامة لأن الساعة
اسم من أسماء يوم القيامة وله أسماء أخرى كالقارعة والطامة وغيرها فقال له
الرسول صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل وذلك لأن علم الساعة
عند الله ومن الأشياء التى احتفظ الله بعلمها فلم يطلع عليها نبى مرسل ولا ملك
مقرب ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له (ولكنى سأحدثك عن أشراطها) أى
علاماتها ومقدماتها ومعلوم أن للساعة علامات كبرى وعلامات صغرى فالعلامات
الكبرى كطلوع الشمس من المغرب وتكليم الدابة وظهور المسيح الدجال ونزول عيسى
ابن مريم عليه السلام وأما العلامات الصغرى الذى وضحها الرسول صلى الله عليه وسلم

في هذا الحديث وأولها أن تلد الأمة ربها أي مالكها وسيدها وذلك عندما توطئ الأمة فتلد ولداً حراً فيمتنع بيعها وتصير أم ولد وهذا الولد يكون في منزلة السيد لها أو أن هذه العبارة إشارة إلى حقوق الأولاد إلى أمهاتهم وأن الولد يتعامل مع والدته كأنه سيدها وصاحب الفضل عليها وثاني العلامات إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان وذلك يتضح بأن نجد عالة الناس ورعاعهم وفقرائهم الذين كانوا لا يملكون شيئاً ويعيشون على رعي الغنم والإبل في الصحراء يتطاولون في البنيان ويبنون الأبنية العالية الفارهة ويتفاخرون بطول البنيان وفخامته وينسون دينهم وينسون أن الذي يجب أن يتباهى به الإنسان هو التقوى والعمل الصالح ثم تلى عليه النبي قوله تعالى الذي يوضح أن هناك خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله وهي قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير[1]) .

فيوضح الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله اختص علمه بخمسة أشياء لم يطلع عليها أحد وهي يوم القيامة فلا يمكن أن يعرفه أحد وقد رأينا بعض الجهلة من يحدد يوم القيامة ثم تأتي الأيام وتكذبه وهكذا يخرج علينا كل يوم شخص بإشاعات جديدة ويقول إني أعرف ميعاد يوم القيامة ويظهر أنه كاذب وذلك لأنه أمر اختص الله بعلمه .

وثاني هذه الأمور هو نزول المطر ونزول الغيث لا يستطيع أحد أن ينزل الماء من السماء إلا الله وإذا كان في العلم الحديث قد توصل العلماء إلى تفجير السماء ونزول المطر وقالوا وزعموا أنهم ينزلون الغيث فهذا زعم باطل لأنهم لا يفعلون هذا الفعل إلا بعد أن تتجمع السحب وتنزل إلى السماء الدنيا أما قبل ذلك لا يستطيع أحد أن ينزل هذا السحاب لأنه لا ينزل إلا بقدرة الله تعالى .

والأمر الثالث هو علم الله لما هو في الأرحام وقد زعم بعض الجهلة أن الأجهزة الحديثة مثل السونار وأجهزة الأشعة الحديثة تكشف عن الجنين في بطن أمه وتحدده من الشهر الرابع إذا كان ذكراً أو أنثى وزعموا في ذلك أنهم دخلوا في علم الله فنقول لهم أنكم لم تفهموا الآية ولم تفهموا المراد منها ولم تفهموا اللغة العربية لأن الله تعالى عبر بلفظ ما وهي لغير العاقل فلو قال من في الأرحام ومن الذي [illegible] عن العاقل لكان المقصود في هذه الآية الذكر والأنثى ولكنه عبر

---

(١) آية ٣٤ سورة لقمان .

إشارة إلى أن المقصود من هذه الآية والذى اختص الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد
خلقه وإنما هى أشياء غير عاقلة مثل العمر والرزق وشقى أم سعيد وطويل أم قص
وأبيض أم أسود فكلها أشياء لا يستطيع أى إنسان معرفتها وتختص بعلم ا
وقدرته .

وبعد ذلك يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يعرف إنسان ما سيحد
له غداً وماذا ستكسب نفسه غداً لأن الغد لم يخلق بعد فلذلك اختص الله بعلمه ور
يحدث فيه وبعد ذلك أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يمكن لأى إنسان أ
يعرف ويحدد المكان الذى سيموت فيه ويفارق هذه الحياة الدنيا لأن كل هذه الأشي
الخمسة اختص الله تعالى بعلمها وبعد أن تلى النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآي
على الرجل فقام الرجل وانصرف من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وقال ر
على أى جئت ثانية أو أرجعوه مرة ثانية وذلك ليخبرهم بشأن هذا الرجل فخرجوا
يطلبوا هذا الرجل فلم يجدوه فتعجبوا فى أمره إذا كان دخوله عليهم بغير ما ألفوا
وعندما خرجوا من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بأن هذا السائل
هو جبريل عليه السلام جاء ليعلمهم أمور دينهم .

* * * * *

المسائل الفقهيه المتعلقة بالحديث

استنبط العلماء من هذا الحديث حكما فقهياً وهو أنه يستحب للداخل على قوم أن يعمم السلام عليهم ثم يخصص من يريده بعد ذلك .

ظاهر سياق الحديث يقتضى أن الإيمان لا يطلق إلا على من صدق بجميع ما ذكر وقد اكتفى الفقهاء باطلاق الايمان على من آمن بالله ورسوله ولا اختلاف لأن الإيمان برسول الله المراد به الإيمان بوجوده وبما جاء به عن ربه فيدخل جميع ما ذكر تحت ذلك والله أعلم .

ومن الأحكام الفقهية فى هذا الحديث أيضاً أنه أجمع العلماء على أن بيع الأمة وهى حاملة من سيدها حرام بالإجماع وبعد الولادة تصير أم ولد ويحرم بيع أم الولد أيضاً وقد أجاز البعض بيع أم الولد .

ومن المسائل الفقهية أيضاً مسألة المنجمين الذين يظنون أنهم يعرفون الغيب .

وقد نقل ابن عبد البر اجماع العلماء على تحريم اخذ الأجرة للتنجيم أو جعل أجره له على تنجيمه أو إعطائه أجر على تنجمه فالحرمة على الآخذ والمعطى والذى يجد أجره للتنجيم وهذا بإجماع العلماء (١) .

ما يستفاد من الحديث

(١) حرص المولى عز وجل ومحبته لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعندما هابوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل الله لهم جبريل ليسأل لهم ويعلمهم دينهم .

(٢) الإسلام دين النظافة والإيمان وحسن الهيئة فينبغى على من يدخل على قوم أن يكون نظيفاً حسن الهيئة متجملاً فى ثياب من غير غرور وتكبر وخاصة إذا كان داخلاً إلى المسجد ومجلس العلم .

(٣) التواضع فى طلب العلم وإظهار الأدب فى الهيئه التى يجب أن يكون عليها طالب العلم

(٤) الشجاعة والصبر وعدم التحرج من طلب العلم إذ لا ينال العلم جبان ولا عجول .

(٥) سعة صدر العالم وأنه ينبغى أن يقبل على تلاميذه بصدر رحب ولا يسأم من كثرة سؤالهم لكى لا ينفرهم من السؤال أو يمتنعوا حياءاً .

(٦) بيان معنى الاسلام والإيمان والإحسان وأنها مراتب بعضها أعلى من بعض .

---

(١) راجع فتح البارى ١ / ٩٤ وما بعدها .

(٧) أن المخلصين المراقبين لربهم فى درجة عالية ومنزلة عظيمة لا يصلها إلا من نعل فعلهم . . .

(٨) أن العالم إذا سئل عن سؤال ولم يكن يعرف الإجابة فلا يحرج من ذلك ولكن ينبغى عليه أن يقول لا أعرف وهذا لا ينقص من قدره بل يزيد منزلته عند الله سبحانه وتعالى .

(٩) أن علم يوم القيامة وموعده عند الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يطلع عليه أحدٌ من خلقه .

(١٠) أن ليوم القيامه علامات صغرى وعلامات كبرى وأن العلامات الصغرى قد وقعت بالفعل .

(١١) أن مفاتيح الغيب خمسة ولا يعلمها إلا الله وهى قيام الساعة ونزول الغيث وعلم ما فى الأرحام وما سيحدث فى الغد والمكان الذى يموت فيه الإنسان ومفارقة روحه جسده :

(١٢) أن الملائكة تتمثل بصورة الآدميين وتأتى فى صور أشخاص نعرفهم ولا نعرفهم وقد كان جبريل يأتى للرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة الصحابى دحية الكلبى وفى هذه المرة جاء فى صورة رجل لم يعرفه أحد .

- باب شعب الإيمان

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحمدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أبُو عَامِرٍ العَقَدِىُّ قَالَ حدَّثنَا سُلَيمانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلم قَالَ: " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً والْحياءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ " [١].

ثانياً : رواية الإمام مسلم

حَدَّثنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ والْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ " [٢].

الراوى الأعلى للحديث هو أبو هريرة وسبق التعريف به فى حديث رقم ٤

---

[١] أخرجه البخارى ٢: كتاب الإيمان ٣: باب أمور الإيمان.

[٢] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان : باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

معانى المفردات :

الايمان : أمن من باب فهم وسلم والايمان هو التصديق ، وشرعاً هو تصديق القلب واللسان وتمامه وكماله للطاعات ، والله تعالى هو المؤمن لأنه أمن عباده من أن يظلمهم [١]

بضع : بكسر الباء وبعض العرب بفتحها وهو ما بين الثلاث الى التسع تقول بضع سنين بضعة عشر رجلاً [٢]

شعبة : بضم الشين هى الواحدة والجمع (شعب) ويقال هى الاغصان والمقصود بها هنا الخصلة . والشعب هو ما تشعب من قبائل العرب والعجم والجمع (شعوب[٣])

حياء : هو تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ويذم ، وقيل هو انحسار النفس خوفاً من ارتكاب القبائح ، وقيل هو الانقباض والانزواء[٤]

إماطة : ماط وميطاً من باب تباعد، والإماطة هى التنحية لأنها ايعاد يقال (إماطة الأذى عن الطريق) أى إبعادة [٥]

الأذى : هو كل ما يؤذى الانسان من حجر وشوك وغيره .

---

(١) المصباح المنير مادة (أمن)
(٢) المصباح المنير مادة (بضع)
(٣) المصباح المنير مادة (شعب)
(٤) المصباح المنير مادة (حي)
(٥) المصباح المنير مادة (ماط)

المعنى العام للحديث

في هذا الحديث الشريف يبين لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن الايمان له خصال كثيرة ويشبه الايمان بشجرة كبيرة لها أغصان وهذه الأغصان هي الأعمال الصالحة التي يفعلها الانسان والتي تكون ثمرة من ثمار الإيمان فعندما يؤمن الانسان ويصدق بقلبه ولسانه وجوارحه بالله وبرسله وبكتبه المنزلة على رسله وبالملائكة وباليوم الأخر وبأنه سيقع لا محالة وبالقضاء والقدر وأن كل شئ في هذا الكون إنما يسير بإرادة الله وقدرته عندما يوقن الانسان هذا اليقين ويصدق بقلبه هذا التصديق تستقيم جوارحه عليه ويطابق فعله قوله وينكب على الطاعات والعبادات يؤديها ويشتهي المزيد منها عندما يصل الى هذه الحاله نطلق عليه لفظ الإيمان ونصفه بهذا الوصف الذي هو أعلى من الإسلام.

إن الإسلام قول فعندما يقر الإنسان بالشهادتين يصير مسلماً وعندما يكمل هذا القول بالعمل ويبدأ بأركان الاسلام وواجباته وسننه يصير مؤمناً وفي هذا الحديث يبين لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن للايمان خصالاً كثيرة وشعب متعددة هي بعدد أفعال الخير وبعدد الصفات الجميلة التي خلقها الله في الإنسان وعندما يعبر لنا الرسول بقوله بضع وستون شعبة وفي بعض الروايات بضع وسبعون ليس تحديد لخصال الايمان بهذا العدد وإنما المقصود هو التعبير عن الكثرة لأننا اذا عددنا أفعال الخير والصفات الطيبة التي أمر الله بها عباده لوجدناها تفوق هذا العدد فيتبين أن المقصود من هذا العدد انما هو الكناية عن كثرة خصال الإيمان.

فمن خصال الايمان حب النبى صلى الله عليه وسلم والحب فى الله والبغض فى الله وحب الصحابة والمهاجرين والأنصار وحب آل الرسول صلى الله عليه وسلم والإخلاص وترك الرياء والنفاق والتوبة والندم والخوف والرجاء وترك اليأس والقنوط والشكر والوفاء والرحمة والشفقة وتوقير الاكابر والتوكل والرضا بالقضاء وترك الحسد والحقد وترك مدح النفس وترك الغضب وترك الغش وايضاً من خصال الايمان قراءة القرآن والدعاء والذكر واجتناب اللغو .

وايضاً من خصال الايمان التطهر واقامه الصلاة والصوم والحج والعمرة والاعتكاف إطعام الطعام والصدق فى المعاملة وشهادة الحق وترك كتمانها والرفق بالخدم والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين وتجنب عقوقهما وصلة الرحم وطاعة أولى الامر ومتابعة الجماعة والمعاونة على البر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واكرام الجار وحسن معاملته وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق .

كل هذه الخصال على سبيل المثال لا الحصر فعلى الأنسان إذا أراد أن يكون من المؤمنين ان يقيس نفسه على هذه الخصال هل يفعلها ام لا إن كان يؤديها فليحمد الله وإن لم يكن يؤديها فعليه أن يجتهد فى أدائها وأن يروض نفسه على أدائها لكى يكون من المؤمنين.

ويبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن افضل خصال الايمان وأعلاها هى قول لا إله إلا الله لأن لا إله إلا الله هى أفضل كلمة يقولها الانسان كما جاء فى الحديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله الا الله لأن لا إله الا الله تعتبر حصناً للأنسان وحفظاً له من أن يقع فى المتاهات ويخاف من هذا وذاك فعندما يقول الانسان لا اله الا الله فإنما يعنى أن لا معز الا الله ولا نافع الا الله ولا رازق الا الله وهى كلمة تكون كالسيف فى وجه المشركين لأنها تنفى الألوهية عن كل ما سوى الله وتثبت الالوهية لله وحده .

لذلك استحقت هذه الكلمة أن تكون أفضل شعب الايمان وأعلاها وعندما بين لنا الرسول أفضل الشعب وأعلاها يبين لنا ايضاً اقل شعب الايمان وأقل خصال الايمان وهى إماطة الاذى عن الطريق اى ابعاد كل ما يؤذى الانسان والمار من حجر وشجر و مدر وغيره.

فعلى الأنسان عندما يجد شوكاً بالطريق أو أى شيئ كمسمار أو حديد ة أو زجاجة أو أى شئ يؤذى من يمر بهذا الطريق سواء كان ماشياً أو راكباً فعليه أن ينحى هذا الشئ ويبعده عن الطريق لئلا يؤذى هذا العابر سواء كان هذا الايذاء يلحق به او يلحق بمركوبه سواء كان دابة أو سيار ة،أو أى وسيلة انتقال.

وعندما بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الشعب وأقلها ذكر لنا شعبة مهمة من شعب الايمان وركز عليها لبيان أهميتها فقال صلى الله عليه وسلم والحياء شعبة من الايمان.

والحياء المقصود في هذا الحديث إنما هو الخلق الذى يجعل الانسان يستحى من فعل ما يعاب عليه ويمتنع عن فعل ما يذم به ويخاف من ارتكاب القبائح هذا هو الحياء المقصود من الحديث أما أن يستحى الانسان من قول الحق أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لسبب ما فهذا ليس من الحياء ولا من الاسلام وإنما يكون من قبيل الجبن[1] .

ما يستفاد من الحديث :

١- أن للإيمان خصالاً كثيرة لا تحصى وهى تشمل كل أفعال الخير وصفاته .

٢- أفضل كلمه يقولها الانسان هى لا اله الا الله .

٣- منع الأذى عن الناس خصلة من خصال الايمان .

٤- فضيلة الحياء وكونه من الايمان.

٥- أن من يستحى أن يواجه الحق ويترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ليس حياءاً ولكنه عجز وليس من الايمان.

---

[1] راجع عمدة القارى ١ / ١٢٣ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ٢ /٣ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥١/١

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه فإن الحياء من الإيمان "[١].

ثانياً : رواية الإمام مسلم

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وعمرو الناقد وزهير بن حرب قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سالم عن أبيه سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلاً يعظ أخاه فى الحياء فقال الحياء من الإيمان، حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن الزهرى بهذا الإسناد وقال مر برجل من الأنصار يعظ أخاه[٢].

الروى الأعلى للحديث هو عبد الله بن عمر وسبق التعريف به فى الحديث رقم ١٠.

---

[١] أخرجه البخارى فى ٢: كتاب الإيمان : ١٦ – باب الحياء من الإيمان

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

معاني المفردات :

مر : عليه ومر به أي اجتاز ومر مراراً اي ذهب واستمر مثله والمرة هي الواحدة (١).

يعظ : يعظه وعظاً أي يأمره بالطاعة ويوصيه بها قال تعالى :" قل إنما أعظكم بواحدة أي أوصيكم وآمركم وقيل الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب وقيل التذكير بالخير والمراد به هنا التخويف والانزار (٢).

أخاه : الجمع أخوة والانثى أخت تقول أخوتهم أي واحد منهم والاخ إما أخوة نسب فيكون على حقيقته وإما مجازاً فيقصد بها الأخ في الاسلام (٣).

دعه : بمعنى اتركه وهو فعل أمر لا ماضي له من لفظه والماضي منه (ترك) وقيل دعه دعاء أي دفعه دفعاً عنيفاً (٤).

---

(١) مختار الصحاح . مادة (مرر)

(٢) المصباح المنير . مادة (وعظ)

(٣) المصباح المنير . مادة (أخو)

(٤) المعجم الوجيز . مادة (دعه)

المعنى العام للحديث

الاسلام دين الاخلاق الحسنة والصفات الجميلة والمعانى السامية فهو دين يأمر بحسن الخلق ولين الجانب وأن يتسامح الانسان فى حقه لينال الثواب من ربه فالرسول صلى الله عليه وسلم يمر ذات يوم وهو فى طريقه فى المدينة المنورة إذ وجد رجلاً من الانصار وهم اهل المدينه الذين ناصروا الرسول صلى الله عليه وسلم ووجد هذا الرجل يزجر ويعنف أخاً له لتخلقه بخلق الحياء الذى قد يمنعه فى بعض الاحيان من أن يستفى حقوقه او من ان يحصل على مستحقاته لكثرة حياء هذا الرجل وشدته فلما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرجل وهو يعنف أخاه وكأنه يقول له لا تتخلق بخلق الحياء فإنه سيمنعك من المطالبة بحقوقك ويزجره ويعنفه تعنيفاً شديداً وينذره بأن هذا الخلق وهو الحياء ستكون عواقبه وخيمة عليه لأنه نظر الى هذا التصرف نظرة مادية صرفة قدم فيها الدنيا عن الأخرة ولم يعلم بأن من ترك حقاً له فى الدنيا سيجازى ويثاب عليه فى الأخرة عندئذ لم يسكت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يسمع هذا لأنه المعلم والقدوة فيقول للرجل المعنف أخاه دعه اى اتركه ولا تفعل به ذلك وليس لك به دخل لأنك لا تعلم جزاء من يستحى فى الأخرة عند ربه ولأن الحياء وإن كان يجعل الانسان يتنازل عن بعض حقوقه فهو أفضل من أن يكون الانسان شديداً فى تعامله سلط اللسان فاحشا فى قوله وإن كان يطلب حقاله فهذه الاخلاق ينهى عنها الاسلام ويبين الرسول الكريم لهذا الرجل أن الحياء جزء من الايمان ودليل على إيمان من يتخلق به.

ونلمح انه من اللطائف فى هذا الحديث أن الروايات ذكرت أن الرجل كان يعظ أخاه ولم تبين هل هذه الاخوه حقيقيه وهل هو أخ حقيقى تربطه به صلة ونسب أم هى أخوة فى الاسلام فهى على سبيل المجاز ومن هذا نلحظ أن المسلمين الأوائل كانوا يتعاملون جميعاً على أنهم اخوه وأن اخوتهم فى الاسلام والدين لا تقل عن اخوتهم فى النسب.

ما يستفاد من الحديث :

١- كرم الرسول صلى الله عليه وسلم وتفقده لأحوال الرعية ومخالطته لهم.

٢- أن الأخوة فى الإسلام لا تقل عن الأخوة فى النسب فالمسلمون كلهم إخوه يجب أن يكونوا متحابين. مترابطين.

٣- أن على الانسان أن يتقبل النصيحة إذا وقعت فى موضعها أما إذا كانت فى غير موضعها فعليه عدم قبولها.

٤- على المسلم أن يمتنع عن قبائح الأمور ورزائلها وعلى كل ما يستحى من فعله.

٥- الحياء جزء من الايمان وهو خلق يدل على اتصاف صاحبه بالايمان[1].

---

[1] راجع شرح الحديث فى عمدة القارى ١/ ١٧٥ وما بعدها ، ومسلم بشرح النووى ٢/٥ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/٧٤.

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا آدم حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى السوار العدوى قال سمعت عمران بن حصين قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتى إلا بخير فقال بشير بن كعب مكتوب فى الحكمة: إن من الحياء وقاراً وإن من الحياء سكينة فقال له عمران أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثنى عن صحيفتك".[1]

ثانياً: رواية الإمام مسلم

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا السوار يحدث أنه سمع عمران بن حصين يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: الحياء لا يأتى إلا بخير فقال بشير بن كعب أنه مكتوب فى الحكمة أن منه وقاراً ومنه سكينة فقال عمران أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثنى عن صحفك.[2]

---

[1] أخرجه البخارى فى ٧٨ : - كتاب الأدب ٧٧ : باب الحياء.

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

واليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث .

عمران بن حصين

نسبة :

هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حزيفة بن جهمة بن غاضرة بن حبشة بن كعب بن عمرو الخزاعي، ويكنى أبا نجير.

حياته :

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث وكان إسلامه يوم خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب رأيةخزاعة يوم الفتح وقال الطبرنى أسلم قديماً هو وأبوه وأخته وكان ينزل ببلاد قومه ثم تحول الى البصرة الى أن مات بها روى عنه ابنه نجير وأبو الأسود الدئلى وأبو رجاء العطاردى وربعى بن خراش ومطرف وأبو العلاء ابن عبد الله بن الشخير وزهدم الجرمى وصفوان بن محرز وآخرون وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن سعيد بن أبى هلال عن أبى الأسود الدئلى قال قدمت البصرة وبها عمران بن حصين وكان عمر بعثه ليفقه أهلها وقال خليفة استقضى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة فأقام أياماً ثم استعفاه وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن ابن سرين قال لم يكن تقدم على عمران أحد من الصحابة ممن نزل البصرة وقال أبو عمر من فضلاء الصحابه وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة أنه كان يحدث الحفظة وكانت تكلمه حتى أكتوى وأخرج الحديث أبن أبى أسامه من طريق هشام عن الحسن عن عمران أنه شق بطنه فلبس زماناً طويلاً فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال إنى أحب ذلك إلى

أحبه الى الله وقال أبن سرين أفضل من نزل البصرة من الصحابة عمران وأبو بكرة وكان الحسن يقول نحوه وكان قد أعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها وقال أبو نعيم كان مُجاب الدعوة ، وقال الدارمى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال عمران بن حصين أنى محدثك بحديث أنه كان يسلم على وأن ابن زياد أمرنى فكتويت محتبس عنه حتى ذهب أثره الكى فذكر الحديث فى سنة الحج.

وفاته:

مات سنة أثنين وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين[1].

---

[1] الأصابة فى تمييز الصحابة ٣/٢٧.

معانى المفردات :

الحكمة : هى العلم والتفقه ، قال تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " . وقيل هى الكلام الذى يقل لفظه ويجل معناه ، وقيل هى العلم الذى يبحث فيه عن أحوال حقائق الموجودات ، وقيل العلم المتقن الوافى [١].

وقار: بفتح الواو هو الحلم والرزانة ، وهو مصدر (وقر) بالضم وقيل هو العظمة [٢].

سكينة : هى المهابة والرزانة والوقار ، يقال سكن المتحرك سكوناً أى ذهبت حركته وقيل هى الدعة والسكون [٣].

صحيفتك : الصحيفة هى قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه ، يقال رجل صحفى أى يأخذ العلم منها لامن المشايخ ، والمقصود ما يجمع فيه الانسان ما يهمه ، والجمع (صحف [٤]).

---

[١] المعجم الوجيز مادة (حكم)

[٢] المصباح المنير مادة (وقر)

[٣] المصباح المنير مادة (سكن)

[٤] المصباح المنير مادة (صحف)

المعنى العام للحديث

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدارسون أحاديثه ويذكر بعضهم الأخر بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فيحدثنا سيدنا عمران بن حصين حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " الحياء لا يأتى الا بخير أى ان خلق الحياء لا يأتى منه الا خير وذلك لأنه من الايمان والايمان كله خير ومعنى هذا أن الإنسان الذى يستحي من الناس من أن يروه يرتكب معصية او أن يأتى بفعل قبيح فهذا الانسان يكون هذا الخلق الذى تخلقه من خوف أن يرتكب محرماً داعية له على أن يكون اشد حياءاً من الله سبحانه وتعالى أذ كيف يستحى من الناس ولا يستحى من رب الناس وكيف يستحى من الخلق ولا يستحى من الخالق فإذا كان يستحى من أن يراه الناس فى وضع معين أو فى تصرف غير لائق فهو يعلم أن رب الناس يراه فى كل الاوقات ، يراه فى الليل وفى النهار ، يراه فى الظهور وفى الخفاء ، يراه مهما احتجب عن الناس بحجب فهذا الانسان الذى يستحى من الخلق والخالق ويعلم ان الله مطلع عليه ومراقبه فقد وصل الى أعلى درجات الايمان وأعلى درجات الدين كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى من رواية قرة بن اياس " قيل يارسول الله الحياء من الدين ، قال بل هو الدين كله ".

وعندما ذكر سيدنا عمران بن حصين هذا الحديث ، قال له سيدنا بشير بن كعب العدوى البصرى التابعى الجليل مكتوب فى الحكمة أى فى كتب الحكماء الذين يبحثون عن أحوال حقائق الموجودات والذين يحاولون أن يصلوا الى العلم المتقن ، يقول بشير مكتوب إن من

الحياء وقاراً أى حلماً ورزانة ، وان من الحياء سكينة أى تركاً وسكوناً ، وعندما سمع سيدنا عمران هذا القول غضب من بشير بن كعب غضباً شديداً وقال له أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثنى عن صحيفتك أى لا يوجد هناك وجه للمقارنة ولا للمشابهة بين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الحكماء فكلام الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو وحى من عند الله وجب اتباعه مصداقاً لقول الله تعالى "وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى"[1].

فيبين سيدنا عمران ان هذا القول الذى قاله بشير بن كعب إنما هو خطأ لأنه قارن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الموحى اليه به من ربه بأقوال هى من اجتهاد العلماء والحكماء كان قد جمعها بشير فى صحيفة لاعجابه بهذه الأقوال وهذه الحكم.

* * * * * * *

---

[1] الأيه (٣،٤) من سورة النجم

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ولمن لم يسمعه.

٢- أن من يستحى من الناس فعليه أن يستحى من رب الناس أكثر من الناس .

٣- منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفع قدره وتعظيمه وتوقيره .

٤- عدم المقارنة بين كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الحكماء.

٥- الحياء كله خير ولا يأتى الا بخير فعلينا أن نتخلق به[1].

---

[1] راجع شرح الحديث : عمده القارى ٢٢ / ١٦٤ وما بعدها . ومسلم بشرح النووى ٢ / ١٠ ومابعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٥٢١.

باب تفاضل الإسلام وأى أموره أفضل

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا الليث عن يزيد عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير قال: "تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[١].

ثانياً: رواية الإمام مسلم

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث وحدثنا محمد بن رمح بن المهاجر أخبرنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير قال: "تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[٢].

---

[١] أخرجه البخارى فى : ٢-كتاب الإيمان ٦ باب إطعام الطعام من الإ...

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام.

واليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث:-

عبد الله بن عمرو بن العاص

نسبة:

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى الهمى يكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا عبد الرحمن وقيل أبا نصير وهى غريبه وأما ابن معين فقال كنيته أبو عبد الرحمن والأشهر أبو محمد

أمه ربطه بنت منبه بن الحجاج الهمتيه ولد لعمرو عبد الله وهو أبن اثنتى عشرة سنة.

حياته:

أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً حافظاً عالماً قرأ الكتاب وأستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يكون من كتاب حديثه فأذن له قال يارسول الله أكتب كل ما أسمع منك فى الرضا والغضب قال نعم فانى لا أقول الاحقا. قال أبو هريرة ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبد الله بن عمرو فانه كان يسعى بقلبه وأعى بقلبى وكان يكتب وأنا لا أكتب أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له وروى شفى الأصبعى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، إن لعينك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً قم ونم وصم وأفطر صم ثلاثة أيام، من كل شهر فذلك صيام الدهر فقال إنى أطيق أكثر من ذلك فلم يزل يراجعه فى الصيام حتى قال له لا أفضل من صيام داود وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً فوقف عبد الله عند ذلك و داوم عليه ونازل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً فى ختم القرآن فقال أختمة فى الشهر فقال أنى أطيق أفضل من ذلك فلم يزل يراجعه حتى قال لا تقرأ " فى أقل من سبع وبعضهم يقول فى حديثه هذه أقل من خمس والأكثر على أنه لم ينزل من سبع فوقف عند ذلك وأعتزر رحمة الله . شهد صفين وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا بسهم وأنه شهدها لعزمه أبيه عليه فى ذلك ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم أطع أباك.

وفاته: أختلف فى وقت وفاته فقال أحمد بن حنبل مات عبد الله بن عمرو ليالى الحرة فى ولاية يزيد بن معاويه وكانت الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقتيا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وقال غيره مات سنة ثلاث وسبعين وقال يحيى بن عبد الله مات بأرضه بالسبع من فلسطين سنة خمس وستين وقيل خمس وخمسين بالطائف وقيل بمصر سنة خمس وستين وهو أبن أثنتين وسبعين سنة[١].

---

[١] الأصابة فى تمييز الصحابة ٢ /٣٣٨.

معانى المفردات :

أى الاسلام : أى تكون شرطية واستفهامية وموصولة وهى بحسبما تضاف اليه وهى هنا استفهامية. الاسلام : من أسلما لله فهو مسلم وداخل فى دين الاسلام [١].

خير : الخير خلاف الشر والجمع خيور وخيار ، وتأتى كلمه (خير للتفضيل فيقال هذا خير من هذا أى يفضله [٢].

تقرأ السلام : أى تتلو عليه السلام لمعرفة أحواله وخواصه ، والسلام اسم من اسماء الله تعالى [٣].

تطعم الطعام : الطعام كل ما يؤكل وبه قوام البدن والطعم ما تدركه حاسة الذرق من طعام أو شراب كالحلاوة والمرارة والمراد تكثر من إطعام الطعام للناس [٤].

---

[١] المعجم الوجيز مادة (أى - سلم)
[٢] المصباح المنير مادة (خير)
[٣] المصباح المنير مادة (قرأ - سلم)
[٤] المعجم الوجيز مادة (طعم)

المعنى العام للحديث

الاسلام دين الالفة والمودة والمحبة والتراحم والتواصل وهو دين الجود والسخاء ومكارم الأخلاق وقد كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم بل كانوا يسألونه عن كل ما يقربهم الى الله سبحانه وتعالى ويبعدهم عن النار فهذا الرجل يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم سؤالاً يستفهم منه ويسترشد عن اى خصال وعن أى صفات هي أفضل صفات وخصال الاسلام ليعمل بها وليبلغها لمن بعده فيقول الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير أى صفه من صفات الاسلام هى أفضل وأعظم مما سواها من الصفات ليتخلق بها وليفعلها فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم تطعم الطعام أى تكون جواداً سخياً تطعم الجائعين وتعطى المحتاجين وايضاً تطعم غير الجائعين وغير المحتاجين توددا وقربة ، فعندما تطعم الطعام إنما تصير هناك مودة بين من أطعمته سواء كان محتاجاً أم لا وهذه المحبة أمرنا بها الاسلام وهذه هى الخصله الأولى وأما الخصلة الثانية فهي إفشاء السلام وقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف أى تسلم على كل من مررت به أو قابلته بصيغة الاسلام وهى :"السلام عليكم" والسلام اسم من أسماء الله تعالى يدل على الأمن والطمأنينة وهى تحية المسلمين في الدنيا وتحيتهم يوم لقاء الله وتحيتهم في الآخرة وهى تحية مخالفة لتحايا أهل الجاهلية ولألفاظهم التى وضعوها لذلك فتحية الإسلام وهى السلام تبعث على الود والطمأنينة لأنها تحية تحمل بين طياتها الأمن والسلام.

وفى إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بهاتين الصفتين إشارة الى ان الانسان إذا أراد أن يتقرب الى الله بمكارم الاخلاق فإما أن يتقرب بالمال وهذه المكرمة أشار اليها الرسول بإطعام الطعام فهى مكرمة مالية وإما أن تكون المكرمة بدنية وأشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم " بقوله وتقرأ السلام ".

وإننا نلحظ فى سؤال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أننا نجد إجابات لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتغير من سائل لأخر فقد يسأل إنسان أو ثلاثة عن سؤال واحد ويجيب الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم بإيجابات متغايرة وذلك لإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجيب لكل سائل بما فيه مصلحته وعلى الجانب الذى يقصر فيه وعلى الاشياء التى يكون فى أمس الحاجه اليها فى ذلك الوقت نظراً للظروف المحيطة به.

ما يستفاد من الحديث :

١- الحث على الجود والسخاء وإطعام الطعام.

٢- الحث على افشاء السلام لأن فيه تأليفاً للقلوب وزيادة للمودة والرحمة.

٣- يجب على المسلم أن يستعمل تحية الاسلام وهى السلام ولا يتشبه بتحية عامة الناس أو

الجاهلية كصباح الخير او" عمت صباحاً"

٤- أن الاسلام دين يحمل جميع صفات الخير وخصاله.

٥- أن تخصيص هاتين الخصلتين لا يدل على أنهما أفضل صفات الاسلام ولكن تخصيصهما

فى هذا الحديث حسب السائل.

- يجب على المسلم أن يسلم على كل من لقيه عرفه أم لم يعرفه ولا يخص بالسلام من يعرفه

كما يفعل كثير من الناس[1].

- احديث عمدة القارى جزء ١ /١ ١٣٧ ... بعدها ، مسلم بشرح النووى ،

- صحيح البخارى ١/٥٥.

حديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشى قال حدثنا أبى قال حدثنا أبو بردة بن عبد الله ابن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال: "قالوا يارسول الله أى الإسلام أفضل قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"(١).

ثانياً: رواية الإمام مسلم

حدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى قال حدثنى أبى حدثنا أبو بردةبن عبد الله بن أبى بردة بن أبى موسى عن أبى موسى قال قلت يارسول الله أى الإسلام أفضل قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده".

وحدثنيه إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة قال: "حدثنى بريد بن عبد الله بهذا الإسناد قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المسلمين أفضل فذكر مثله(٢).

---

(١) أخرجه البخارى فى: ٢: كتاب الإيمان، ٥: باب أى الإسلام أفضل.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأى أموره أفضل.

وإليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث :

أبو موسى الأشعرى

نسبه:

أبو موسى الأشعرى هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن أبى بكر بن عامر بن وائل بن ناجيه بن أجماهر بن الأشعر وهو ثبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن نزيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وفى نسبه هذا بعض الأختلاف وأمه أمرأه من عك كانت قد أسلمت وماتت بالمدينه وذكرت طائفه منهم الواقدى أن أبا موسى قدم مكه فحالف سعيد بن العاص بن أميه أبا احيطه.

حياته:

أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، قال أبو عمر إنما ذكره أبن اسحاق فيمن هاجر الى أرض الحبشه لأنه نزل أرض الحبشة فى حين إقباله مع سائر قومه رمت الريح سفينتهم الى أرض الحبشة فبقوا بها ثم خرجوا مع جعفر وأصحابه هؤلاء فى سفينه وهؤلاء فى سفينه فكان قدومهم معاً من أرض الحبشه فوافقوا النبى صلى الله عليه وسلم حين أفتتح خيبر فقيل إنه قسم لجعفر وأصحابه وقسم للأشعريين لأنه قيل أنه قسم لأهل السفينتين، وقد روى أنه لم يقسم لهم ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى البصره إذ عزل عنها المغيره فى وقت الشهادةعليه وذلك سنه عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصره الى صدر من خلافه عثمان رضى الله عنه ثم

لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا الى عثمان رضى الله عنه يسألون أن يوليه فأقره فلم يزل على الكوفه حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفى التحكيم ما كان وكان منحرفاً عن على رضى الله عنه لأنه عزله ولم يستعمله وغلبه أهل اليمن فى إرساله فى التحكيم فلم يجره وكان لحظيفة قبل ذلك ثم انتقل أبو موسى الى مكة ومات بها وقيل أنه مات بالكوفه فى داره بجانب المسجد.

وفاته :

أختلف فى وقت وفاته فقيل سنة أثنتين وخمسين قاله محمد بن سعد عن الواقدى عن خالد بن إلياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم أنه مات سنة اثنتين وخمسين وقال محمد بن سعد سمعت بعض أهل العلم أنه مات قبل ذلك بعشرة سنين أى سنه اثنتين وأربعين[1].

---

[1] الأصابه فى تمييز الصحابه ٤ /١٧٢.

معانى المفردات :

أفضل : اسم تفضيل بمعنى فضلته على غيره . والتفضيل صيرته أفضل منه والفضل هو الزيادة والمراد هنا هو الخير [١].

مسلم : سلم سلامة أي خلص ونجا من الافات فهو سالم [٢].

لسانه : هو عضلة مستطيلة تتحرك في الفم عند الكلام وتعنى اللغة وقيل لسان القوم المتكلم منهم، وقيل هو الثناء والمراد صون اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة وما شابه ذلك [٣]

يده: هي من المنكب الى أطراف الأصابع وأصلها (يدى) وقيل هي النعمة والاحسان وقيل هي السلطان والقوة والجماعة والملك أي ملكه والمراد كل فعل يؤذي الغير [٤].

---

[١] المصباح المنير مادة (فضل)

[٢] المصباح المنير مادة (سلم)

[٣] المعجم الوجيز ماده (لسن)

[٤] المعجم الوجيز مادة (يدى)

المعنى العام للحديث

هذا الحديث يرتبط بالحديث الذى قبله إذ يسأل السائل عن خصال الإسلام وما هى الأخلاق التى يجب أن يكون عليها المسلم حتى يكون أفضل من غيره عند الله سبحانه وتعالى وأكثر ثوابا وقربا من الله وفى كل مرة تجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب على السائل بإجابات متغايرة وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فهو يعلم حال كل سائل وما هى الأشياء التى ينتابه فيها بعض التقصير فينبهه إليها لكى يهتم بهذه الاشياء الغائبة عنه او التى يتهاون فيها ففى الحديث السابق سأل السائل عن صفات الاسلام التى تكون أفضل من غيرها فيجيب الرسول صلى الله عليه وسلم بأن هذه الصفات هى اطعام الطعام وافشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، وفى هذا الحديث يسأل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الإ سلام أفضل: وفى بعض الروايات أى المسلمين أفضل والمعنى أى صفة وأى خلق يتخلق به المسلم بحيث يجعله أفضل من غيره ويزيد فى درجته عن غيره من باقى إخوانه فيبين له الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل هذه الخصال وأفضل المسلمين هو من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ففى هذا الحديث ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم السائل والحاضرين مجلس السؤال الى الكف عن إيذاء المسلمين بأى شكل من الأشكال وبأى صورة من الصور سواء كان هذا الإيذاء بالقول أو بالفعل لأن الاسلام دين يأمرنا بأن نحسن الى كل المسلمين ونقدم لهم العون والمساعدة والود والمحبة والرحمة وينهانا عن إيذاء أى مسلم بأى طريقة كانت فإنك إذا لم

تستطع أن تحسن الى أخيك المسلم فلا أقل من أن تمنع عنه أذاك وقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اللسان واليد وذلك لأن الإيذاء إما أن يكون بالأقوال كالسب والشتم أو القذف أو الغيبه والنميمة وكل هذا من أعمال اللسان وإما أن يكون الإيذاء بالفعل وخص الرسول صلى الله عليه وسلم اليد بالذكر لأن معظم الأفعال تقع باليد.

والمقصود من هذا الحديث أن المسلم الذى يتصف بهذه الصفات يبلغ درجةكمال الاسلام ومن لم يتصف بهذه الصفات فلا تخرجه عن حظيرة الإسلام ولكنها تخرجه عن كمال الاسلام والمسلم دائماً فى حاجة الى رفع درجته وزيادة حسناته ومحو لسيئاته فعليه ان يتخلق بهذه الخصال وبكل خصال الخير التى أمر الاسلام بها حتى يفوز برضا الله فى الدنيا والآخرة[١].

---

[١] راجع شرح الحديث عمدة القارى ١ / ١٣٤ وما بعدها ، ومسلم بشرح النووى ٢ /١٠ وما بعدها فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥٤/١

ما يستفاد من الحديث :

١- الاسلام دين يأمر بمكارم الاخلاق.

٢- يجب على المسلم ألا يؤذى أخاه المسلم بل يجب عليه أن يساعده ويحسن إليه .

٣- النهى عن السب والقذف والشتم واللعن والغيبة والنميمة وكل الكلام الذى يؤذى المسلمين.

٤- النهى عن اى فعل يؤذى المسلمين سواء كان هذا ضرباً أو منعاً أو شكوى كيدية أو أى صورة من صور الأفعال التى تؤذى المسلم .

٥- بيان أهمية حفظ اللسان وأنه يكون سبباً فى إسعاد الإنسان وأن من لم يحفظ لسانه يكون سببا فى تعاسته وحرماناً له من محبة الناس فى الدنيا ومن ثواب الله فى الأخرة

٣

- باب بيان خصال من إتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار)[1].

ثانياً: رواية الإمام مسلم :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن يحي بن أبى عمر ومحمد بن بشار جميعاً عن الثقفى قال ابن أبى عمر حدثنا عبد الوهاب عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم :" قال" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان" من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار)[2]

الراوى الأعلى للحديث هو أنس بن مالك وسبق التعريف به فى حديث رقم ٢

---

[1] أخرجه البخارى فى : ٢- كتاب الإيمان ٩ باب حلاوة الإيمان.

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان خصال من أتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

معانى المفردات :

وجد : وجوداً اى علم وعرف فهو موجود والموجـود فـى الفلسفة هـو الثـابت فـي الذهن وفـى الخارج ، والمراد أصاب وأدرك[١].

المرء : هو الرجل فإن لم تأت بالألف واللام قلت (امرئ) والانثى (إمرأة)[٢].

حلاوة : حلا الشئ حلاوة فهو حلو أى حـلا وحسن وأحليت الشـئ جعلتـه حلـواً وطيبتـه والحلـو نقيض المر [٣].

الكفر : أى الجحود والنكران والكافر هو الملحد الذى يكفر بالله[٤].

يقذف : أى يرمى . وقـذف المحصنـة أى رماها بالفاحشة والقذيفة القبيحة هى الشتم والمراد الرمى والطرح فى النار[٥].

---

[١] المعجم الوجيز مادة (وجد)

[٢] المصباح المنير مادة (مرأ)

[٣] المصباح المنير مادة (حلا)

[٤] المصباح المنير مادة (كفر)

[٥] المعجم الوجيز مادة (قذف)

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يعتبر أصلاً من أصول الأسلام ودعامة من دعائمه القوية التى يقوم عليها الإسلام إذ يتعلق بمحبة الله ورسوله التى هى أصل الإيمان وعينه ولا يصح إيمان المرء إلا بهما ويتعلق بمحبة المسلمين التى هى أساس من الاسس التى بناها الإسلام وعمل على تقويتها ويتعلق بمحبة دين الإسلام وهذه النعمة أنعم الله بها علينا ان جعلنا مسلمين ننتمى الى هذا الدين الحنيف لكل هذا كان هذا الحديث فى غاية من الاهمية ويعتبر من الاحاديث العظيمة التى تتعلق بأصول الاسلام وفى هذا الحديث يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن هناك ثلاث خصال ثلاث صفات إذا اجتمعت هذه الخصال وهذه الصفات فى شخص كانت دليلاً على صدق إيمانه وكان هذا الشخص على درجة عالية من الإيمان بحيث يجد لهذا الإيمان طعماً حلواً وكأنه يتذوق شيئاً حلواً جميلاً عندما يأتى بالطاعات والعبادات فهو يحس لها بحلاوة وتلذذ لأنه يؤديها عن حب وهذه الخصال الثلاثة التى نبه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم تقوم كلها على المحبة فالأولى تتعلق بمحبة الله ورسوله والثانية تتعلق بمحبة جميع المسلمين والثالثة تتعلق بمحبة دين الاسلام ، فأول هذه الخصال أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فعلى المؤمن أن يحب الله ورسوله أكثر من كل شئ اكثر من نفسه ومن ماله ومن ولده ومن والده ومن ممتلكاته ومن كل شئ فى هذه الدنيا سواء كان عاقلاً أو غير عاقل جماداً كان أو حيواناً أو نباتاً ولذلك عبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " مما " بما التى تكون لغير العاقل بخلاف من التى تخص العقلاء.

لأن الانسان إذا نظر الى كرم الله عليه ونعمه التى أنعم الله بها عليه فهو الذى خلقه وصوره فأحسن صورته وفضله على جميع خلقه وتكفل برزقه وأرسل له الرسول صلى الله عليه وسلم ليهديه الى طريق الله ويرشده ويبين له الصحيح من غيره ويبين له ما ينال به سعادة الدنيا والأخرة كل هذه الأفضال توجب المحبة لأن الانسان جبل على محبة من أسدى اليه خيراً أو معروفاً فكيف تكون محبته لمن أسدى إليه كل الخير والمعروف ولمن كان سبباً له فى هذه الحياة ، والحب يعنى الطاعة لأنه إذا أحب انساناً فهو يطيعه ولا يعصى له أمراً فكيف يكون حبك للخالق هذا يعنى طاعتك له وعدم معصيتك اياه لأنك لو عصيته لكان هذا تشكيكاً فى حبك له وكما يقول الشاعر:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه	هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

ومحبة الله تعنى أن يفعل الانسان جميع ما أمر الله به وأن ينتهى عن جميع ما نهاه الله عنه وهى مرتبطة بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لا تقبل محبة الله بدون محبة الرسول ولا محبة الرسول بدون محبة الله ومحبة الرسول تعنى تفضيله وتعظيمه وتوقيره والعمل بسنته والتمسك بها والمداومة عليها.

وأما الخصلة الثانية فهى تتعلق بمحبة المسلمين بعضهم لبعض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وأن يحب المرء لا يحبه الا لله" أى يجب على المسلم أن يحب أخيه المسلم من غير منفعة وأن يكون حبه لأخيه من منطلق أنه أخ له فى الإسلام يحب مصلحته ويحب الخير

اليه ويكره إساءته كما يكرهها لنفسه فعلى المسلم ان يملا قلبه حباً لكل المسلمين لا يخص بهذه المحبة أصحاب المنافع الدنيوية من ينتفع منهم بمصالح أو بنفع دنيوى ولكن يجب على المسلم أن يحب لله وليس من أجل الدنيا ومتاعها الزائل

وأما الخصلة الثالثة فهى تتعلق بالدين الإسلامى وهو الدين الحنيف الذى هدانا الله إليه وأنعم علينا به وأما أعظمها نعمة وذلك لأن الاسلام دين جمع جميع خصال الخير ودين يقوم على العقلانية ، فلا يأتى بما لايقبله العقل، ودين لا يحرم أتباعه أى شئ من متاع الدنيا ولكنه يحدد للمتبعين له متاع الدنيا وكيف يأتيه الانسان والمقدار الذى يحصله منه فهو دين ينظم جميع حياة الانسان و حتى أعداءه يشهدون له بأنه أفضل نظام إجتماعى عرفه التاريخ فهو لا يهمل جانباً وينهم بجانب آخر بل يوازن بين جميع الجوانب فكان على المسلم والمؤمن ان يحب هذا الدين لأنه مفتاح الجنة له وأن يكره الكفر والعياذ بالله والشرك وكل ما هو ضد الدين وضد الاسلام كراهية النار لأن الكفر والشرك وما يتبعهما يكون سبباً فى دخول صاحبيهما النار أما الإيمان والإسلام فيهما سببا إنقاذ صاحبيهما من النار وإدخاله الجنة فعلى المسلم أن يحب دينه وأن يحمد الله أن هداه للإسلام الذى كان سبباً فى دخوله الجنة وأن يكره الكفر الذى هو سبب دخول أتباعه النار[1].

---

[1] راجع شرح الحديث فى عمدة القارى ١ / ١٤٦ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ٢ / ١٢ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/ ٦٠

ما يستفاد من الحديث :

١- أن المسلم الذى يصل **إلى كمال الإيمان** يتلذذ بالطاعات ويحس بحلاوة واشتياق كلما **أدى** منها ما استطاع.

٢- وجوب محبة الله **والرسول صلى الله عليه** وسلم وتفضيلهما **عن كل** ما سواهما .

٣- الحب يقتضى الطاعة والطاعة دليل الحب والمعصية تنافى الحب.

٤- وجوب محبة المسلمين جميعاً بعيداً عن المصالح والمنافع الدنيوية.

٥- وجوب محبة شريعة **الإسلام وأن** يحمد **الإنسان** الله على أن هداه للإسلام .

٦- يجب على المسلم **أن** يكره الكفر والشرك وكل عمل يقربه الى النار.

- باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حب الوالد والوالدة والولد والناس أجمعين

الحديث:

أولاً: رواية الإمام البخارى

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ح) وَحَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "(١)

ثانياً: رواية الإمام مسلم :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(٢).

والراوى الأعلى للحديث هو أنس بن مالك وسبق التعريف به فى الحديث رقم ٣ .

---

(١)أخرجه البخارى :٢-كتاب الإيمان،حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان

(٢)أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.

معانى المفردات :

لا يؤمن : آمن به يؤمن ايماناً أى وثق بـه وصدقه ولا يؤمن أى لا يصدق بالقلب ولا يقره ... [1]

والده : أى أبية وقيل ولدت الانثى تلد ولادة . وضعت حملها فهى والد والوالدان الأب والأم[2].

ولده : الولد كل ماولد والجمع أولاد والوليد المولود حين يولد والجمع ولدان والوليدةهى الصبية الى ان تبلغ والجمع ولائد [3].

الناس أجمعين : الناس اسم الجمع من بنى أدم وأجمعين اسم يدل فى التوكيد على الشمول ويعنى كلهم والمراد بني آدم كلهم[4].

---

[1] المعجم الوجيز مادة (آمن)

[2] المعجم الوجيز مادة (ولد)

[3] المعجم الوجيز مادة (ولد)

[4] المعجم الوجيز مادة (نوس) ومادة (جمع)

المعنى العام للحديث

هذا الحديث يبين لنا منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه وعلوه عن كل خلق الله وأنه يجب على المسلم أن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين ، وهذه المحبة تكون دليلاً على صدق إيمان صاحبها .

وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه .... الخ) أى لا يكون الإنسان كامل الإيمان إذا فضل شيئا فى محبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أحب نفسه أكثر من الرسول أو حتى مثله صلى الله عليه وسلم ، أو أحب والده أو ولده ، أو أى إنسان أو مخلوق من خلق الله فهذه المشاركة فى الحب تنفى عنه كمال الإيمان لكونه فضل أحداً عن رسول الله فى حبه ، أو ساوى بين رسول الله وبين غيره فى حبه ، أما من يبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لأن عدم محبة رسول الله تنفى الايمان كله والاسلام.

وهذا الحديث الشريف هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لأن المحبة ثلاثه أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم بعضاً فجمع صلى الله عليه وسلم ذلك كله فى محبته والمحبة تعنى الميل اليه والشوق اليه وتمنى حضور حياته وبذل النفس والمال دونه ، ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرة سنته والذب عن شريعته فلا يصح إيمان المرء ولا يكمل هذا الإيمان

إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ومنزلته عن كل والد وولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن هكذا قال القاضى عياض رحمه الله .

ونجد من بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قسم المحبة الى محبة توقير وهى غالباً ما نجد أكثر الناس يحب والده ولا يفضل عليه احداً ، ومحبة الولد وهى الاكثر ، فأكثر الناس فى حياتنا يحبون أولادهم ويفضلونهم على أنفسهم ولا يفضلون احداً فى المحبة على أولادهم ، وبعض الناس قد يحب انساناً كزوجته لطاعتها له أو لجمالها والبعض قد يحب انساناً لأنه أسدى اليه معروفاً أو كان صاحب فضل عليه ، أو كان معلماً له .

فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وجمع كل هذه الأصناف وبين لنا ان الدليل على كمال الايمان لا يكون الا بتفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ؛

وإعلاء قدره ، وإيثار محبته عن محبة الوالد والولد والناس أجمعين . فعلى الانسان أن يقيس نفسه على هذا الحديث فمن لم يجد فى نفسه أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفوق كل محبة فهذا لم يكمل إيمانه ، وكل من آمن ايماناً صادقاً صحيحاً لا بد وأن يجد فى قلبه هذه المحبة؛ وقد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه : ما كان أحد أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت اطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً

وجاء في رواية أخرى بزيادة لفظة ومن نفسه التي بين جنبيه ، أي لايكفي أن يفضل إنسان الرسول صلى الله عليه وسلم في الحب عن والده وولده والناس أجمعين بل يجب أن يفضل الأنسان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محبته ذاته ، فهو يبذل نفسه دون رسو[illegible]ـه [illegible] .

وسيدنا عمر رضي الله عنه عندما سمع هذا الجواب قال يارسول الله أنت أحب الى من كل شئ الا من نفسي ، فقال ومن نفسك ياعمر، فقال ومن نفسي ، فقال الأن كمل ايمانك ياعمر.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس محبة لرسول الله وذلك لأن المحبة دون ثمرة للمعرفة وهم رضوان الله عليهم كانوا أعرف الناس بقدره ومنزلته صلى الله عليه وسلم ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع جميع معاني المحبة فهو صلوات الله وسلامه عليه كان جميل الظاهر والباطن ، وجمع جميع أنواع الفضائل وأحسن الى جميع المسلمين بهدايتهم الى الطريق المستقيم وهو طريق الله ، ولا يوجد انسان في الدنيا قدم للإنسانية مثل ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك وجب تفضيل محبته على محبة جميع الإنسانية بل وجميع المخلوقات .

ما يستفاد من الحديث :

١- فيه وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفضيل هذه المحبة عن أى محبة أخرى .

٢- أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على الأيمان

٣- أن الناس يحبون الوالد أو الولد ، أو من صنع لهم معروفاً وصنيع رسول الله للإنسانية يفوق كل معروف.

٤- أن من لم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة[١].

---

[١] راجع شرح الحديث فى عمدة القارى ١ / ١٤٥ وما بعدها ، مسلم بشرح النووى ٢/ ١٥ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/٥٨

- باب الدليل على أن منْ خصال الإيمان

أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

الحديث رقم

أولاً: رواية الامام البخارى

حدثنا مسدد قال حدثنا يحيَ عنْ شعبة عن قتادة عنْ أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وعنْ حسين المعلم قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [١].

ثانياً: رواية الإمام مسلم:

حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحبه لنفسه)[٢].

الأعلى للحديث هو أنس بن مالك وسبق التعريف به فى الحديث رقم ٣

---

[١] أخرجه البخارى فى :٢- كتاب الإيمان : ٧- باب من الإيمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

معانى المفردات :

لحدكم : أحد أصله وحد فابدلت الواو همزة وتكون بمعنى شئ وتكون كلمة (أحد) مرادفة لكلمة (واحد) فى موضوعين أحدهما عند وصف الله الخالق فتقول الله الواحد . والله الاحد. والثانى فى العدد للغلبة وكثرة الاستعمال فتقول أحد وعشرون وواحد وعشرون، وهى هنا بمعنى واحد منكم [١].

يحب : أى يحسن . فالحب هو الاستحسان وهو نقيض الكره والبغض وقال النووى المحبة أصلها الميل الى ما يوافق المحب [٢].

---

[١] المصباح المنير مادة (واحد)

[٢] المصباح المنير مادة (حب)

المعنى العام للحديث

المراد من الايمان هنا هو كمال الايمان فقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لايؤمن أحدكم) مقصود به لا يكمل إيمان أحدكم لأن نفي الايمان عن الأنسان يكون بترك العمل والعبادات التي أمر بهاً الاسلام وعدم التصديق بها بقلبه لأن الإ يمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل .

فهذه الصفات والخصال التي جاءت في هذا الحديث والأحاديث التي قبله من إطعام الطعام وإفشاء السلام وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه كل هذه الصفات إذا توفرت في ان كان هذا الانسان كاملاً في إيمانه حائزاً على أعلى درجات الايمان والخطاب لكل واحد من المسلمين سواء كان ذكراً أو انثى وغالباً ما يعبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجل أو بصيغة المذكر وذلك لبيان تفضيل الرجل عن المرأة ولتقديمه عليها ولأن الرجال كانوا يحضرون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من النساء وكانوا يتلقفون منه ويسمعون منه ما لا يسمعه النساء.

وقوله صلى الله عليه وسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه هكذا جاءت رواية الامام البخاري ورواية الامام مسلم جاء فيها شك من الرواي (حتى يحب لأخيه أو لجاره)

والحب هو الميل الى ما يوافق المحب فعلى المسلم أن يحب لأخيه المسلم من الخير وفعل الطاعات والمباحات مثل ما يحب لنفسه فالمسلم يتمنى لكل إخوانه المسلمين أن يكونوا مثله في الخير والطاعات لا يزاحمهم ولا يمنع عنهم خيراً . أو أي نفع دنيوي أو أخروي فكما يتمنى

الانسان أن يكون أفضل الناس وفى أعلى المناصب فعليه أن يتمنى ذلك لكل المسلمين وإذا وجد مسلماً قد اخذ منصباً أو جائزة فلا يزاحمه عليها ولا يحقد عليه بل يفرح له مثل ما كان سيفرح لنفسه هذا هو مقياس كمال الايمان فعلى المسلم أن يقيس نفسه على هذا المقياس ليعرف درجته فى الإيمان.

وإن كان الحب يقتضى جلب الخير والنفع فإنه يعنى أيضاً دفع الضرر عن أخيه المسلم وكذا بغض كل ما يؤذى أخيه المسلم فكما يحب الانسان الخير لنفسه ويكره الضرر والايذاء وكل السلبيات التى تسلب منه فعليه أن يكره أيضاً كل ما يسوء أخيه المسلم لأن حب الانسان للشئ مستلزم بغض نقيضه فكما يحب له الخير يستلزم ذلك كره الشر له ودفع الضر عنه.

ما يستفاد من الحديث :

١- ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وللمسلمين فى أن يأتوا بمكارم الاخلاق من إطعام الطعام وإفشاء السلام وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحب لنفسه.

٢- هذه الخصال التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى كمال الايمان وتمامه ولا تنفى أصل الايمان.

٣- المسلمين كلهم أخوة يحب الواحد منهم لأخيه المسلم مثل ما يحب لنفسه من الخير ويكره لأخيه المسلم مثل ما يكره لنفسه من الشر [١].

---

[١] راجع شرح الحديث فى عمدة القارى ١ / ١٣٩ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ٢ / ١٦ وما بعدها. وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥٦/١ .

- باب الحث على إكرام الجار والضيف وقول الخير

أو لزوم الصمت ذلك كله من الإيمان

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ أَبِى حَصِينٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ) [١].

ثانياً: رواية الإمام مسلم :

حَدَّثَنِى حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِى يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) [٢]

---

[١] أخرجة البخارى فى : ٧٨ - كتاب الأدب ٣١ باب من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره.

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الأيمان باب الحث على اكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الايمان.

والراوى الأعلى للحديث هو أبو هريرة وسبق التعريف به فى الحديث رقم٤

معانى المفردات :

اليوم الاخر : الآخر مقابل الأول وهو اسم من أسماء الله تعالى وقيل الباقى بعد فناء خلقه .
واليوم الآخر هو اسم من أسماء يوم القيامة[١]

يؤذ : اى يتعب ويقذر قال تعالى : " قل هو أذى " أى مستقذر [٢].

جاره : الجار هو المجاور فى السكن والجمع جيران . وهو الشريك فى العقار وهو الخفير الذى يؤمن غيره مما يخاف وهو المستجير الذى يطلب الأمان وهو الحليف وهو الناصر وهو الزوج وهو الزوجة[٣].

يكرم : الكرم هو الجود وفعل الخير وقيل الكرم وقيل الصفح . والكريم هو عزيز النفس [٤].

ضيفه : أى نزيله وقيل اضفته إذا انزلته عندك ضيفاً واضفته اضافة إما لجأ اليك من خوف . فأجرته واستضافنى فاضفته اى استجارنى فأجرته[٥].

يقل: قال يقول قولاً أى تكلم كلاماً . وتقول الرجل على غيره اى ادعى عليه ما لاحقيقه له وقاوله فى امره مقاوله اى جادله مجادله وقيل المقول هو اللسان "٦"

يصمت : صمت صمتاً وصموتاً أى سكت سكوتاً فهو صامت أى ساكت . وقيل الصامت من المال هو الذهب والفضة[٦].

---

(١) المعجم الوجيز مادة (آخر)

(٢) المعجم الوجيز مادة (أذى)

(٣) المصباح المنير مادة (جور)

(٤) المصباح المنير مادة (كرم)

(٥) المصباح المنير مادة (ضيف)

(٦) المصباح المنير مادة (صمت)

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لأنه يتعلق بالأصول التى جاء بها الاسلام والأسس التى نادى بها الإسلام ، وكانت سبباً فى انتشاره وهذه الأصول منها :

ما يتعلق بالفعل وهو أول عبارة فى هذا الحديث من عدم إيذاء الجار ، وهو من باب التخلية عن الرذائل فعلى المسلم ان يتخلى عن كل رذيلة تشينه ومن أبرز الرزائل إيذاء الجار ، والعبارة الثانيه فى الحديث تتعلق ايضاً بالفعل وهى من باب التحلية بالفضائل وهى إكرام الضيف فعلى المسلم ان يتحلى بكل فضيله ومن أبرز الفضائل اكرام الضيف ، والاسلام دائماً يأمر الانسان بأن يتخلى عن الرذائل قبل أن يتحلى بالفضائل.

والأصل الثالث الذى جاء فى هذا الحديث إشارة الى القول وعلى الانسان ان يقول خيراً فإن لم يكن كلامه خيراً فعليه أن يلزم الصمت والسكوت.

هذه الأصول الثلاثة هى أصول اهتم بها الإسلام وعمل على تنميتها واذاعتها بين الناس ، وحثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على الالتزام بها عندما صدر الحديث بقوله : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ، فهذه الصيغة فيها تنبيه للمسلم ، وإيقاظ مشاعره فى أن يأتى بهذه الصفات ويعمل بها لأن من كان له صفة التعظيم لأمر الله فلا بد وأن يتصف بالشفقة على خلق الله ، إما بالقول بأن يقول لهم خيراً ، أو يسكت ، وإما بالفعل بأن يقدم لهم ما ينفع ويدفع عنهم ما

يضر ، ونجد أن الرسول كرر عبارة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ثلاث مر .

الحديث عند كل أصل من هذه الاصول ، وذلك ! الأصول ولينبهنا الى أهمية

هذه الاصول .

وأول هذه الاصول هو عدم إيذاء الجار ى الاسلام له منزلة عظيمة وقدم

الاسلام للجار كثيراً من الحقوق التى لم تأت فى أى دين آخر ، فعلى الانسان المسلم ان يقدم

لجاره كل أنوع الخير ، وأن يبعد عنه كل أنواع الشر ، وكما جاء فى حديث الرسول(مازال

جبريل يوصينيبالجار حتى ظننت أنه سيورثه).

والأصل الثانى يتعلق بإكرام الضيف ، والضيافة واجبة فى الإسلام وهى من خلق النبيين

والصالحين ، وهى من آداب الإسلام التى يستكمل بها الإنسان إيمانه ، فعلى المسلم ان يكون

كريماً جواداً سخياً لأنه يثق فى أن خزائن الله لا تنفذ ، وأن المال هو مال الله ، يتفضل به على

من يشاء من عباده ، ويمسكه عمن يشاء ؛ ويخص الاسلام الضيف بالإكرام وذلك لأن الضيف

غالباً ما يكون غريباً.

فعندما ينزل عليك ضيف فلا بد وأن تكرمه وتحسن اليه وتزيد فى إكرامه واحسانه حتى

تخفف عنه غربته ويكون الإكرام والإحسان تأليفاً للقلوب، وزيادة للمودة والمحبة بين المسلمين

بعضهم مع بعض

والاصل الثالث فى هذا الحديث إشارة الى الاقوال فعلى المسلم الذى يؤمن بالله ويعظمه ويوقن

بأن هناك يوماً آخر وهو يو. القيامة يثاب الانسان فيه على ما يقدم ، ويعاقب فيه على ما يرتكب

من أوزار ، على هذا المسلم أن يكون نطقه كله خيراً ونفعاً ، فقبل أن يتكلم الكلمه عليه ان يفكر جيدا إن كانت هذه الكلمة خيراً ، أو ستجلب خيراً فعليه أن ينطق بها سواء كانت ذكراً ، أو دعاء ، او مسامرة مع أخ مسلم ، او ملاطفة للزوجة والأولاد، فعليه ان يقولها ، وان كانت هذه الكلمة ليست من قبيل الخير كأن تكون غيبة ، او نميمة ، أو كذباً او شتماً أو سباً أو غير ذلك فعليه ان يسكت ولا ينطق بها لأن الإنسان يتميز عن غيره بحسن النطق ويحاسب عن كل ما يخرج من لسانه.

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله : من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه ،

وعن ذى النون رحمه الله : اصون الناس لنفسه امسكهم للسانه.

والسكوت لا يعنى عدم النطق بالحق لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس كما قال أبو على الوقاق.

وقد قال الإمام الجليل أبو محمد عبد الله بن ابى زيد إمام المالكية فى زمانه : جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث، قول النبى : من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً ، أو فليصمت ، وقوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه ، وقول صلى الله عليه وسلم الذى اختصر له الوصيه لا تغضب ، وقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله أعلم.

المباحث الفقهية

يتعلق هذا الحديث بمبحثين فقهيين المبحث الأول . يتعلق بالضيافة وهل هي واجبة؟ أ. هي من مكارم الأخلاق ؟

والمبحث الثاني يتعلق بالكلام ، فهل الإنسان يحاسب عن كل ما ينطق به ؟ ، أم يحاسب على ما فيه جزاء أو عقاب ؟ .

أما بالنسبة للضيافة فهي عند عامة الفقهاء أنها من مكارم الاخلاق ، وحجتهم قوله صلى الله عليه وسلم جائزته يوم وليلة ، والجائزة العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون الا مع الاختيار ، وتأولوا الأحاديث التي توجب الضيافة بأن ذلك كان في اول الاسلام، اما الامام الليث فقد قال بوجوب الضيافه ليله واحدة واحتج بالحديث ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم ، وبحديث عقبه ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بحق الضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم.

واختلف الفقهاء في وجوب الضيافة هل هي على الحاضر والبادي ؟ أم على البادي خاصة ؟ أي أن الضيافة هل تجب على أهل المدن والأماكن التي يوجد فيها طعام ومكان للاقامه؟ أم تجب على أهل البادية وهي الأماكن النائيه التي لا يوجد بها أماكن للإقامة ولا أماكن للبيع والطعام؟

فذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه ، ومحمد بن الحاكم الى أن الضيافة على اهل الحضر واهل البادية هي عليهما الاثنين ، وقال مالك وسحنون انما ذلك على اهل البوادي لأن المسافر يجد فى الحضر المنازل فى الفنادق ومواضع النزول ، وما يشترى من المأكل فى الأسواق.

وقال البعض : اكرام الضيف يختلف بحسب المقامات فربما يكون فرض عين ، وربما يكون فرض كفاية وأقله أنه من باب مكارم الأخلاق وهو من سنن المرسلين ، وعن مجاهد الضيافه ليلة واحدة فرض.

المبحث الثانى يتعلق بالكلام وقد قال تعالى : " ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد"[١].

وقد اختلف السلف والعلماء فى انه هل يكتب جميع ما يتلفظ به العبد وإن كان مباحاً لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآيه ؟ أم لا يكتب الا ما فيه جزاء من ثواب او عقاب؟

والى هذا الرأى ذهب الإمام ابن عباس وغيره من العلماء ، وعلى هذا تكون الى الآية مخصوصة أى ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء ، وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات لئلا تجر صاحبها الى المحرمات او المكروهات .

وإلى الرأى الأول الذى يشير إليه هذا الحديث أخذ به الإمام الشافعى رضى الله عنه فقال : إذا اراد ان يتكلم الانسان فليفكر فإن ظهر له انه لاضرر عليه تكلم ، وإن ظهر له فيه ضرر وشك فيه امسك[٢].

---

[١] سورة (ق) الآية ١٨

[٢] راجع عمدة القارى ٢٢ /١١٠ ومسلم بشرح النووى ٢ / ١٨ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٤٤٥

ما يستفاد من الحديث :

١- إن الاسلام دين يحث على مكارم الاخلاق.

٢- التنبيه على عدم ايذاء الجار ، ووجوب الإحسان اليه .

٣- إكرام الضيف من سنن المرسلين ، ومن الأصول التى نادى بها الإسلام.

٤- على الإنسان أن يفكر في كلامه قبل النطق به ، فإن كان خيراً نطق به ، وإن كان غير ذلك أمسك عليه لسانه.

٥- إن تكرير اللفظ أو العبارة يكون لمزيد إهتمام ولشد إنتباه السامعين ، وفيه إشارة إلى التمسك بهذه الأعمال والعمل على زيادتها ونشرها بين الناس

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثنى سعيد المقبرى عن أبى شريح العدوى قال سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قال وما جائزته يارسول الله قال: يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت "(١).

ثانياً: رواية الإمام مسلم :

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن عبد الله بن نمير جميعاً عن ابن عيينة قال ابن نمير حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع نافع بن جبير عن أبى شريح الخزاعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت "(٢).

---

(١) أخرجه البخارى فى ٧٨: كتاب الأدب ٣١ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

إليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث :

أبو شريح العدوى الخزاعى

نسبة : أبو شريح مصغر الشرح بالشين المعجمة والراء وبالحاء المهملة واسمه خويلد وهو المشهور ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل عمرو بن خويلد وقيل هانئ بن عمرو ، وقيل كعب الصحابى الخزاعى العدوى الكعبى .

إسلامه: اسلم ابو شريح قبل فتح مكة وكان يحمل احد ألوية بنى كعب بن خزاع يوم الفتح وكان من عقلاء الرجال ، وكان يقول من وجد لأبى شريح سمناً أو لبناً أو جداية فهو له حل فليأكله وليشربه.

أخبر غير واحد بإسنادهم الى أبى عيسى الترمذى حدثنا قتيبه اخبرنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى شريح العدوى انه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وابصرته عينى حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لأمرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضض بها شجرة فإن احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقالوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لك وإنما أذن لى فيها ساعة من النهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب فقيل لأبى شريح

ما قال لك عمر بن سعيد قال انا اعلم منك بذلك إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فارا بجزية

وذكره ابن شاهين في الصحابة وأورده من طريق ابن شهاب عن سلمة بن يزيد أحد بني سعد بن بكر أنه أخبره أن أبي شريح بن عمرو الخزاعي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى أن صحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لقوا رجلاً من هذيل كانوا يطلبونه بزحل في الجاهلية فقدم ليبايع على الاسلام فقتلوه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد غضبه فلما كان العشاء قام فأثنى على الله بما هو أهله فذكر الحديث قال أبو شريح فواده النبي صلى الله عليه وسلم - وروى ابن شاهين أيضاً من طريق ابن إسحق عن سعيد المقبرى عن أبي شريح بن عمرو الخزاعي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره - الحديث"

قال أبو موسى في الزيل هذان الحديثان مشهوران عن أبي شريح.

وفاته : توفي أبو شريح سنة ثمان وستين ، أخرجه أبو نعيم وأبو عمر وأبو موس[1]

---

[1] أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ / ٢٢٥ ، م ١٦

والأصابة في تمييز الصحابة ٢ /١٤٥ م ٢٨٨٥

معانى المفردات :

جائزته : الجائزة هى العطية والمنحة وقيل الشربة الواحدة من الماء وقيل مقدار الماء الذى كان يجوز به المسافر فى الصحراء من منهل الى منهل. والجمع جوائز [١].

صدقة : تصدقت على الفقير صدقة أى اعطيته عطية والجمع صدقات والمتصدق هو المعطى والصدقة ما يعطى على وجه القرابة لله لا المكرمة [٢].

---

[١] المعجم الوجيز مادة (جوز)

[٢] المصباح المنير مادة (صدق)

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يرتبط بالحديث الذي قبله وهو يتعلق بالإحسان الى الجار وإكرام الضيف وقول الخير أو السكوت وفى هذا الحديث نجد زياده عن الحديث السابق ففى الحديث السابق نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بعدم إيذاء الجار ، ولكن فى هذا الحديث نـ.. وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم تزيد وترتقى وتعلو عن عدم الايذاء بل يأمرنا بالإحسان الى الجار والأحسان الى الجار يكون بتقديم العون والمساعده له والاهداء له من طعامك وشرابك ومساعدته ومساندته فى شدته وعدم حجب الريح عنه الا بأذنه كما اوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا مشاركته فى فرحته وجميع انواع الخير والمكرمات وعندما نقرأ رواية الامام البخارى نجد ان بها زياده على رواية الامام مسلم فيقول راوى الحديث (سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ... إلخ وهذه العباره تفيد التوكيد والاهتمام ومدى صحه التاكد من الروايه فقد سمعها بأذنه وراها بعينه ووعاها بقلبه كل هذا يوضح لنا مدى حرص الصحابه رضوان الله عليهم على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الانصات له وعلى جمع اهتمامهم وجمع إفكارهم وتلهفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكونوا كلهم آذان صاغيه وقلوب واعيه وابصار محدقه.

وفى هذا الحديث يحدد لنا الرسول صلى الله عليه وسلم مدة الضيافة فى الاسلام وهى ثلاثة أيام فعلى المسلم ان يكرم ضيفه وأن يضيفه ثلاثة أيام ويخص اليوم الأول وليلته بالزيادة فى

البر والاكرام والتكلف فى تقديم المطعم والمشرب واعداد المكان المناسب للاقامة تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال (جائزته يوم وليلة) .

وفى باقى الايام الثلاث يقدم الموجود وما يستطيع تقديمه واذا زاد فى اكرامه فى الثلاث ايام فهذا زياده خير وبركه ودليل على كمال إيمانه وصدقه مع ربه اما اذا لم يستطيع فلا يكلف الله نفساً الا وسعها.

والاسلام دين العمل وبذل الجهد والعرق فهو لا يأمر اتباعه بالكسل والدعة وعدم الاهتمام بالوقت ولكن يحثهم على العمل وعلى احترام الوقت والاستفادة منه فيبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فى الحديث عندما قال (والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه) أي ان مدة الضيافة ثلاثةايام وهذه المده كافية لأن يستريح الانسان من سفره وإن كان بعيداً شاقاً ثم بعد الثلاث فعلى الضيف أن يرحل لئلا يشغل المضيف عن عمله اكثر من ذلك ولئلا يتخذها المتسولون والعاطلون طريقة ومطية للتسول والدعة وعدم العمل ماداموا ينزلون عند الناس بحجةانهم ضيوف فيأكلون ويشربون وينامون ولا يعملون وهذا لا يرضى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يأمر به الاسلام لذلك بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المدة التى تزيد عن ثلاثة أيام تكون صدقة على هذا الضيف والنفس الابية العفيفة المعتزة بالاسلام تأبى الصدقة لأن الاسلام دين معطاء يقبل الهديه ويرد مثلها أو احسن منها ويرفض الصدقة إلا الى المحتاج الغير قادر على الكسب لعاهة او مرض او كبر سن اما اذا زادت مدة الضيافة كأن

لم يجد وسيلة للسفر او كانت لعمل تجارى او كانت زيارة أقارب وصلة رحم وصمم المضيف على ذلك فهذا لا مانع فيه ولا ضرر ولا يدخل فى التنغير الوارد فى هذا الحديث.

ما يستفاد من الحديث :

١- حرص الصحابه وتلهفهم لحضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ومساع حديثه .

٢- أن الاسلام دين يأمر بالاحسان الى الجار.

٣- أن المسلم يزيد فى اكرام ضيفه فى اليوم الأول وليلته ويتكلف فى ذلك وهذا من الايمان.

٤- مدة الضيافة فى الاسلام ثلاثة ايام .

٥- إن الاسلام دين العزة والكرامة ويأمر المسلمين بأن يكونوا اعزة النفوس كرماء لا يقبلون الصدقة [٨٩].

---

[٨٩] وراجع شرح الحديث فى عمده القارى ٢٢/ ١١١ ، ومسلم بشرح النووى ٢ / ٢٠ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ٦/ ٢٥٠

- باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى

حدثنا مسدد قال حدثنا يحي عن إسماعيل قال حدثني قيس عن عقبة بن عمرو أبى مسعود قال: "أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال الإيمان يمان ههنا ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر"[1].

ثانياً: رواية الإمام مسلم :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة وحدثنا ابن نمير حدثنا أبى وحدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس كلهم عن إسماعيل بن أبى خالد وحدثنا يحي ابن حبيب الحارثي واللفظ له حدثنا معتمر عن إسماعيل قال سمعت قيساً يروى عن أبى مسعود قال أشار النبى صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال ألا إن الإيمان ها هنا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر[2].

---

[1] أخرجه البخارى فى : ٥٩- كتاب بدء الخلق ١٥ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال.

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه.

وإليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث :

عقبة بن عمرو

نسبه:

عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أثيرة بن عتبة بن خدارة بن عوف بن الحرث بن الخزرج الأنصارى أبو مسعود البدرى مشهور بكنيته

حياته:

أتفقوا على أنه شهد العقبة وأختلفوا فى شهوده بدراً فقال الأكثر نزليها فنسب اليها وجزم البخارى بأنه شهدها واستدل بأحاديث أخرجها في صحيحه فى بعضها التصريح بأنه شهدها فيها حديث عروة بن الزبير عن بشير بن أبى مسعود، قال أخر المغيرة العصر فدخل عليه أبو مسعود عقبة بن عمرو جد زيد بن حسن وكان قد شهد بدراً وقال أبو عتبة بن سلام ومسلم فى الكنى شهد بدراً وقال ابن البرقى لم يذكره ابن اسحاق فيهم وورد فى عدة أحاديث أنه شهدها وقال الطبرانى أهل الكوفة يقولون شهدها ولم يذكره أهل المدينة فيهم وقال ابن سعد عن الواقدى ليس بين أصحابنا اختلاف فى انه لم يشهدها وقيل إنه نزل الكوفة وكان من أصحاب على واستخلف على الكوفة

وفاته:

قال خليفة مات قبل سنة أربعين وقال المدايني مات سنة أربعين قلت والصحيح أنه مات بعدها فقد ثبت أنه أدرك إمارة المغيرة من شعبة على الكوفة وذلك بعد سنة أربعين وقيل مات بالكوفة وقيل بالمدينة[1].

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٨٣.

معانى المفردات :

أشار : أشار اليه بيده إشارة أى لوح بشئ يفهم من النطق فالإشارة تساوى النطق فى فهم المعنى فأشار بيده أو برأسه أن يفعل أو لا يفعل فيقوم مقام النطق[١].

نحو : نحو الشئ أى قصده ، فالنحو هو القصد والجمع أنحاء ومنه النحو العربى لأن المتكلم يقصد به منهاج كلام العرب والناحية هى الجانب الذى تقصده[٢].

اليمن: أقليم معروف سمى بذلك لأنه عن يمين الشمس عند طلوعها وقيل لأنه عن يمين الكعبة[٣].

يمان: أسم يطلق على كل ما ينسب الى اليمن فيقال يمنى أو يمان[٤].

القسوة : قسا يقسو إذا صلب وأشتد فالقسوة هى الشدة والصلابة(٥)

غلظ : غلظ الرجل فهو غليظ أى أشتد . والغلظة أى الشدة من غير لين وأغلظ فى القول أى عنفه وغلظت عليه فى اليمين أى شددت عليه وأكدته [٥].

---

(١) المصباح المنير مادة(شور)

(٢) المصباح المنير مادة(نحو)

(٣) المصباح المنير مادة(يمن)

(٤) المصباح المنير مادة(يمن)

(٥) المصباح المنير مادة(غلظ)

(٦)المصباح المنير مادة(غلظ)

الفدادين: بتشديد الدال جمع فداد ولهم شدة وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة وهو من الفديد أي الصوت الشديد وهم الذين تعلوا أصواتهم وقال أبو عبيد هم المكثرون من الإبل التي يملك أحدهم من مئتين إلى الألف.

أصول أذناب الإبل: أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه فالأب أصل للولد والنهر أصل للجدول والجمع أصول والمراد أنهم يختصون مع إبلهم في الصحراء فيبعدون عن الأمصار فيجهلون معالم دينهم (1).

قرنا الشيطان: قيل جانبا رأسه وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما بتضليل الناس، والمراد بذلك اختصاص أهل المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر.

ربيعة ومضر: قبيلتان اتخذا مسكنهما في المشرق.

---

(1) المصباح المنير مادة أصل

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف حدث به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى تبوك أيام غز تبوك وأشاره صلى الله عليه وسلم بيده وهو فى تبوك نحو اليمن وقال الإيمان يمان وحاول العلماء تفسير هذا المعنى حيث ان الرسول صلى الله عليه وسلم نسب الإيمان الى اليمن فقال البعض ان الرسول صلى الله عليه وسلم قصد بذلك مكة والمدينة لأن الايمان اول ما بدأ بدأ بمـ المدينة وعندما يشير النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى تبوك الى اليمن انما قصد بذلك مكة المدينة لأنهما يقعان جهة اليمن للجالس فى تبوك فقد قصد النبى صلى الله عليه وسلم مكة المدينة واشار الى جهة اليمن لكونهما يقعا فى هذه الجهة كما يقال الركن اليمانى لأنه فى جهة اليمن وقال البعض إنما أرد بذلك مكة لأن مكة من تهامة وتهامة من ارض اليمن وقال البعض قصد بذلك المدينة لأن المدينة موطن الأنصار الذين بصروا الدين والأنصار اصلهم يمانيون نسب الإيمان اليهم وقال البعض لامانع من اجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقه لأن من اتصف بشئ ينسب هذا الشئ إليه شعارا له وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ فى حال حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفى اعقاب موته فالامام أبى هريرة وادريس القنى وأبى مسلم الخولانى كلهم من اهل اليمن

ولا مانع من ان لفظ الايمان يمانى يشمل كل هذه الآراء فهو يشمل اهل مكة واهل دينة واهل اليمن فكلهم كانوا سباقين الى الاسلام ومن المؤمنين الأوائل الذين حازوا كمال ان فاستحقوا أن يتصف الإيمان بهم وينسب إليهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن

القسوة وغلظ القلوب إنما تكون فى الفدادين رعاة الإبل والخيل والبقر الذين يعلوا صياحهم وأصواتهم لأن مواشيهم عالية الاصوات فعندما ينادون عليها تعلوا أصواتهم لكثر من اصواتهم كثر من أصوات وماشيهن فلذلك سموا بالفدادين لعلوا أصواتهم وهؤلاء القوم يكونون قساة صعب التعامل معهم لايعرفون اللين ولا الرحمة وقلوبهم بها غلظة متحجرة لا تلين ولذلك لأنهم جهلاء يهتمون بالمرعى لها ولايحصلون من العلم شئ فيكونوا جهلاء بالدين الذى هو أساس الرحمة والمغفرة ولين القلوب والألفة والمحبة أما هؤلاء فلجهلهم بالدين تجدهم قساة القلوب وهم يعيشون فى المنطقة التى تعيش فيها قبلوتى ربيعة ومضر جهة المشرق وجهة المشرق هم أنصار الشيطان وشيعة الشيطانوهم الذين يغريهم الشيطان بأغرائه فيتبعاه فلذلك سمى قرنا الشيطان والمقصود من هذه الجهة لاختصاص المشرق بمذيد من تسلط الشيطان ومن الكفر وقد خرج من جهة المشرق مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وسيخرج أيضا من هذه الجهة الدجال الذى يكثر بخروجه الفتن والفرقة بين الناس ويعيد أكثر الناس الى الكفر أعاذنا الله من فتنة الدجال ومن كل فتنة تضر بديننا.

ما يستفاد من الحديث

١- منزلة المسلمون الأوائل من أهل مكة والمدينة وعلو مكانتهم في الإيمان فاستحقوا ان ينسب الإيمان اليهم

٢- فضل أهل اليمن، وبيان رقة قلوبهم كونهم من المؤمنين الصادقين في ايمانهم

٣- الإسلام دين الرحمة والمحبة والعفو والتسامح ولين الجانب

٤-القسوة وغلظ القلوب تكون من صفات رعاة الابل والبقر والخيول وهى صفات ينهى عنها الإسلام

٥- إن جهة المشرق للشيطان عليها تسلط قوى فهم أعوان للشيطان وسيخرج من هذه الجهة الدجال(١)

---

(١) راجع الحديث في عمدة القارى ٩١/١٥ وما بعدها، ومسلم بشرح النووى ٢٩/٢ وما بعدها وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣٥/٦ وما ،

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ " [١].

ثانياً : رواية الإمام مسلم :

حَدَّثَنِى عَمْرٌو النَّاقِدُ وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِىُّ قَالاَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ (وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ) حَدَّثَنَا أَبِى عَنْ صَالِحٍ عَنِ الأَعْرَجِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الْفِقْهُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ " [٢].

والراوى الأعلى للحديث هو أبو هريرة وسبق التعريف به فى الحديث رقم (٥).

---

[١] أخرجه البخارى فى : ٦٤ – كتاب المغازى ٧٤ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه.

معانى المفردات :

أضعف : أضعفه فهو ضعيف أى عجز عن احتماله فالضعف خلاف القوة والصحة وقيل ... اللين[١].

أرق : رق الشئ أى لان ورق الكلام ترقيقاً أى حسنه وترقق له أى رق له قلبه[٢].

أفئدة : جمع الفؤاد وقيل القلب وقيل الفؤاد غير القلب وهو عين القلب وقيل باطن القلب وقيل غشاء القلب [٣].

الفقه : هو فهم الشئ وقيل هو كل علم لأى شئ وهو عنده أهل الشرع علم خاص وفقه فقها أى تعلم علماً. والمراد الفهم فى الدين وقد أصطلح بعض الفقهاء على تخصيص الفقه على إدراك الأحكام الشرعية العملية[٤].

الحكمة: العلم والتفقه " قال تعالى : ولقد آتينا لقمان الحكمة " وقيل الحكمة هى الكلام الذى يقل لفظه ويجل معناه وقيل العلم الذى يبحث فيه عن أحوال حقائق الموجودات وقيل العلم المتقن الواقى .وقال النووى : العلم المتصف بالأحكام المشتمل على معرفة الله تعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن إتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك[٥].

---

١ المصباح المنير مادة (ضعف)
٢ المصباح المنير مادة (رق)
٣ المصباح المنير مادة (فود)
٤ المصباح المنير مادة (فقه)
٥ المصباح المنير مادة (حكم)

المعنى العام للحديث

في هذا الحديث الشريف يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الأنصار الذين يرجعون في الأصل الى أصل يمني فيقول لهم أتاكم أهل اليمن وقصد بذلك إما الأنصار الذين هم من أصل يمني أو من جاء من أهل اليمن ليشهر إسلامه وليتعلم أمور دينه فأحبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وامتدحهم في هذا الحديث بأوصافه فقال أضعف قلوباً أي هم أصحاب قلوب لينه وقلوبهم ليس بها غلظ ولا شدة ولا قسوة وإنما قلوبهم بها لين وبها سرعة استجابه وتتأثر بالتذكير وهم بخلاف الفدادين غلاظ القلوب وعندما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم ضعاف القلوب وصفهم بوصف آخر فقال بأرق أفئدة والفؤاد غشاء القلب فإذا رق نفذ القول فيه ونفذ الى ما وراءه وإذا غلظ تعزز وصوله الى داخله فإذا صادف القلب شيئاً علق به إذا كان ليناً وزاد الرسول صلى الله عليه وسلم من تزكيته لأهل اليمن وإكرامه لهم بأن نسب الفقه إليهم فقال الفقه يماني أي أن أهل اليمن أصحاب فهم في الدين وهم يدركون الأحكام الشرعية العملية ويحسنون الأستدلال على عين الحكم الشرعي وأيضاً وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله والحكمة يمانية نسب اليهم أيضاً الحكمة والمقصود بها العلم المتصف بالأحكام المشتمل على معرفة الله تعالى والمصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم أهل اليمن بذلك لأنهم بادروا الى الدعوة والى قبول الإسلام وأسرعوا في قبول الإيمان وابتغوا فيه أعلى الدرجات فلذلك استحقوا

أن ينسب الإيمان إليهم وأن ينسب الفقه إليهم وأن تنسب الحكمة إليهم وذلك لبيان فضلهم وحبهم للدين وخدمتهم للإسلام.

ما يستفاد من الحديث :

١- الثناء على أهل اليمن لمبادرتهم الى الدعوة وإسراعهم إلى قبول الإيمان.

٢- لين القلوب ورقة الأفئدة تكون من الإسلام فعلى المسلم أن يسلم من غلظ القلوب وشدتها وقسوتها.

٣- الفهم في الدين لا يكون إلا بمعرفة الله سبحانه وتعالى ونفاذ البصيرة مما يترتب عليه تهذيب النفس والبعد عن إتباع الهوى [1].

---

[1] راجع شرح الحديث في عمدة القارى ١٨ / ٣٢ وما بعدها ، ومسلم بشرح النووى ٢ / ٢٠ وما بعدها. وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ٩٩/٧ وما بعدها

- باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخارى :

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة قال أخبرنى عبد الله بن عبد الله بن جبر قال سمعت أنساً عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)[١].

ثانياً : رواية الإمام مسلم :

حدثنا يحيى بن حبيب الحارثى حدثنا خالد يعنى ابن الحارث حدثنا شعبة عن عبد الله ابن عبد الله عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق.[٢].

والراوى الأعلى للحديث هو أنس بن مالك وسبق التعريف به فى الحديث رقم ٣

---

[١] أخرجه البخارى فى :٢ كتاب الإيمان ١٠ باب علامة الإيمان حب الأنصار.

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى رضى الله عنه من الإيمان وعلامته وبغضه من علامات النفاق.

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يرتبط معناه بالحديث الذى قبله اذ انه ينطق بحب الأنصار وبغضهم ولكن فى هذا الحديث زاد الرسول زيادة ليست فى الحديث الذى قبله وهى قوله : من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله. فبين لنا الرسول أن الانصار وهم الذين ناصروا دين الله سبحانه وتعالى وهم الذين جاءوا للرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة وبايعوه وطلبوا منه أن يهاجر اليهم وبايعوه على أن يحموه وان يحافظوا عليه وان يقاتلوا عدوه وان يمنعوه مما يمنعوا منه أبناءهم ونساءهم أى أن يفضلوه على انفسهم عندما عاهدوا الرسول على ذلك هاجر اليهم بأمر من الله وصدقوا فى وعدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أشهروا وأعلنوا اسلامهم وقاطعوا وحاربوا كل من لا يدين بالاسلام وبذلوا أموالهم وانفسهم فى سبيل نصرة هذا الدين وقدموا للمهاجرين من المسلمين كل عون ومساعدة لذلك كان على كل مؤمن يحب دين الله أن يحبهم لانهم أول من نصر هذا الدين وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذى يكرههم انما يكون من المنافقين الذين يبغضون هذا الدين.

وبين أيضاً أنه من زيادة فضلهم أن الله سبحانه وتعالى يحب من يحبهم لأن من يحبهم فهو مؤمن والله يحب المؤمنين وحب الله للانسان انما هو منزلة عظيمة وهو رحمه وكرم ونعمه وتفضل من الله سبحانه وتعالى واكرام وان من يبغض الأنصار ويكرههم فان الله يبغضه ويكرهه لأنه يكون منافقاً والله يكره المنافقين.

معانى المفردات :

آية: هى العلامة والأمارة والعبرة والمعجزة والمراد هنا العلامة[١].

الأنصار : هم أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ناصروه حين هاجر اليهم من قبيلتى الأوس والخزرج[٢].

النفاق : هو أن يظهر المرء خلاف ما يبطن[٣].

بغض : البغض هو أن يصبح الشئ ممقوتاً ومكروهاً والمراد هنا الكره[٤].

---

[١] المعجم الوجيز مادة (أية)

[٢] المعجم الوجيز مادة (نصر)

[٣] المعجم الوجيز مادة (نفق)

[٤] المعجم الوجيز مادة (بغض)

المعنى العام للحديث

فى هذا الحديث الشريف بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن للأنصار فضلاً كبيرا فى إظهار دين الاسلام وانتشار دعوته فقد بذلوا أموالهم وأرواحهم وممتلكاتهم فى سبيل نشر الإسلام والسعى فى إظهاره ونصره وإيواء المسلمين المهاجرين اليهم وتقديم يد العون لهم والمساعدة وقدموا أموالهم وقاسموهم اياها وبيوتهم حتى عرضوا عليهم أن يطلقوا بعض نسائهم ليتزوجها المهاجرون من المسلمين وهذا إيثار وكرم أخلاق لم تعرفه البشرية من قبل وكذا كان حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حباً جياشاً أحبوه أكثر من انفسهم وأموالهم وأولادهم وبايعوه على ذلك وبذلوا أموالهم وأنفسهم بين يديه وقاتلوا سائر الناس وقاطعوهم حباً فى الرسول صلى الله عليه وسلم . لكل هذا كان فضلهم عظيماً وكانت لهم منزلة فى الاسلام عظيمة جزاء ما قدموه لهذا الدين فيبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن من يحب الأنصار فيكون مؤمناً ملأ الايمان قلبه لأنه يحب الدين وهو الاسلام والأنصار كانوا من أقوى الأسباب لنشر هذا الدين وأكثر الناس تحمساً ونصرة لهذا الدين فلذلك كان حبهم علامة ودليلاً على إيمان الانسان وصدق إيمانه.

ويبين صلى الله عليه وسلم فى المقابلة أن آية النفاق هو بغض الأنصار فمن يكره الأنصار فهو منافق خاصة بعدما عرف فضلهم وما قدموه فى سبيل نصرة الدين والمنافقون فى الدرك الأسفل لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون فيوهمون الناس غير الحقيقة ويوقعون كثيراً من الناس فى الخطأ بسبب إظهارهم خلاف ما يبطنون لذلك كان عقابهم عظيماً وكانت درجتهم فى

النار أكثر من درجة الكفار لأن الكافر معروف ظاهر للناس أما المنافق فهو غير معروف فهو يضلل الناس ويضلهم لذلك كان عقابه أشد من عقاب الكفار.

ما يستفاد من الحديث :

١- بيان فضل الأنصار ومنزلتهم عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- أن للإيمان علامات ودلائل وأقوى هذه الدلائل هو الحب في الله وحب دين الله وحب من ينصر هذا الدين.

٣- أن للنفاق علامات وأول هذه العلامات هو كره وبغض الدين والقائمين على نشره ونصرته[1].

---

[1] نقل بتصرف من مسلم بشرح النووي ٦٣/٢ وما بعدها ، وعمدة القارئ ٢٥٧/١٦ وما بعدها، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦٢/١

﴿٩٣﴾

الحديث

أولاً: رواية الإمام البخاري:

حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة قال أخبرني عدي بن ثابت قال سمعت البراء رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أو قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"[1].

ثانياً: رواية الإمام مسلم:

حدثني زهير بن حرب قال حدثني معاذ بن معاذ وحدثنا عبيد الله بن معاذ (واللفظ له) حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت قال سمعت البراء يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأنصار (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) قال شعبه قلت لعدي سمعته من البراء قال إياي حدث[2].

---

[1] أخرجة البخاري في :٦٣ كتاب مناقب الأنصار : ٤ باب حب الأنصار.

[2] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته وبغضه من علامات النفاق.

واليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث :

البراء بن عازب

نسبه:

البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثه بن الحارث عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى يكنى أبا عمارة ويقال أبا عمرو له ولأبيه صحبة ولم يذكر ابن الكلبى فى نسبه مجدعه وهو أصوب.

حياته:

قال أحمد حدثنا يزيد عن شريك عن أبى إسحاق عن البراء قال استصغرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنا وابن عمر فردنا فلم نشهدها وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمع البراء يقول استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ورواه عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء وزاد وشهدت أحداً أخرجه السراج وروى عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة ، وفى رواية خمس عشرة بإسناده صحيح ورى عنه أنه سافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفراً أخرجه أبو ذر اللهدوى وشهد مع على الجمل وصفين ومع أبى موسى تستر وقاتل الخوارج ونزل الكوفة وابتنى بها داراً.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الأحاديث وعن أبيه وأبي بكر وعمر وغيرهم من كبار الصحابة أبي جحيفة وعبد الله بن يزيد الخطمي وجماعة فيهم أبو إسحاق السبيعي

وفاته.

مات في إمارة مصعب بن الزبير وأرخه ابن حبان سنة اثنتين وسبعين(١)

كتاب الصلاة والزكاة

الحديث

أولاً رواية الإمام البخارى :

حدثنا إسماعيلُ قالَ حَدّثنى مالكُ بنُ أنس عَنْ عَمِّهِ أبِى سُهَيْلِ بنِ مالك عَنْ أبِيه أنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ يَقُولُ جاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرُ الرَّأسِ يُسْمَعُ دَوِىُّ صَوْتِهِ ولاَ يُفْقَه ما يَقُولُ حتى دَنَا فإذا هُوَ يَسْألُ عَنِ الإسْلامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَمْسُ صَلَوات فى اليَوْمِ واللَّيْلَةِ فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُها قال لاَ إلاَّ أنْ تطوع قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وصِيَامُ رَمَضَانَ قالَ هَلْ علىَّ غَيْرُهُ قال لا إلا أنْ تَطَوَّع قال وَذَكَرَ لَهُ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الزَّكاةَ قالَ هَلْ علىَّ غَيْرُها قالَ لا إلا أنْ تَطَوَّعَ قالَ فأدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ وَاللهِ لاَ أزِيدُ عَلى هذا ولاَ أنْقصُ قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسَلَّمَ أفْلَحَ إنْ صَدَقَ[1]) .

ثانياً رواية الإمام مسلم

حدثنا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفى عن مالكُ بْنُ أنَسٍ فيما قُرِئَ عليه عن أبِى سُهَيْلٍ عَنْ أبِيهِ أنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ ابْنَ عُبَيد الله يَقُولُ جاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرُ الرأسِ نُسْمَعُ دَوِىُّ صَوْتِه ولاَ نُفْقه ما يَقُولُ حَتى دَنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هُوَ يَسْألُ عَنِ الإسْلام فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَمْسُ صَلَوات فى اليَوْمِ واللَّيْلَةِ فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُها قَال لاَ إلاَّ أنْ تطوع وصِيَامُ رَمَضَانَ فقالَ هَلْ علىَّ غَيْرُهُ فقال لا إلا أنْ تَطَوَّع وَذَكَرَ لَهُ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الزَّكاةَ فقالَ هَلْ علىَّ غَيْرُها قالَ لا إلا أنْ تَطَوَّعَ قالَ فأدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ والله لاَ أزِيدُ عَلى هذا ولا أنْقصُ منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْلَحَ إنْ صَدَقَ [2]) .

---

(١) أخرجه البخارى فى ٢ كتاب الإيمان ، ٣٤ باب الزكاة من الإسلام .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التى هى أحد أركان السلام

ر - ترجمة الراوي الأعلى للحديث

طلحة بن عبيد الله

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى اليتمى أبو محمد .

أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم سيدنا عمر عند موته .

وأمه الصعبة بنت عبدالله بن عماد بن مالك بن ربيعة بن أكبر بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف بن حضرموت بن كندة .

يعرف أبوها عبد الله بالحضرمى ويقال لها بنت الحضرمى ويعرف طلحة بطلحة الخير وطلحة الفياض وذلك عندما مر النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيان مالح فقال هو نعمان وهو طيب فغير اسمه فاشتراه طلحة ثم تصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أنت ياطلحة إلا فياض بذلك) فقيل له طلحة الفياض ويقال أن سبب إسلامه ما أخرجه ابن سعد من طريق مخرمة ابن سليمان عن أبراهيم بن محمد بن طلحة قال طلحة حضرت سوق بصره فإذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم قال طلحة نعم أنا فقال هل ظهر أحمد ؟ قلت من أحمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء ومخرجه من الحرام ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ فإياك أن تسبق إليه فوقع فى قلبى فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد الأمين تنبأ وقد تبعه بن أبى قحافة فخرجت حتى أتيت أبا بكر فخرج بى فأسلمت فأخبرته بخبر الراهب ولما قدم طلحة المدينة آخى[1] النبى صلى الله عليه وسلم بينة وبين أبى أيوب الانصارى وكان فى مكة قبل الهجرة قد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين الزبير .

وقال ابن إسحاق وموسى بن عقبة عن ابن شهاب لم يشهد طلحة بدراً لأنه كان فى تجارة للشام وقدم من الشام بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم وكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فى سهمه فقال له (لك سهمك) قال وأجرى يارسول الله قال وأجرك وشهد بعد ذلك أحد والمشاهد كلها وقد أبلى طلحة يوم أحد بلاءاً حسناً فقد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعة

وحمل النبى صلى الله عليه وسلم على ظهره حين ذهب لينهض إلى صخرة فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة يا أبا بكر؟

وقد روى طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن طلحة بنوه يحيى وموسى وعيسى بنو طلحة وقيس بن أبى حازم وأبو سلمه بن عبد الرحمن والأحنف ومالك بن أبى عامر وغيرهم.

وقال ابن السكنى يقال إن طلحة تزوج أربع نسوة عند النبى صلى الله عليه وسلم كل منهن أم كلثوم بنت أبى بكر أخت عائشة وحمنة بنت جحش أخت زينب والفارعة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة ورقية بنت أبى أمية أخت أم سلمة وكان طلحة رجلاً سخياً يعطى المال الجزيل من غير مسألة.

وفاته :-

توفى طلحة بعد أن رمى بسهم فى ركبته فى موقعة الجمل رماه به مروان بن الحكم فما زال الدم يسيح حتى مات وكان ذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ من الهجرة وله من العمر أربعة وستون سنة.

المفردات

(نجد) بفتح النون وسكون الجيم قال الجوهرى نجد من بلاد العرب وكل ما ارتفع من تهام إلى أرض العراق فهو نجد وهو مذكر قلت نجد الناحية التى بين الحجاز والعراق ويقال ما بين العراق وبين جدة وغمرة الطائف نجد ويقال هو ما بين جرش وسواد الكوفة وحده من الغرب والحجاز وفى العباب نجد من بلاد العرب خلاف الغور والغور هو تهامة وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد وهو فى الأصل ما ارتفع من الأرض والجمع نجاد ونجود وأنجد.

(ثائر الرأس) أى منتفش شعر الرأس ومنتشرة يقال ثار الغبار انتفش وفتنة ثائرة أى منتشرة قلت مادته واوية من ثار الغبار يثور ثوراً وحاصلة أن شعره متفرق منتشر من عدم الارتفاق والرفاهية.

---

(١) راجع ترجمة كلمه فى الاستيعاب ٢ / ٢١٠ والإصابة ٢ / ٢٢٠ ترجمة رقم ٢٦٦.

(دَوِيّ صوته) بفتح الدال وكسر الواو وتشديد الياء كذا هو فى عامة الروايات قال الخطابى الدوى صوت مرتفع متكرر لا يُفهم وانما كان كذلك لانه نادى من بعد ويقال الدوى بعد الصوت فى الهواء وعلوه ومعناه صوت شديد لا يفهم منه شئ كدوى النحل وقال الشيخ قطب الدين هو شدة الصوت وبعده فى الهواء مأخوذ من دوى الرعد ويقال هو شدة صوت لا يفهم وقال الجوهرى دوى الريح حفيفها والدوى أيضاً السحاب ذو الرعد المرتجس.

(لا يفقـه) لا يفهم من الفقه وهو الفهم.

(دنـــا) من الدنو وهو التقرب.

(تطـــوع) بتشديد الطاء والواو وأصله تتطوع بتائين فادغمت احدى التائين فى الطاء ومعناه أن تفعل الفعل بطواعيتك وفى ماضيه لغتان تطوع وأطوع.

(فـأدبر) من الإدبار وهو التولى وهو من اعطاء الدبر أى أعرض وأعطاك ظهره وانصرف أو أنهى مهمته وانصرف.

(أفلـح) أفلح من الإفلاح وهو الفوز والبقاء وقيل هو الظفر وإدراك البغيه وقيل هو عبارة عن أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغناء بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل قالوا ولا كلمه فى اللغه أجمع للخيرات منه والعرب تقول لكل من أصاب خيراً مفلح وقال ابن دريد أفلح الرجل وأنجح أدرك مطلوبه[1].

(صـدق) وفى بما تعهد به وفعل ما قاله له الرسول صلى الله عليه وسلم وطبق فعله قوله.

(١) عمدة القارى ١ / ٢٦٦.

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يوضح ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الحلم فى معاملة الوافدين عليه ومن سعة صدره صلى الله عليه وسلم ومدى حرصه على تبليغ قواعد الإسلام لمن يدخلون فى دين الله وهذا يتضح من هذا الحديث الذى نحن بصدده والذى يوضح لنا أيضاً ما كان عليه أهل البادية من غلظة فى القول وسوء فى المعاملة ولكن سعة صدر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تسع هؤلاء جميعاً فيجيبهم ويعلمهم أمور دينهم ويقبل منهم كلامهم وأفعالهم دون أن يعنفهم أو يظهر لهم عدم انشراحه للقائهم .

وهذه المرة يأتيه رجل من أهل نجد ونجد هى المنطقة الصحراوية المرتفعة التى كانت بين أرض الحجاز والعراق وهى من بلاد العرب وأهلها كانوا قديماً يتعاملون بغلظة فيأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل نجد وهذا الرجل هو ضمام ابن ثعلبة و وافد بن سعد بن بكر وقد سماه البخارى فى حديث آخر تابع لهذا الحديث وهذا الرجل يدخل على الرسول صلى الله عليه وسلم منتفش شعر الرأس ويتكلم من بعيد بصوت عال ومتكرر حتى يسمع هذا الصوت وكأنه دوى فلا يفهم من صوته هذا ما يقول وظل على هذه الحالة إلى أن دنا وقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندئذ سمع صوته وفهم ما يقول فإذا به يسأل عن الإسلام وعند سؤاله عن الإسلام فهم الرسول صلى الله عليه وسلم منه أنه يقصد من سؤاله عن أركان الإسلام وعباداته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس صلوات فى اليوم والليلة) ومن هذا نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبدأه بأول ركن من أركان الإسلام وهو الشهادتان وذلك لأن الرجل كان مسلماً ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم فمعنى ذلك أنه كان ناطقاً بالشهادتين ومقرٌّ بهما وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين له ما بعد ذلك فأخبره بأن الله شرع على كل مسلم خمس صلوات مفروضة فى كل يوم وليلة لا تسقط عن أى شخص مهما كان فقال الرجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هل علىّ غيرها أى هل يجب علىّ أكثر من خمس صلوات فى اليوم والليلة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (لا إلا أن تتطوع) أى لا يجب عليك إلا خمس صلوات ولكن يستحب لك أن تتطوع بصلوات كسنن ونوافل إذا أردت زيادة فى الثواب والأجر وإذا لم تفعل هذه الزيادة فليس عليك عقاب أو ذنب وإنما تعاقب إذا قصرت فى هذه الخمس .

ثم بعد ذلك أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم عن ركن آخر من أركان

الإسلام وهو صيام شهر رمضان ووضح له أن الله تعالى فرض على كل مسلم خمس صلوات فى اليوم والليله وصيام شهر رمضان من كل عام فقال الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم هل علىّ غيره أى هل يجب علىّ أن أصوم فى العام غير شهر رمضان فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم (لا إلا أن تتطوع) أى لا يجب عليك صيام غير شهر رمضان ولكن إذا أردت المزيد من ثواب الله ورضائه فلك أن تصوم أياماً كثيرة فى السنة غير هذا الشهر مثل صوم يوم الاثنين والخميس أو صوم يوم عاشوراء أو صوم يوم عرفة لغير الحاج وغيرها من الأيام التى سن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم لنا صيامها فإذا فعلت وصمت هذه السنن أثابك الله عليها وإن لم تفعل فليس عليك وزر .

ثم بعد ذلك ذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم ركناً آخر من أركان الإسلام وهو الزكاة وبين له أن الله شرع الزكاة كنظام التكامل الاجتماعى فهى مال يأخذ من أغنياء المسلمين ويوزع على فقرائهم ولا تجب الزكاة الا على من ملك نصاب الزكاة وهو أربعون درهم من الفضة الخالص أو عشرون مثقال من الذهب فقال الرجل هل علىّ غيره فقال له صلى الله عليه وسلم (لا إلا أن تتطوع) أى لا يجب عليك فى مالك غير الزكاة وهو ٢,٥ ٪ فى المال الذى حال عليه الحول أما إذا أردت أن تتقرب إلى الله وتتصدق كصدقة تطوع يزيدك الله فى أجرك فهذا مستحب تثاب عليه ولا يجب عليك فإذا فعلته أثبت وإذا لم تفعله لم تعاقب .

ونلاحظ من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر الحج فلم يذكره الرجل كما ذكر الصوم والصلاة والزكاة والسبب فى ذلك كما قال العلماء إما لأن الحج لم يكن قد فرض حيث سأل هذا السائل وإما لأن الرجل سأل عن حاله هو بقوله هل علىّ غيرها فأجاب عليه السلام بما عرف من حاله ولعله ممن لم يكن الحج واجباً عليه وذلك لأن الحج لا يجب إلا على المستطيع أما غير المستطيع فلا يجب عليه الحج وهذا الرجل جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى هيئة غير المستطيع وكان يسأل عن الواجبات فقط .

وبعد أن أتم النبى مقالته أدبر الرجل وأعطى الجالسين ظهره إذاناً بالانصراف وهو يقول أيضاً عند انصرافه ويقسم على نفسه يقول والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص أى لا أفعل غير الذى أوجب الله علىّ ولا أنقص شيئاً من هذه الواجبات التى أوجبها الله علىّ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أفلح إن صدق) أى فاز وظفر وأدرك بغيته وهى دخوله الجنة إن صدق فى قوله ووفى بما تعهد به على نفسه بأن يفعل جميع ما أوجبه الله عليه ولا ينقص منه شيئاً .

المسائل الفقهية المتعلقة بهذا الحديث

استدل الفقهاء على أن الصلاة التى هى ركن من أركان الإسلام هى الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة على كل مكلف بها وقولنا بها يخرج الحائض والنفساء فإنها مكلفة بأحكام الشرع إلا الصلاة وقت الحيض ووقت النفاس فلم يكلفها الله بها فى الحيض والنفاس ولم يوجب عليها إعادتها بخلاف الصيام الذى يجب عليها إعادته بعد الطهر واستدل بهذا الحديث العلماء أيضاً على أن وجوب صلاة الليل والتهجد بالليل منسوخ من حق الأمة وهذا مجمع عليه واختلف قول الشافعى رحمه الله فى نسخه فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحح نسخه واستدل العلماء على أن صلاة الوتر ليست بواجبة وأن صلاة العيد ليست بواجبة وهذا مذهب الجماهير وذهب أبو حنيفة رحمه الله والطائفة إلى وجوب الوتر وذهب أبو سعيد الأصطخرى من صحاب الشافعى إلى أن صلاة العيد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين واستدلوا أيضاً لهذا الحديث على عدم وجوب صوم يوم عاشوراء ولا غيره سوى شهر رمضان وهذا مجمع عليه واختلف العلماء هل كان يوم عاشوراء واجباً قبل إيجاب شهر رمضان أم كان الأمر به ندباً فعند الشافعى فى الأظهر ما كان واجباً وعند أبى حنيفة رضى الله عنه كان واجباً وهو وجه للشافعى أيضاً أضعف من رأيه الأول وفيه أيضاً أنه ليس فى المال حق سوى الزكاة على من ملك نصاباً وتم عليه الحول واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا إلا أن تطوع) فهذا الاستثناء يجوز أن يكون منقطعاً بمعنى ويجوز أن يكون متصلاً بمعنى واختارت الشافعية الانقطاع والمعنى لكن استحب لك إن تطوع واختارت الحنفية الإتصال فإنه هو الأصل فى الاستثناء ويستدل به أن من شرع فى صلاة نفل أو صيام نفل وجب عليه إتمامه وأجابوا الشافعية على ذلك فقالوا لا تلزم النوافل بالشروع ولكن يستحب له الإتمام ولا يجب بل يجوز قطعه (١) .

---

(١) راجع عمدة القارى ١ / ٢٦٧ وما بعدها وفتح البارى ١ / ٨٧ وما بعدها مسلم بشرح النووى ١ / ١٦٦ وما بعدها

ما يستفاد من الحديث

(١) سعة صدر النبى صلى الله عليه وسلم وحلمه وصبره على تبليغ شرع الله لأمته

(٢) أن الصلاة والزكاة والصيام من أركان الإسلام ولا يتم إسلام المرء إلا بفعلها .

(٣) جواز السفر والارتحال من بلد إلى بلد لطلب العلم وهو أمر مندوب .

(٤) جواز الحلف بغير الله تعالى من غير استحلاف ولا ضرورة لأن الرجل حلف فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه .

(٥) أن الله يعاقب على ترك الفرائض أو التهاون فيها بخلاف السنة فإن فاعلها يثاب وتاركها لا يعاقب .

(٦) يستحب للمسلم أن يأتى بالنوافل والسنن والتطوع فى الصلاة والزكاة وغيرها لأن فى هذا زيادة فى أجره ومنزلته عند الله تعالى .

(٤) باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة

الحديث رقم

أولا رواية الإمام البخاري

حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال أخبرني ابن عثمان قال سمعت موسى بن طلحة عن أبي أيوب قال : - قيل يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، حدثني عبد الرحمن حدثنا بهز حدثنا شعبة حدثنا ابن عثمان بن عبد الله بن موهب وأبو عثمان بن عبد الله أنهما سمعا موسى بن طلحة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم ماله ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أرب ماله)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها)) قال كأنه كان على راحلته (١) .

ثانيا رواية الامام مسلم : -

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي حدثنا عمر بن عثمان حدثنا موسى ابن طلحة قال حدثني أبو أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار قال فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال لقد وفق أو لقد هدى قال كيف قلت قال فأعاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة)) (٢) .

وإليك ترجمة الراوى الأعلى للحديث .

أبو أيوب الانصارى

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن كعب بن عبد عوف بن غنيم بن مالك بن النجار وغلبت عليه كنيته وأمه هند بنت سعد بن عمر بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر . شهد أبو أيوب العقبة وبدراً وأحد والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجراً من مكة فعندما خرج

(١) أخرجه البخارى فى ٧٨ / كتاب الأدب : ١٠ - باب فضل صلة الرحم وفى كتاب الزكاة

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان فى باب الإيمان الذى يدخل الجنة .

صلى الله عليه وسلم من بنى عمر بن عوف فى قباء ودخل المدينة نزل فى بيت أبى أيوب الأنصارى فلم يزل عنده حتى بنى مسجداً فى تلك السنة وبنى مساكنه ثم انتقل صلى الله عليه وسلم إلى مسكنه ويروى إن أبا أيوب قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا الأسفل وكنت فى الغرفة فاهُريق ماء فى الغرفة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة نتتبع الماء شفقةً أن يُخلصَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا مُشفق فقلت يارسول الله أنه ليس ينبغى أن نكون فوقك انتقل إلى الغرفة فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بمتاعه أن ينقل ومَتاعُهُ قليل .

وروى عن سعيد بن المسيب أن ابا أيوب أخذ من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له (لا يصيبك السوء يا ابا أيوب) وشهد أبو أيوب الفتوحات كلها وداوم على الغزو واستخلفه علىّ على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد وشهد معه قتال الخوارج .

وفاته : - توفى أبو أيوب بالقسطنطينية سنة خمسين أو إحدى وخمسين من الهجرة وكان ذلك فى خلافة معاوية وكان فى الجيش تحت راية يزيد فمرض فلما ثقل قال لأصحابه إذا أنا مت فاحملونى فإذا صاففتم العدو فادفنونى تحت أقدامهم ففعلوا .

وقبر أبو أيوب قرب سور القسطنطينية ومعلوم إلى اليوم يعظمه الناس هناك (١) .

المفردات

(أعرابيا) بفتح الهمزة وهو البدوى الذى يسكن البادية وتكون طباعه خشنة مع الغلظة فى القول

(ماله ماله) كلمة ما للاستفهام والتكرار للتاكيد وهى بمعنى أى شىء جرى له

(أرب ماله) أى له حاجة وهذه العبارة عبارة عربية فصيحة والأرب هو الدهاء ويقال ذو أرب أى ذو عقل ومنه الأريب وهو العاقل والأرب أيضا الحاجة وقالها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تعجب الصحابة من فعل الأعرابى وإمساكه لناقة الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لهم الرسول أن له حاجة وله طلب يسأل عنه وقال الأصمعى أرب الرجل فى الشىء إذا صار ماهرا فيه فيكون المعنى التعجب من فطنته والتهدى إلى موضع حاجته فلذلك قال ماله بالاستفهام .

---

(١) راجع ترجمة أبى أيوب فى الاستيعاب ١/١٠٢ وما بعدها ٥/٤٢ ، الإصابة ١/٤٠٤ ترجمة رقم ٢٠١٦٣

(بخِطام) بكسر الخاء كما قال الهروى وقال الأزهرى الخطام هو الذى يخطم به البعير وهو أن يأخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجل فى أحد طرفيه حلقة يسلك فيها الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يثنى البعير ثم يقيد على مخطمه

(بزمامها) وهو الحبل الدقيق الذى يجعل فى الأنف للابل هذا كلام الهروى وقال صاحبه المطالع الزمام للأبل ما تُشد به رؤسها من حبل وسير ونحوه لتقاد به .

(زرها) أى دع الراحلة واتركها لأن الرجل كان آخذاً بزمام راحلة النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى بعد الجواب دع زمام الراحلة (١) .

(١) راجع المفردات فى اللؤلؤ والمرجان ١/٢ ومسلم بشرح النووى ١٧٢/١ .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يبين لنا ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كريم الأخلاق وحرصه الشديد على تبليغ تعاليم ديننا الحنيف إلى أمته فيروى لنا الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسافر ذات يوم وهو راكب ناقته يتعرض له أعرابى من سكان البادية الذين عُرف عنه خشانة الطبع والقسوة فى المعاملة وسوء الأدب فى الحديث فيمسك هذا الأعرابى بزمام ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ويوقف الناقة عن السير فيتعجب الصحابة رضى الله عنهم من هذا الفعل ويسأل بعضهم بعضا بعبارة التعجب ماله ماله فيجيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما يزيل تعجبهم ويقول لهم أرب ماله أى أن له حاجة وله سؤال يسأل عنه فلا تتعجبوا ولا تنزعجوا واسمعوا إلى سؤاله فإذا بالرجل يسأل الرسول صلى الله علي وسلم بقوله يا رسول الله أو ناداه باسمه الشريف مجرداً كعادة الأعراب فى سوء معاملتهم وأدبهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار ورغم سوء أدب الرجل فى مخاطبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه وجد سعة صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ورحابه وكريم أخلاقه فلم يعنفه أو يزجره أو يلفت وجهه عنه ولكنه صلى الله عليه وسلم أعجب بسؤال الرجل لأنه يسأل عن الأعمال التى إذا فعلها دخل الجنة ويسأل عن الأعمال التى إذا اجتنبها بعد عن النار وعذاب الله وعقابه فهو رجل مهتم بدينه طالبٌ ما يرضى ربه عنه فيفعله وما يغضب ربه عليه فيبتعد عنه وهو سؤال يهم كل مسلم ومسلمة فلذلك نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجبه على الفور ولكنه سكت سكتة لطيفة ونظر إلى أصحابه وهذه النظرة ليلفت اهتمامهم ويشد انتباههم لهذا السؤال ثم أخبره بأن الرجل قد وفق فى سؤاله وقد هداه الله إلى طاعته وإلى أن يسأل سؤالا وإن كان فى ظاهره البساطة إلا أنه فى غاية الأهمية لأن غايتنا جميعا وغاية كل مسلم إلى أن تقوم الساعة هى دخول الجنة والبعد عن النار ولم يصطبر الأعرابى على سكتة الرسول صلى الله عليه وسلم التى أراد بها جذب انتباه الصحابة فأعاد السؤال مرة أخرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله لا تشرك به شيئاً والعبادة هى الطاعة والخشوع والخضوع والتزلل إلية سبحانه وتعالى وحبه مع الإقرار بوحدانيته وتنزيه عن الشريك وأنه تعالى متفرد فى كونه يفعل ما يشاء ويختار ولا يشاركه أحد فى ملكه فهو الذى بيده النفع والضر ثم بعد ذلك أمره

الرسول صلى اله عليه وسلم بإقامة الصلاة وهى الركن الثانى من أركان الإسلام وهى الصلة بين العبد وربه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة أى تؤديها على أكمل وجه وتحافظ على أوقاتها وتداوم عليها وبعد الصلاة أمره عليه السلام بإيتاء الزكاة وهى حق الله تعالى فيما شرعه فى مال الاغنياء للفقراء وهى ركن من أركان الاسلام بإخراجها يطهر الله المال وينميه ويبارك فيه وهى دليل على صدق إيمان العبد وذلك لأن النفس البشرية جبلت على حب المال ثم بعد ذلك قال له الرسول صلى الله عليه وسلم وتصل الرحم وقبل أن أتكلم عن صلة الرحم أحب أبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر ركنين من أركان الإسلام ويأمر الرجل بهما وهما الصيام والحج ولعل السبب فى ذلك أنهما لم يكونا شرعا فى هذا الوقت عند سؤال الرجل أو أن الرجل كان بسيطاً غير مستطيع فلم يأمره الرسول بالحج لذلك لأن الحج فرض على المستطيع وأما الصيام فلعله كان من الصائمين وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم حال المخاطبين له والأمور التى يقصرون فيها فلذلك نجده صلى الله عليه وسلم تختلف إيجاباته من شخص إلى آخر فيجيب كل إنسان بما يصلح حاله وبما يجبر الجانب الذى قصر فيه فلذلك نجده هنا فى هذا الحديث يأمر الرجل ويوصيه بصلة رحمه وهم أقارب الإنسان الذين تربطهم بالإنسان صلة الرحم فيجب على الإنسان أن يحسن إلى أقاربه وأن ينفق عليهم إذا كانوا فى حاجة فهذا هو صلة الرحم لهم وإن كانوا فى غير حاجة فيجب عليه زيارتهم والسلام عليهم والاستفسار عن أحوالهم وطاعتهم فهذا هو صلة لهم وقد أوصانا الإسلام كثيرا بصلة الرحم حيث يقول المولى تعالى ((النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)) (١) .

وكثيرا من الآيات التى تحث على صلة الرحم وأيضا ومن الأحاديث الكثيرة التى تحث على صلة الرحم . ثم بعد ذلك وبعد أن أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم على سؤاله لقد كان الرجل ماسكا بزمام الناقة ليتمكن من السؤال بدون مشقة فبعد الإجابة أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك زمام الناقة ويدعها تسير

---

(١) سورة الأحزاب آية (٦) .

المباحث الفقهية

إستنبط العلماء أراءاً فقهية من هذا الحديث فى حكم صلة الرحم قال القاضى عياض ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة قال والأحاديث فى هذا الباب هذا تشهد لذلك ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو باللسان ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لا يسمى واصلاً قال واختلفوا فى حد الرحم التى تجب صلتها فقيل هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتها فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ونحوه وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال وقيل هو عام فى كل رحم من ذوى الارحام فى الميراث يستوى المحرم وغيره ويدل عليه هذا الحديث (١) .

ما يستفاد من الحديث

(١) بيان ما كان عليه الأعراب من غلظة وسوء معاملة .

(٢) حلم الرسول صلى الله عليه وسلم وكرمه وحسن خلقه وتحمله الكثير فى سبيل إيصال تعاليم هذا الدين الحنيف إلى أمته .

(٣) أن من سئل عن شيء وكان يعرف الإجابة فيجب عليه أن يجيب ولا يعتزر لأى سبب كسوء أدب السائل وغير ذلك .

(٤) أن من لم يعرف حكما فيجب عليه السؤال عنه لكى لا يكون مقصراً فى حق دينه ونفسه .

(٥) أن الشهادتين والصلاة والزكاة من أركان الإسلام الهامة التى أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) الحث على صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب فذلك ما ينجى من عذاب الله يوم القيامة ويقرب الإنسان من الجنة .

---

(١) مسلم بشرح النووى جزء ١٦/٢

(الحديث رقم ٣٣)

أولا رواية الإمام البخارى

((حدثنى محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا وهيب عن يحيى بن سعيد بن حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابياً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا فلما ولى قال النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)) (١).

ثانياً : رواية الإمام مسلم

حدثنى أبو بكر بن أسحاق حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا يحيى بن سعيد عن أبى زرعة عن أبى هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه فلما ولى قال النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا" (٢).

والراوى الأعلى للحديث وهو أبو هريرة رضى الله عنه وقد سبق التعريف به فى حديث رقم ٤ .

---

(١) أخرجه البخارى فى ٢٤ - كتاب الزكاة : ١ - باب وجوب الزكاة

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب الإيمان الذى يدخل به الجنة .

المفردات

(أعرابيا) وهو الذى يسكن البادية وقد تقدم الكلام عنه .

(دلني) أى أرشدنى وأهدنى قال أبو عبيد الدل قريب المعنى من الهدى ودله على الطريق يدله بالضم (١) .

(ولى) أى أدبر وانصرف شاربا ومن قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها) (٢) أى مستقبلها بوجهه (٣) .

---

(١) مختار الصحاح مادة دلل

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨ . (٣) مختار الصحاح مادة ولى .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يبين لنا ما كان عليه الأعراب من كثرة السؤال عن أمور دينهم وعلى ما يقرب بهم من الجنة ويبعدهم من النار ويدلهم ويرشدهم ويهديهم إلى الطريق المستقيم وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأم من كثرة سؤالهم ولكنه كان يفرح لسؤالهم ولحرصهم على تعاليم دينهم فهذا الأعرابى يسأله أن يدله ويرشده ويهديه إلى العمل الذى إذا فعله دخل الجنة وكان من أهلها وقد ذكر بعض شراح الحديث أن هذا الأعرابى الذى سأل فى هذا الحديث هو سعد بن الأخرم قال الذهبى سعد بن الأخرم أبو المغيرة نزل الكوفة وقال البعض إن السائل هو ابن المنتفق وزعم الصديفينى أن اسم ابن المنتفق هذا القيط بن صبرة وافد بنى المنتفق والخلاف فى اسم لا يهم المهم أن الرجل سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضح له الطريق ويرشده إلى العمل الذى إذا عمله واظب عليه كان من أهل الجنة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " تعبد الله ولا تشرك به شيئاً " أى تطيع الله وتخضع لجلاله وتقر بوأحدانيته وأنه واحد لا شريك له فى ملكه ولا منازع له فى سلطانه والكل تحت لوائه عبيد له وهذه أسمى المراتب وهى مرتبة العبودية لله تعالى فهو سبحانه وتعالى الخالق والرازق والمتصرف فى أمور الكون كلها . وبعد ذلك أرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الركن الثانى من أركان الاسلام فقال له " وتقيم الصلاة المكتوبة " أى تحافظ عليها وتؤديها على أكمل وجه وتداوم على الصلاة المفروضة عليك وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة يحاسبك الله على التقصير فيها وإذا أردت أن تزيد وتأتى بالنوافل فهو أفضل لك ونظراً لأهمية الصلاة لأنها هى الصلة بين العبد وربه نجد الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يوصى بها وان اختلفت الروايات لكننا نجد اتفاقا فى وصيته صلى الله عليه وسلم على الصلاة المكتوبة . وبعد الصلاة أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم بأداء الزكاة المفروضة والزكاة هى الركن الثالث من أركان الاسلام فيجب على الإنسان أن يحسب مقدار ما عليه من الزكاة التى فرضها الله عليه ويخرجها ثم بعد ذلك يتصدق بما شاء تطوعاً والزكاة هى طهارة للمال وبركة ونماء وزيادة . وبعد الزكاة أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم بصوم شهر رمضان من كل عام وهو الركن الرابع من أركان الاسلام وفى الصوم يتجلى الإخلاص فى العبادة لأن الصوم سر بين العبد وربه وهو لا يسقط على أى انسان بأى حال عن

الأحوال فالمريض والمسافر والحائض والنفساء يجب عليهم القضاء عند إزالة السبب الذى منعهم من الصيام وأما المريض الذى لا يرجى برئه فعليه أن يخرج عن كل يوم فطره إطعام مسكين مما يطعم هو . وبعد ذلك ولى الرجل وانصرف متجها إلى حيث أتى ولم يذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم الحج وهو الركن الخامس من أركان الاسلام والسبب فى ذلك كما وضحت بعض روايات الحديث أن السائل سأل هذا السؤال بعرفات وكان واقفاً مع الرسول صلى الله عليه وسلم وحاجاً معه فى حجة الوداع وفى هذه الأحاديث نجد بعض الروايات أتت بزيادة وبعضها لم يأت بها فبعضها ذكر الصوم والبعض لم يذكر الصوم والبعض ذكر صلة الرحم والبعض لم يذكره وكذا الزكاة وغيرها والسبب فى ذلك كما قال القاضى عياض ولخصه ابن الصلاح فقال ليس هذا باختلاف صادر من الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو من تفاوت الرواة فى الحفظ والضبط فمنهم من قصر فاقتصر على ما حفظه فأداه ولم يتعرض لما زاد غيره بنفى ولا إثبات وقد استحسن هذا النووى ويقول العينى فى عمدة القارىء والأحسن أن يقال أن رواة هذه الأحاديث متعددة وكل ما روى واحد منهم بزيادة على ما رواه غيره أو بنقص لم يكن بتقصير الراوى وإنما وقع ذلك بحسب اختلاف الموقع والزمان أ هـ وأضيف إلى ما قاله العينى وبحسب اختلاف حالة السائل والأشياء التى يقصر فيها فكل أجاب له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمهم بالنسبة له .

وبعد أن انصرف الرجل أقسم بالله وأخذ عهداً على نفسه بأنه لا يزيد على ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينقص مما سمع شيئاً أى أنه سيكتفى بالفرائض ولا يأت بالنوافل كما فعل أهل الكتاب .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا أى من يريد أن يسعد برؤية أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل وفيه إشارة وتبشير إلى أن هذا الرجل من أهل الجنة وكأن الله سبحانه وتعالى أطلع النبى صلى الله عليه وسلم بأن هذا الرجل سيوفى بما إلتزم به وسيداوم عليه ويدخل الجنة (١) .

---

(١) راجع عمدة القارى ٢٤١/٨ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ١٧٤/١ وما بعدها.

ما يستفاد من الحديث

١ – حرص الأعراب على معرفة دينهم وما يقربهم من الجنة وعلى معرفة الأعمال التى ترضى الله عز وجل .

٢ – أن من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله وصلى وزكى وصام وحج إن استطاع دخل الجنة .

٣ – أنه يجب على المسلم أن يسأل عن أمور دينه .

٤ – فيه البشارة والتبشير للمؤمن الذى يؤدى الواجبات بأنه سيدخل الجنة إن شاء الله .

٥ – أن كثيراً من الصحابة بشروا بالجنة غير العشرة المبشرين بالجنة وأن العشرة بشروا بالجنة دفعة واحدة أما الباقين فبشروا فرادى وفى أوقات متعددة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(م) باب قول النبى صلى الله عليه وسلم
بنى الاسلام على خمس

الحديث رقم (م)

أولاً : رواية الإمام البخارى ((حدثنا عُبيد الله بن موسى قال أخبرنا حَنْظَلَةُ بْنُ أبِى سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنُ خَالد عَنْ ابْن عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ " بُنِىَ الإِسْلاَمُ عَلى خَمْسٍ : شَهَادةِ أَنْ لاَ إِلَه إلاَ اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ ، وإِيقامِ الصَّلاَة وإِيتاءِ الزَّكَاة ، والحجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) (١) .

ثانيا : رواية الإمام مسلم : حدثنا عُبيد الله بن مُعاذ ، حدثنا أبِى حدثنا عاصمُ ، وهو ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمرَ عن أبيه قال : قال عبدُ الله : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " بُنِىَ الإسلامُ على خمسٍ : شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسوله ، وإيقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وحجُّ البيت وصومُ رمضان " (٢) .

وإليك ترجمة الراوى الأعلى للحديث وهو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر :

عبد الله بن عمر

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي أخت عثمان بن مظعون .

مولده :

ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من البعثة وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد وهو ابن أربعة عشر عاما فلم يجزه وعرض عليه فى غزوة الخندق فأجازه الرسول صلى الله عليه وسلم فشهدها وشهد جميع المعارك بعد الخندق مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد انتقال الرسول شهد اليرموك وفتح مصر وفتح أفريقية وهو أحد العبادلة الأربعة الذين اشتهروا بالإفتاء . والثلاثة الباقون هم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبير .

---

(١) أخرجه البخارى فى ٢ – كتاب الإيمان : ٢ – باب دعاؤكم إيمانكم .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام .

إقتداؤه بالرسول صلى الله عليه وسلم : -

لقد كان عبد الله بن عمر شديد التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عن نفسه لقد بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم فما نكث وما بدلت إلى يومى هذا وما بايعت صاحب فتنة ولا أيقظت مؤمناً من مرقده فمن هذه الكلمات نستشف وثيقة صلته بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان يصنع فى كل أفعاله مثل ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالإسلام فإذا رأى فى مكان كانت ناقة الرسول قد دارت فيه قبل أن ينزل الرسول صلى الله عليه وسلم من فوق ظهرها فكان عبد الله إذا بلغ هذا المكان لا ينزل حتى يدور ناقته كما دارت ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما سئل عن ذلك قال لعل قدم يقع على قدم وقالت عنه السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ما كان أحد يتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم فى منازله كما كان يتبعه ابن عمر وكان عبد الله بن عمر إذا رأى فى أحد عبيده ما يدل على علامات الصلاة وكثرة ملازمة المسجد فكان يعتقه لوجه الله فعلم بذلك عبيده فكان الواحد منهم إذا أراد أن يعتق تظاهر بالصلاة وبملازمة المسجد فكان يعتقه ابن عمر فقال له أصحابه ياابن عمر إن عبيدك ما بهم من صلاح وإنما هم يخدعونك فقال عبد الله بن عمر من خدعنا بالله خدعنا له

كثرة مروياته : -

لقد كان عبد الله بن عمر من المكثرين من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبيه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وعن عمه زيد بن الخطاب وأخته أم المؤمنين السيدة حفصة وعن أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وأبى ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبى هريرة وعائشة وقد روى عنه الكثير فمن الصحابة عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله والأغر المزنى وغيرهم ومن التابعين أولاده الأربعة بلال وحمزة وسالم وعبد الله ونافع مولاه وأسلم مولى عمر ومصعب ابن سعد وسعيد بن المسيب وغيرهم وقد أقام عمراً طويلاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث الناس ويبلغهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على مدى ستين سنة . وقد روى من الأحاديث حوالى ألفين وستمائة وثلاثين حديثاً (٢٦٣٠) .

وفاته :

أنكر عبد الله بن عمر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل ابن الزبير فأمر الحجاج رجلاً من الشام وضربه بحربة مسمومة فى رجله فأوصى عبد الله ابنه سالم أن يدفنه خارجاً من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم بفخ فى مقبرة المهاجرين (١) وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين من الهجرة (٢) .

المفردات

(بُنى) : من بَنَى يبنى بناء يقال : بَنِىَ فلان بيتاً من البنيان ويقال : بنيته بناء ، وبنى بكسر الباء وبُنى بالضم وبنية :

(إيقام الصلاة) : فعله من صلى ، وكالزكاة من زكى ، قال الزمخشرى : وكتبتها بالواو على لفظ المفخم ، بحقيقة صلى حرك الصلوين ، لأن المصلى يفعل ذلك ، قلت الصلوان تثنية الصلاة ، وهو ما عن يمين الذنب وشماله ، هذا أحد معانى الصلاة فى اللغة ، والثانية : الدعاء ، والثالثة : من صليت العصا بالنار إذا لينتها وقومتها ، فالمصلى كأنه يسعى فى تعديلها وإقامتها ، والرابعة : من صَليت الرجل النار إذا أدخلته النار أو من جعلته يصلاها ، أى يلازمها فالمصلى يدخل الصلاة ويلازمها .

(وإيتاء الزكاة) : أى إعطائها من أتاه إيتاءاً ، والزكاة فى اللغة عبارة عن الطهارة والنماء ، يقال زكى الزرع إذا نمى وزكى ماله تزكية: إذا أدى عنه زكاته ، وتزكى : أى تصدق ، وزكى نفسه تزكية مدحها ، وفى الشريعة : عبارة عن إيتاء جزء من النصاب الحولى إلى فقير غير هاشمى ، ويراعى فيها معانيها اللغوية وذلك أن المال يدخر بها أو يطهره صاحبه أو هى سبب نمائه وزيادته .

(والحج) : فى اللغة القصد ، وأصله من قولك : حججت فلاناً أحجه حجاً ، إذا عدت إليه مرة بعد أخرى فقيل حج البيت لأن الناس يأتونه فى كل

---

(١) المعرفة اليوم بالشهداء جهة الزاتر .

(٢) ترجمة عبد الله بن عمر من كتاب أسد الغابة ٢٢٧/٣ ط دار إحياء لابن حجر ٢٢٨/٢ ط بيروت وشذرات الذهب ٨١/١ ط ومنشورات دار الإقامة الجديدة بيروت .

فى كل سنة ، قال الصنعانى : هذا الأصل ، ثم تُعُرِفَ استعماله فى القصد إلى مكة للنسك تقول: حججت البيت أحجه حجاً فأنا حاج ، ويجمع على حجج ، والحجة : المرة الواحدة وفى الشريعة : هو قصد البيت الحرام للنسك فى الميقات الزمانى للحج فهو قصد مخصوص فى وقت مخصوص إلى مكان مخصوص .

(صوم رمضان) : الصوم فى اللغة الإمساك عن الطعام ، وقد صام الرجل وصيَم أيضاً ، ورجل صومان أى صائم ، وصام الفرس صوماً أى قام على غير اعتلاف ، والصوم السكوت .

والصوم فى اللغة : بمعنى السكوت ، وفى الشريعة هو إمساك عن المفطرات الثلاث نهاراً مع النية والرمضاء : أحرقته وشهر رمضان جمعه رمضانات وأرمضاء بوزن أصفياء قيل : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك (١) .

---

(١) مختار الصحاح مادة رمض صـ ٢٢٥ مكتبة لبنان .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف الذى رواه لنا الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورواه كثير من الصحابة غيره لأهميته ولأنه يتعلق بأركان الإسلام وأسسه وقواعده التى يرتكز عليها ، ففى هذا الحديث الشريف يوضح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإسلام له خمسة أركان وخمسة أعمدة ، وخمسة أسس لا يتم إسلام المرء إلا بها مكتملة فلو فعل إنسان بعض هذه الأركان وترك البعض فلا يتم إسلامه إلا باتيان هذه الأركان الخمسة ، ويشبه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام ببيت له أعمدة خمس يرتكز عليها ، أو بخيمة أقيمت على خمسة أعمدة لها عمود فى النصف وهو نقطة الارتكاز وهو الأساس لباقى الأعمدة ، ثم أربعة أعمدة أخرى تلتف حوله ويشد بعضها البعض ولا يقوم المبنى أو الخيمة إلا بإتمام هذه الأعمدة الخمس ، فشبه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام بهذا المبنى وأركان الإسلام بأعمدة هذا البناء ، وأركان الإسلام هى : تبدأ بالركن الأعظم والأساس الذى لا غنى عنه ولا يتم قبول أى عمل إلا بتكوينه وهذا الركن هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الشهادة هى أصل التوحيد ولا تنفع ولا تقبل من عبد إلا كاملة ، ومرتبطة بعضها ببعض ، فلو شهد عبد أن لا إله إلا الله ، ولم يتم الشهادة الثانية وهى محمد رسول الله فلا تقبل شهادته ولا يقبل عمله ، فأساس الأركان هذه الشهادة . ثم بعد ذلك بين الرسول صلى الله عليه وسلم الركن الثانى من أركان الإسلام وهو الصلاة ، والصلاة هى الصلة بين العبد وربه وهى أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، وهى تذكر العبد بربه دائماً فعندما يقف العبد أمام ربه فى اليوم خمس مرات فإنما هو ذاكر لربه لا يستطيع أن ينساه ، وما دام كذلك فهو لا يعصاه إذ كيف يعصى الله وهو ذاكره ، ونظراً لأهمية الصلاة نجدها جاءت فى الركن الثانى فى الإسلام ، ثم بعد ذلك بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام والزكاة قرينة الصلاة ، والزكاة تجعل المجتمع يعيش فى صفو ونظام اجتماعى بحيث لا يحقد الفقراء على الأغنياء وذلك لأنهم يعلمون أن لهم حقاً ونصيباً فى هذا المال فيفرحون إذا زاد مال الأغنياء لأن معنى ذلك أن حقهم ونصيبهم سيزيد ، وأيضاً تجعل الأغنياء ينظرون للفقراء على أنهم أناس مثلهم وأن المال الذى يأخذونه ليس تفضلاً عليهم وإنما هو حق لهم شرعه الله الذى

يعطى المال ويستطيع أن يمنعه ، إذن فالزكاة تحسن العلاقة بين طوائف الأمة وتزيد أواصر الترابط بين طبقات الأمة فلا يحقد الفقير على الغني ، ولا ينظر الغنى إلى الفقير بنظرة إقلال أو تحقير من شانه ، وبعد ذلك وضح الرسول صلى الله عليه وسلم الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الحج والحج شرعه الله على المستطيع من الامة الإسلامية والاستطاعة هنا هى المال والصحة وأمن الطريق والحج هو قصد البيت الحرام لنسك والعبادة فى الميقات الزمانى للحج وهو شهر شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة ، وفى الحج تتجلى أسس كثيرة من الأسس التى جاء بها الإسلام ففيه إخلاص النية وصدقها وأن يصحح نيته ويقصد بالحج وجه الله تعالى ، وفيه أيضاً التجرد من متاع الدنيا وزينتها والإقبال على الله بالعمل وبالقلب الخالص فقط ويتجلى ذلك فى ملابس الإحرام ، وفيه المساواة وتتجلى فى الوقوف بعرفة فيتساوى فى ذلك المشهد الناس كلهم ، لا فرق بين عربى ولا أعجمى ولا قوى ولا ضعيف ولا غنى ولا فقير ، الكل بلباس واحد وفى وقت واحد وفى مكان واحد يدعون رباً واحداً ، وفى الحج أيضاً تتجلى الطاعة الخالصة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم وعدم إعمال العقل مع النص فحين تقبل الحجر الأسود ، وحين ترجم إبليس فإنما ترجم الحجر حجراً بحجر ، فلو فتحت الباب لعقلك ما الحكمة فى ذلك فلربما أفسد اعتقادك ، ولكنك يجب أن تفعل كل هذه الأفعال لأنها صحت وثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم هناك بعض العلماء من حاول أن يوضح الحكم من هذه الأشياء ولكن علينا أن نفعلها سواء وجدنا لها حكمة أو لم نجد وذلك لأنها ثبتت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك بين الرسول صلى الله عليه وسلم الركن الخامس من أركان الإسلام وهو صيام شهر رمضان من كل عام ، والصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب وشهوة الفرج من الفجر إلى المغرب ، والصوم شرعه الله لحكم كثيرة ومن هذه الحكم عندما يحس الإنسان بالجوع ويتألم منه فعليه أن يتذكر آلاف الجوعى الذين يتألمون طول العام من الجوع ومن عدم وجود ما يقتاتون به فيجب على من يجد طعاماً يزيد عن حاجته أن يعطه لمن لا يجد ، والصوم أيضاً يجعل الإنسان يسمو بروحه ويجعله يتشبه بالملائكة كما هو معلوم لنا أن الملائكة لا تاكل ولا تشرب ولا تتناسل فالصائم يتشبه بهم ويغلب جانب الروح فيه على جانب

الجسد ، فهو يعطى للمعدة راحة من العمل بعد استمرارها فى العمل عاماً كاملاً ليلاً ونهاراً من غير توقف وهو شفاء لكثير من الأمراض .

وقد أتت بعض الروايات بتقديم الصيام على الحج لأن المشهور بين العلماء أن الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام ، والحج هو الركن الخامس ، والاختلاف فى التقديم والتأخير إنما يقع من فعل الرواة وضبطهم وقوة حفظهم . وهذه هى الأركان الخمسة والأسس الخمسة التى لا يتم إسلام المرء إلا بها ، وكل ركن من هذه الأركان والفرائض له نافلة فنافلة الركن الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التكر ، ونافلة الركن الثانى وهو الصلاة نافلته صلاة التطوع ، والصلوات التى سنها لنا الرسول صلى اله عليه وسلم من غير الصلوات الخمس ، ونافلة الركن الثالث وهو الزكاة صدقة سطوع ، ونافلة الركن الرابع وهو الصيام ، صيام أيام التطوع كالاثنين والخميس وعاشوراء وغيرها .. ونافلة الركن الخامس وهو الحج ، الحج أكثر من مرة وقد فرض الله على المستطيع حج بيته الحرام مرة فى العمر وما زاد على ذلك فهو نوافل (١) .

---

(١) راجع عمدة القارى ١١٨/١ ومسلم بشرح النووى ١٧٧/١ وفتح البارى ٤٢/١ .

المباحث الفقهية

استنبط العلماء من هذا الحديث أحكاماً فقهية وأول هذه الأحكام أنه لابد من النطق بالشهادتين ليدخل الإنسان في الإسلام ، أما من لم ينطق بالشهادتين ولم يقربهما ولو فعل أركان الإسلام لم يكن مسلماً ولا يقبل عمله ، أما باقي أركان الإسلام وهي الصلاة والزكاة والحج فلو تركها الإنسان أو ترك أياً منها كسلاً وتهاوناً فهو مسلم فاسق ، أما من تركها جحوداً ونكراناً وغير معترف بوجوبها فهو كافر بإجماع العلماء ، وظاهر الحديث أن الشخص لا يكون مسلماً عند ترك شيئاً من هذ الأركان ، ولكن العلماء أوضحوا أن المقصود أنه لا يكون مسلماً كاملاً في إسلامه ، وقد أجمع العلماء على أن العبد لا يكفر بترك شيئاً من هذه الأركان تهاوناً أو تقصيراً . أما تارك الصلاة فعند الإمام الشافعي والإمام أحمد يقتل حداً لا كفراً وإن كان روى عن أحمد وبعض المالكية كفراً ، وقوله عليه السلام " من ترك صلاة متعمداً فقد كفر " محمول على الزجر والوعيد ، أو مؤول أي إذا كان مستحلاً ، أو المراد كفران النعمة واستنبط العلماء أن هذه الأركان الخمسة فرض عين على كل مسلم ومسلمة لاتسقط بإقامته البعض عن الباقين بل يجب على كل المسلمين فعلها والإتيان بها . واستنبط العلماء أيضاً من هذا الحديث جواز إطلاق رمضان من غير ذكر شهر خلافاً لمن منع ذلك على أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى (١) . وأما بالنسبة للحج فجميع الأئمة اتفقوا على أنه الركن الخامس في الإسلام وأنه يجب على المستطيع في العمر مرة واحدة والاستطاعة تكون بالمال والزاد والراحلة وأمن الطريق والصحة ، واختلفوا في وجوبه هل يجب على الفور أم على التراخي ؟ فعند أبي يوسف ومالك أن الحج يجب على الفور وذهب الإمام أحمد والإمام الشافعي إلى أن الحج يجب على التراخي لأن الحج فرض في السنة السادسة أو السابعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قادراً على أن يحج في السنة الثامنة أو السنة التاسعة ، لكنه لم يحج إلا في السنة العاشرة ، وأجيب على هذا الرأي أنه عليه السلام كان عالماً بإدراكه ولذا أخره بخلاف غيره ومع ورود الوعيد الشديد في تأخيره بعد الوجوب كقول الرسول " من استطاع ولم يحج فليمت أن شاء يهودياً أو نصرانياً " فلهذا أرجح وجوبه على الفور .

(١) راجع عمدة القاري جـ١ /١٢٠ .

وأرى أن بعض الناس يتوسع فى الاستطاعة فمنهم من يسأل هل أزوج ابنى أو ابنتى أم أحج ؟ أو أبنى البيت أو أحج ؟ أو أغير السيارة أو غير ذلك من الكماليات فنقول لهم إن الحج ركن من أركان الاسلام لا يكمل الاسلام إلا به أما الزواج فهو سنة وباقى الأشياء عادات وكماليات لم ينهى عنها الاسلام ولكونه لم يأمر بها .

وبالنسبة للزكاة سوف أذكر مقادير الزكاة حتى تتم الفائدة .

فلقد راعى التشريع الإسلامى المصلحة العامة والتيسير على المحتاجين وعلى الموسرين فلقد فرض الله الزكاة على أصحاب الأموال فى العام مرة فلم تكن كل أسبوع أو كل شهر ونصاب الزكاة فى عدة أمور هى :

أولاً : الزروع والثمار أو التمر وغيره من الحبوب وإذا بلغ نصاب الزروع والثمار والتمر وغيره خمسة أوسق وهو ما يوازى أربعة أرادب وكيلتين بالكيل المصرى وجبت الزكاة وإذا زاد عن ذلك نزكى على الأصل ولقد ذكر الإمام النووى رحمه الله تقدير النصاب بالأرطال قال والمراد بالوسق ستون صاعاً كل صاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادى . وقد رتب الشارع الحكيم المقدار الذى يجب إخراجه بحسب المؤنه والتعب فى المال فأقلها تعبا الركاز وفيه الخمس ويليه الزروع والثمار فإن سقيت بماء السماء ونحوه ففيها العشر وإلا فنصف العشر ويلى ذلك الذهب والفضة وفيها ربع العشر ثم الماشية ويدخلها الأوقاص .

ثانيا : زكاة الإبل وهو خمس ذود أى خمسة جمال أو خمس نوق ومقدار ما يخرجه من الزكاة إذا بلغت خمساً ففيها شاة إلى أن تصل إلى عشر ففيها شاتان ففى كل خمس شاة إلى أن تبلغ خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض وهى ما بلغت من الإبل سنة ودخلت فى الثانية وإذا بلغت ستا وثلاثين ففيها بنت لبون وهى التى أتمت سنتين ودخلت فى الثالثة فإذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقه وهى التى أتمت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة فإذا بلغت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى أتمت أربع سنين ودخلت فى الخامسة فإذا بلغت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا بلغت مائة وإحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون فإذا بلغت مائة وثلاثين تغير الواجب فيخرج عن كل أربعين بنت لبون وعن كل خمسين حقة ففى مائة وثلاثين بنتا لبون وحقة وفى مائة وأربعين حقتان وبنت لبون وفى مائة وخمسين ثلاث حقاق وهكذا يتفاوت المقدار بعد كل عشرة ويعفى عما بين كل فريضة وأخرى .

زكاة البقر : لا زكاة فى البقر حتى تبلغ ثلاثين فإذا بلغت ثلاثين كان منهم " تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين فينة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان ثم يستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع

زكاة الغنم ; أول نصاب الغنم أربعون وفيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شىء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان فإذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه وفى أربعمائة وشاة أربع شياه ومازاد ففى كل مائة شاة وما بين الفريضتين معفو عنه ولا زكاه فيه ولا تجب الزكاة فى النعم إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون وأما المال فيشترط فيه أن يكون نعما سائمة باقية حولاً نصابا كاملاً مملوكا على الكمال .

الشرط الأول : كونه نعماً

فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم لأنها هى النعم أما الخيل والبغال والحمير والتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها .

الشرط الثانى : السوم فلا زكاة فى معلوفة وإذا علفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها وأسميت فى وقت فلا زكاة فيها .

الشرط الثالث : الحول : وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول " .

الشرط الرابع : كمال التعرف فيجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه هو الذى حجر على نفسه فيه ولا تجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد فتجب زكاته عند عوده .

الشرط الخامس كمال النصاب : (١) .

زكاة الفضة : الحد الأدنى للمال الذى تجب فيه الزكاة من الفضة وهو خمس أو اق مضروبة كانت أم لا والأوقية أربعون درهما فيكون النصاب مائتى درهم وهو ما يساوى ٦٢٤ جراما أربعة وعشرين وستمائة جرام فإذا نقص هذا المال عن هذه القيمة ولو قليلاً فلا تجب الزكاة فيه زكاة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليس

---

(١) إحياء علوم الدين الغزالي

من الورق صدقة . . . أما إن بلغ المال خمس أواق فأكثر فنصابه عشرون (١) مثقال خالصا (٢) وهو ما يعادل ٩٢ جراماً ... الإنسان أن يحسب نصابه بهذه القيمة سواء على حساب ثمن مقدار ٩٢ جراماً أو مقدار الفضة وهو ٦٢٤ جراماً ومن المعروف في زماننا أن الفضة أقل من الذهب بكثير وعلى هذا فمن أراد أن يستبرأ لدينه وأن ماله وأن يخرج من وضع نفسه في الشبهات وأن يتقرب إلى ربه فليتعامل على نصاب الفضة ومن حسب نصابه على ثمن مقدار نصاب الذهب فلا شيء عليه وأما بالنسبة للذهب الذي تتحلى به المرأة فليس عليه زكاة إذا كان للزينة وأما إذا كان هذا الذهب تلبسه المرأة للزينة ويستعمل كنوع من التجارة وتخزين المال فيجب فيه الزكاة .

يستفاد من الحديث

١ - أن أركان الإسلام خمسة ولا يكمل إسلام المرء إلا بها .

٢ - أن الشهادتين لا تنفصلان فلا تقبل إحداهما بدون الأخرى فمن شهد بأن لا إله إلا الله لابد وأن يقر بأن محمداً رسول الله ، ومن أقر بأن محمداً رسول الله لابد وأن يشهد أن لا إله إلا الله .

٣ - فضل الصلاة والزكاة والصوم وأنهما فرض عين على كل مسلم ومسلمة لا يسقط بأي حال من الأحوال .

٤ - أن الحج فرضه الله على المستطيع من الأمة الإسلامية ، والاستطاعة هي المال والراحلة وصحة البدن وأمن الطريق .

٥ - أن من يجحده فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة .

---

(١) ويساوي هذا المقدار ٩٢ جراما وتعرف القيمة بعملة أي بلد بقرب السعر في ٩٢ .

(٢) إحياء علوم الدين ١/٢١٠ وما بعدها . ومعالم الإسلام ص ٥٢ ومابعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦) - باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه

﴿ الحديث رقم ١١ ﴾

أولاً : رواية الإمام البخاري : حدثنا علي بن الجعد قال : ((أخبرنا شعبة عن أبي جمرة قال : كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي فأقمت معه شهرين ، ثم قال : إن وفد عبد القيس لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال : من القوم ، أو من الوفد ، قالوا : ربيعة ، قال : مرحباً بالقوم أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى ، فقالوا يارسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسألوا عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت ، وربما قال المقير ، وقال : احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم)) (١) .

ثانيـاً : رواية الإمام مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار ، وألفاظهم متقاربة قال أبو بكر : حدثنا غندر عن شعبة وقال : الآخران حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن أبي جمرة قال : كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر فقال : إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الوفد ، أو من القوم ، قالوا : ربيعة ، قال : مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى قال : فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإنا بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة قال : فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ، قال : أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال : هل تدرون ما الإيمان بالله قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام

---

(١) أخرجه البخاري في ٢ - كتاب الإيمان : ٤٠ - باب أداء الخمس من الإيمان .

الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمساً من المغنم ونهاهم
عن الدباء والحنتم والمزفت قال شعبة وربما قال النقير ، قال شعبة : وربما قال
المقير ، وقال احفظوهن وأخبروا به من وراءكم ، وقال أبو بكر في روايته من وراءكم
وليس في روايته المقير (١) .

وإليك ترجمة للراوى الأعلى للحديث وهو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس

عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو العباس وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالي .

مولده :

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين تقول أم الفضل بينما أنا مارة والنبي صلى الله عليه وسلم في الحجر فقال يا أم الفضل قلت لبيك يارسول الله قال إنك حامل بغلام قلت كيف وقد تحالفت قريش ليولدون النساء قال هو ما أقول لك فإذا وضعتيه فأتني به فلما وضعته أتيت النبي صلى الله عليه وسلم سماه عبد الله ثم قال اذهبي به فلتجدينه كيسا (٢) .

علمه : -

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عباس لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره ورغم صغر سنه إلا أنه عاشر الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم قرابته له كثير من أوقاته وأخذ عن الرسول واستفاد منه ودعا له الرسول كثيراً . يقول عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالته فوضعت له وضوءا فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وروى البخاري في سنده عن ابن عباس قال ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال اللهم علمه الحكمة وفي رواية الكتاب وقال رضي الله عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من آخر الليل فقمت وراءه فأخذني فأقامني حذاءه فلما أقبل على صلاته تخنست (تأخرت) فلما انصرف قال مالك ؟ أجعلك جذائي فتخنس قلت ما ينبغي لأحد أن يصلي جذاءك وأنت رسول الله فأعجبه فدعا

---

(١) أخرجه الامام مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .
(٢) جاقلاهضلتا حكيبا .

الله أن يزيدنى فهما وعلما . فبركة دعاء الرسول له وحبه للعلم وحرصه على على تحصيله كان ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن وقد سئل ابن عباس بم نلت العلم ؟ فقال بلسان سئول وقلب عقول .

كثرة مروياته :

عاش عبد الله بن عباس حوالى من ثمانية وخمسين عاماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبيه العباس وعبد الله بن عمر وعن أبى هريرة وعائشة عن أنس وغيرهم وقد روى عنه الكثير فمن الصحابة عبد الله بن عمر وأنس بن مالك ومن التابعين أبو الطفيل ومجاهد بن جبر المكى مولى السائب بن أبى السائب وسعيد بن جبير بن هشام الأزلى وعطاء بن أبى رباح المكى وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار وعبيد الله بن عبيد الله بن عتب وغيرهم وقد روى من الأحاديث حوالى ألف وستمائة وستين حديثا (١٦٦٠) اتفق الشيخان منها على خمسة وتسعين حديثا (٩٥) وانفرد البخارى بمائة وعشرين حديثاً (١٣٠) ومسلم بتسعة وأربعين (٤٩) .

وفاته :

كف بصره رضى الله عنه فى آخر حياته ومات بالطائف سنة ثمانى وستين من الهجرة سنة ٦٨ هـ وصلى عليه محمد بن الحنفية ودفن بالطائف (١) . وعند دفنه سمع الجميع صوتا من السماء يتلو " يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى" (٢) .

المفردات

(على سريره) : وفى العباب السرير معروف وجمعه أسرة وسُرر ، وكذلك ما أشبهه من الجمع مثل ذليل وذلك ونحوه وقيل أنه مأخوذ من السرور لأنه مجلس السرور ، قلت السرير أيضاً مستقر الرأس والعنق ، وقد يعبر بالسرير عن الملك والنعمة .

(سهماً) : أى نصيباً والجمع سُهْمانُ ، (٣) .

---

(١) راجع ترجمة عبد الله بن عباس من كتاب أسد الغابة ٢/١٩٣ ط دار إحياء التراث العربى بيروت والإصابة لابن حجر ٢/٣٢٢ ط بيروت وشذرات الذهب ١/٧٥ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .

(٢) سورة الفجر آية ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) مختار الصحاح مادة سهم ص ٢٨٠ ط بيروت .

(ترجم) : الترجمة هى التعبير عن لغة بلغة وقيل أنه كان يتكلم بالفارسية فكا
يترجم لابن عباس عمن يتكلم بها ، وقال ابن الصلاح : أنه كان يبلغ
كلام ابن عباس إلى مَنْ خفى عليه من الناس ، إما لزحام منع من
سماعه فاسمعه ، وإما الاختصار منع من فهمه فافهمه أو نحو ذلك ،
وليست الترجمة مخصوصة بتفسير لغة بلغة أخرى ، فقد أطلقوا على
قولهم باب كذا اسم الترجمة لكونه يعبر عما يذكره بعده ، وقال
النووى معناه أنه يفهمهم عنه ويفهمه عنهم والله أعلم .

(نبيذ الجر) : بفتح الجيم وهو اسم جمع الواحدة جرة ويجمع أيضاً على جرار
وهو هذا الفخار المعروف وكانوا يضعون فيه " النبيذ " : هو العنب أو
البلح فى هذه الجرار حتى ينبذ أي يسكر ، وجمعه أنبذة .

(وفد) : قال ابن سيدة يقال وفد عليه وإليه وفدا ووفودا . ووفادة ، والوفد اسم جمع
وقيل جمع ، أما الوفود فجمع وافد ، وقد أوفده إليه ، وفى الجامع للقزاز ووفودة
القوم ، والقوم يفدون وأوفدتهم أنا أيضا وواحد الوفد وافد ، وفى الصحاح وفد
فلان على الأمير رسولاً ، والجمع وفد ، وجمع الوافد أوفاد والاسم الوفادة ،
وأوفدته أنا إلى الأمير أى أرسلته ، وفى المغيث الوفد قوم يجتمعون فيريدون البلاد
وهكذا ذكره الفارسى فى مجمع الغرائب ، وقال صاحب التحرير والوفد الجماعة
المختارة من القوم ليتقدموا إلى لقى العظماء والمصير إليهم فى المهمات ، وقال
القاضى : هم القوم يأتون الملك ركابا ويؤيده ما ذكره ابن عباس فسر قوله تعالى :
" يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " (١) قال رُكبانا .

(عبد القيس) : أبو قبيلة وهو ابن أفْصى بفتح الهمزة وبسكون الفاء وبالصاد
المهملة المفتوحة ابن دُعْمىّ بضم الدال المهملة وسكون العين المهملة
وبياء النسبة ابن جليلة بفتح الجيم ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، كانوا
ينزلون البحرين وحوالى القطيف والإحساء وما بين هجر إلى الديار
المصرية .

(ربيعة) : هو ابن نزار بن معد بن عدنان ، وإنما قالوا ربيعة لأن عبد القيس من
أولاده .

---

(١) سورة مريم الآية ٨٥ .

(مرحباً) : استعملته العرب وأكثرت منه تريد به البر وحسن اللقاء ومعناه صادفت سعة ورحباً فاستأنس ولا تستوحش .

(خزايا) : جمع خزيان كحيران وحيارى ، وسكران وسكارى والخزيان المستحي ، وقيل الذليل المهان .

(ندامى) : جمع ندمان بمعنى النادم وقيل جمع نادم اتباعاً للخزايا وكان الأصل نادمين فاتبع لخزايا تحسيناً للكلام وهذا الاتباع كثير في كلام العرب ، ومعناه أنه لم يكن منكم تأخير عن الإسلام ولا عناد ولا أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تندمون عليه .

(شقة) : الشقة بضم الشين وكسرها لغتان مشهورتان أشهرهما وأفصحهما الضم ، والشقة السفر البعيد ، هكذا قاله ابن السكيت وابن قتيبة وقطرب وغيرهم ، قيل سميت شقة لانها تشق على الإنسان ، وقيل هي المسافة ، وقيل الغاية التي يخرج الإنسان إليها فعلى القول الأول يكون قولهم بعيدة مبالغة في بعدها .

(الشهر الحرام) : المراد به الجنس فيتناول الأشهر الحرم الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وسمي الشهر بالشهر لشهرته وظهوره وبالحرام لحرمة القتال فيه .

(هذا الحي) : قال ابن سيدة إنه بطن من بطون العرب وفي المطالع هو اسم لمنزل القبيلة ثم سميت القبيلة لأن بعضهم يحيا ببعض وقال ابن دريد الشاعر : الحي العظيم من الناس .

(مُضَر) : بضم الميم وفتح الضاد المعجمة غير المنصرف ، وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويقال لها مضر الحمراء ولأخيه ربيعة الفَرَس لأنهما لما اقتسما الميراث أعطى مضر الذهب ، وربيعة الخيل ، وكفار مضر كانوا بين ربيعة والمدينة ولا يمكنهم الوصول إلى المدينة إلا عليهم وكانوا يخافون منهم إلا في الأشهر الحرم لامتناعهم عن القتال فيها .

(بأمر) : والأمر إما واحد الأمور الشأن ، وإما واحد الأوامر القول الطالب للفعل

(فصل) : بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة إما بمعنى الفاصل كالعدل أي يفصل بين الحق والباطل ، وإما بمعنى المفصل أي واضح بحيث ينفصل به المراد عن غيره

(المغنم) : أى الغنيمة قاله الجوهرى المغنم والغنيمة بمعنى .

(الحنتم) : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوق قال أبو هريرة هى الجرار الخضر ، وقال ابن عمر : هى الجرار كلها ، وقال [illegible] بن مالك جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف ، وقالت عائشة : جرار [illegible] أعناقها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر ، وكانوا ينبذون فيها ، وقال [illegible] هى جرار تعمل من طين ودم وشعر ، وقال الخطابى : هى جرة مطلية بما يسد مسام الخزف ولها التأثير فى الانتباذ ، وقال المازنى قال بعض أهل العلم إنما الحنتم ما طلى من الفخار بالحنتم المعمول بالزجاج وغيره .

(الدباء) : بضم الدال وتشديد الباء وبالمد وقد تكسر الدال وهو اليقطين اليابس أى الوعاء منه وهو القرع وهو جمع والواحده دباءة ومن كسر قال دباء وهو الوعاء من القرع اليابس .

(النقير) : بفتح النون وكسر القاف ، وجاء تفسيره فى صحيح مسلم أنه جذع ينقرون وسطه وينبذون فيه .

(المزفت) : بتشديد الفاء أى المطلى بالزفت ، ويقال : الزفت نوع من القار ، وقال ابن سيدة : هو شىء أسود يطلى به الإبل والسفن ، وقال أبو حنيفة : إنه شجر مرو القار يقال له القير بكسر القاف وسكون الياء ، آخر الحروف قيل خو نبت إذا يبس يطلى به السفن وغيره كما يطلى بالزفت (١) .

---

(١) راجع عمدة القارى ٢٠٤/١ وما بعدها . ومسلم بشرح النووى ١٧٩/١ وما بعدها .

المعنى العام

هذا الحديث الشريف الذى رواه لنا أبو جمرة عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : كنت جالساً مع ابن عباس وكان ذلك فى البصرة أيام كان عبد الله بن عباس والياً عليها من قبل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان ابن جمرة يجلس مع ابن عباس ليترجم له لأنه كان يعرف الفارسية فيأخذ كلام ابن عباس ويترجمه إلى اللغة الفارسية ويبلغه للناس أو كان حلقة إتصال بين عبد الله بن عباس وبين الناس ، فكان يوصل صوت ابن عباس إلى من لا يصله من الناس وكان يوضح كلام ابن عباس للناس ، وكلام الناس إلى ابن عباس فكان ابن عباس يكرمه ويجلسه على سريره وذلك للمهمة الجليلة التى كان يقوم بها وذات يوم تدخل امرأة على ابن عباس لتسأله عن حكم الإسلام فى العنب أو التمر إذا وضع فى الجرار لينتبذ ويتخمر ، وعندما سألت هذه المرأة هذا السؤال الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فتذكر قصة وفد عبد القيس حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الله بن عباس هذا الحديث الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد عبد قيس ، وكان وفد عبد قيس أربعة عشر راكباً وكبيرهم هو الأشج واسمه المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث بن النعمان ابن زياد بن عصر وكان سيد قومه ، وإنما قال له النبى صلى الله عليه وسلم الأشج لأثر كان فى وجهه وكان معه عمرو بن المرجوم ، والمرجوم عامر بن عمر بن عدى ابن عمر بن قيس وكان من أشراف العرب وساداتها وثالث الوفد هو عبيد بن مالك ابن همام ، والرابع الحارث بن شعيب ، والخامس مزيدة بن مالك ، والسادس منقذ ابن حيان ، والسابع الحارث بن حيى العيشى ، والثامن صحار بضم الصاد وتخفيف الحاء ، والتاسع عتبة بن حروة ، والعاشر الجهيم بن قسم ، والحادى عشر الرسيم العدوى ، والثانى عشر جويرية الكندى ، والثالث عشر الزارع بن عائذ ، والرابع عشر قيس بن النعمان كما جاء فى عمدة القارى . وكان سبب وفودهم أن منقذ بن حيان أحد بنى غنم بن وديعة كان متجره إلى يثرب فى الجاهلية فشخص إلى يثرب بملاحف وتمر من هجر (١) بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فبينما منقذ بن حيان قاعد فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فنهض

---

(١) هجر مدينة وهى قاعدة البحرين : معجم البلدان حـ ٥ / ٣٩٢.

دخل إليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنقذ بن حيان ، كيف جميع هيئتك وبلدك ؟ ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل يسميهم بأسمائهم فأسلم منقذ وتعلم سورة الفاتحة واقرأ باسم ربك ثم رحل إلى بلده فكتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً أرسله معه إلى جماعة عبد القيس ، فذهب به منقذ وكتمه أياماً ، ثم اطلعت عليه امرأته وهي بنت المنذر عائذ " الأشج " وكان منقذ يصلي ويقرأ فنكرت امرأته ذلك وذكرته لأبيها المنذر فقالت : أنكرت بعلي منذ قدم من يثرب أنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة ، فقابل المنذر منقذ زوج ابنته وكلمه فيما حدثته به ابنته فأفصح له منقذ عن إسلامه وأعطاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم المنذر وخرج إلى قومه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وأصروا على الذهاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب إليه المنذر وسأله من القوم . . ؟ فقالوا : ربيعة أي نحن من نسل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرحباً بالقوم أي بالوفد ، أي نزلتم رحباً وسعة فاستأنسوا ولا تستوحشوا وهو ترحيب بهم وأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم جاءوا معززين مكرمين فقد جاءوا غير خزايا ولا ندامى لأنهم جاءوا من تلقاء أنفسهم فلم يُسبوا للإسلام ويفعلوا فعلا يستحيون منه ولم يحاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويأسر منهم فلا ندم على شيء فعلوه وإنما جاءوا من تلقاء أنفسهم مرفوعي الرأس وعندما قابلهم النبي بهذه السعة وهذا الترحيب فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من مسافة طويلة فبين بلادنا وبلادك من المسافات ما يصعب علينا الوصول إليك وخاصة أنه في هذه المسافة التي بين بلادنا وبين المدينة المنورة كفار مضر ، ومضر هذا هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان أخو ربيعة وكان بين قوم مضر وبين بني عمومتهم ربيعة خلافات دائمة وقتال دائم ، فكان قوم ربيعة لا يستطيعون الإتيان إلى الرسول إلا في الأشهر الحرم أي إنهم أخبروا النبي أنا لا نستطيع ولا يمكننا لبعد مسافتنا أن نأتيك إلا مرة واحدة في العام وهي في فترة أشهر الحج وهي شهر ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، والمعروف أن الأشهر الحرم أربعة وهي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ، ورجب شهر فرد وباقي الأشهر الثلاثة متوالية فهم لا يستطيعون أن يأتوا في رجب لأن مسافة ذهابهم إلى المدينة وإيابهم تستغرق أكثر من شهر فلا يمكنهم الإتيان إلى المدينة إلا في الأشهر الحرم الثلاثة وهي المحرم وذو القعدة وذو

الحجة ، فلذلك طلبوا من النبى أن يأمرهم بأمر فصل أى واضح يفصل لهم بين الحق والباطل ليخبروا به باقى قومهم الذين لم يحضروا معهم ويدخلون به الجنة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بأربع أشياء ونهاهم عن أربع أشياء ، فأمرهم بالإيمان بالله وحده ثم سألهم هل تعرفون معنى الإيمان بالله ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فأخذ يبين لهم النبى صلى الله عليه وسلم معنى الإيمان بالله وحده فقال هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس ، والمغنم هو الغنيمة وقوم ربيعة كانوا قوماً محاربين ، والمحارب دائما يكسب غنائم كثيرة فأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الغنيمة عليهم أن يخرجوا خمسها فى سبيل الله ورسوله ، والعاد لهذه الوصايا يجدها خمسة والراجح أن النبى أخبرهم بالشهادة تبركاً وخاصة أن إذا علمنا أنهم قدموا مسلمين أى أنهم قد شهدوا قبل ذلك ، فذكر لهم بعد ذلك الأربع خصال وهى إيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وإيتاء الخمس من المغنم ، ثم بعد ذلك نهاهم النبى عن أربعة أشياء فنهاهم عن الحنتم وهى الجرار التى يوضع فيها العنب والبلح حتى ينبذ ويصير خمراً ونهاهم أيضاً عن الدباء وهو القرع اليابس الذى يصنع منه وعاء فيشربون فيه ويسكرهم وهو المسمى بلغة العامية " قرعة " ونهاهم عن النقير وهو جذع الشجر عندما ينقرون وسطه وينبذون فيه ونهاهم عن المزفت وهو الإناء الذى يطلى بالزفت ليسد مسامه ثم يوضع فيه النبيذ فينبذ بسرعة ، والخلاصة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهاهم عن كل مسكر ، أو كل مخمر يذهب العقل لأن الإسلام حرم الخمر ، وكل ما يخمر العقل ويغيبه وإن كان النبى منعهم من هذه الأربعة وذلك أن هذه الوسائل التى كانوا يخمرون أو ينبذون فيها فى ذلك العصر أما المفهوم من الحديث أنه منهى عن كل ما يخمر العقل ويذهبه ، ووفد هذا الوفد على النبى عام الفتح قبل أن يجهز النبى جيش الفتح ليفتح مكة ، وبعد أن أعطاهم النبى النصيحة وما فيه صلاح دينهم ودنياهم أخبرهم أن يحفظوا ما قاله لهم جيدا ويعوه ويخبروا به قومهم الذين تخلفوا عنهم ولم يحضروا معهم .

المباحث الفقهية

اشتمل هذا الحديث على عدة أحكام فقهية منها :

أن يجب الخمس في الغنيمة سواء قلت أو كثرت ، وسواء كان الإمام في السرية أم لا ، فإن خمس المغنم يجب أن يخرج لله ولرسوله ، أي أن هذا الخمس يعطى للحاكم أو لإمام المسلمين ليوزعه بمعرفته أو يخرجه الإنسان في سبيل الله وأيضا اشتمل هذا الحديث على النهي عن الانتباذ في الأواني الأربع وهي أن تجعل في الماء حبا من تمر أو عنب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وهذه الأواني الأربع يسرع فيها الإسكار فيصير حراماً ، أما الإنتباذ في أسقية الأدم بفتح الهمزة والدال جمع أديم وهو الجلد الذي تم دباغه فلم ينهى النبي عن الانتباذ فيها بل أذن فيها بأنها لرقتها لا يبقى فيها المسكر بل إذا صار مسكراً شقها غالبا وجمهور العلماء يرى أن النهي عن الإنتباذ كان في ابتداء الإسلام ثم نسخ ففي صحيح مسلم من حديث بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن الإنتباذ إلا في الأسقية فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكرا وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي أيضا ، وذهبت طائفة إلى أن النهي عن الإنتباذ باق منهم مالك وأحمد واسحاق حكاه الخطابي عنهم وقال وهو مروي عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما : وأرى أن من باب الحيطة في الدين أن يمتنع الإنسان عن الإنتباذ في هذه الأشياء الأربعة وذلك لأن الحديث الذي أباح الإنتباذ فيها نهى عن شرب المسكر وقد يقع السكر منها ولا يشعر الإنسان فمن باب الحيطة يجب أن يمتنع الإنسان عن الإنتباذ في هذه الأشياء . ويستنتج أيضا من الحديث القاعدة الفقهية المشهورة التي تقول ما أسكر كثيرة فقليله حرام . ومن الأحكام الفقهية التي تستنبط من هذا الحديث أيضاً أن في هذا الحديث دليل على جواز استفتاء المرأة الرجال الأجانب وسماعها صوتهم وسماعهم صوتها للحاجة وأن صوت المرأة ليس بعورة إلا إذا غيرت صوتها وتكلمت بعبارات تحرك الغرائز فإنه يحرم في هذه الحال سماع صوت المرأة . (١) .

---

(١) راجع عمدة القاري ٣٠/١ ، ومسلم بشرح النووي ١٨٣/١

ما يستفاد من الحديث

يستحباب وفادة رؤساء وكبراء القوم إلى الأئمة والحكام عند الأمور المهمة .

يستحب الترحيب بالضيوف والزوار ، والقول لهم بما يؤمنهم ويشرح صدرهم .

١ - فيه حث الناس على طلب العلم مهما كلفهم ذلك من مشقة ومهما بعدت المسافات فلا عذر لأحد في طلب العلم .

٤ - حسن استقبال النبي صلى الله عليه وسلم الضيوف وبسطه المجال لهم ، وتعليمهم دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥ - حرمة الأشهر الحرم وأنه يجب على المسلمين أن يمنعوا القتال فيها وهذه الأشهر المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة .

٦ - الأمر بالإيمان بالله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء الخمس من المغنم .

٧ - النهي عن الانتباذ في الحنتم والدباء والنقير والمزفت وكل إناء إذا انتبذ فيه أسكر .

٨ - على كل من عرف حكماً شرعياً عليه أن يخبر من وراءه ، ومن يليه ومن يجاوره ممن لا يعرف هذا الحكم الشرعي .

﴿ الحديث رقم ١٣ ﴾

أولا : رواية الإمام البخاري

حدثنا أمية بن بطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه على اليمن قال : "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس" (١) .

ثانيا : رواية الإمام مسلم

حدثنا أمية بن بسطام العيشي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح وهو ابن القاسم عن إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم" (٢) .

والراوي الأعلى للحديث هو عبد الله بن عباس وسبق التعريف به في الحديث رقم ١١

---

(١) أخرجه البخاري في ٢٤ - كتاب الزكاة : ٤١ - باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

المفردات

(اليمن) : بالتحريك ، قال الشرقى : إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها ، قال ابن عباس : تفرقت العرب فمن تيامن منهم سُميت اليمن ، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهى أيمن الأرض فسميت بذلك ، وقال الأصمعى : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عُمان إلى نجران ثم يلتوى على بحر العرب إلى عدن إلى الشِّحر حتى يجتاز عمان والبحرين وليست بيثونة من اليمن ، وقيل : حدّ اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلى ذلك من التهائم والنجود ، واليمن تجمع ذلك كله ، والنسبة إليهم يمنى ويمان(١) :

(معاذا) : هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه .

(كرائم أموالهم) : الكرائم جمع كريمة ، يقال : ناقة كريمة أى غزيرة اللبن والمراد نفائس الأموال من أى صنف كان ، وقيل له نفيس لأن نفس صاحبه تتعلق به ، وأصل الكريمة كثيرة الخير ، وقيل للمال النفيس كريم لكثرة منفعته ، وقال صاحب المقالة : كريمة هى جامعة الكمال الممكن فى حقها من غزارة اللبن وجمال صورة ، أو كثرة لحم أو صوف .

(أهل كتاب) : أى أهل عقيدة وديانة سماوية ولهم كتاب سماوى كاليهودية وكتابها التوراة ، وكالمسيحية وكتابها الإنجيل .

(توق) : أى احذر كرائم أموالهم .

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموى ٥/٤٤٧ ، ط دار الفكر .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف يعلمنا حرص النبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ دعوته لأمته ، وكذلك التدرج فى الدعوة إلى الإسلام بالحسنى وفى هذا الحديث الشريف بعث سيدنا رسول الله الصحابى الجليل " معاذ بن جبل " رضى الله عنه ، وكان معاذ من العلماء والفقهاء الذين يغلب عليهم جانب الورع والتقوى إلى الله تعالى ، ولهذه المنزلة أرسله النبى صلى الله عليه وسلم من قِبَله إلى بلاد اليمن ليكون والياً عليها من قِبَل الرسول ، وقاضياً يحكم بينهم بما أنزل الله ، وفقيهاً يفقههم فى أمور دينهم ويوضح لهم قواعد دينهم الحنيف وكان ذلك فى أواخر سنة تسع من الهجرة وقيل فى أوائل سنة عشرة هجرية قبيل فتح مكة ، وظل معاذ بن جبل والياً على اليمن إلى أن قدم فى عهد سيدنا أبى بكر الصديق وتوجه إلى الشام ومات بها ، وعندما أرسله الرسول إلى اليمن فأوصاه بأهل اليمن وقال له إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، وفى هذا توصية لهم وإشارة إلى معاذ إلى أن يستجمع همته فى مخاطبتهم ، وفى معاملتهم ، لأن أهل الكتاب أهل علم بخلاف الجهلة عَبَدَةِ الأوثان ، فيجب عليه مراعاة ذلك فى تعامله معهم ، ولا يخاطبهم مخاطبة الجهال ، وبعد أن أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم بهم وضح له المنهج الذى يبدأه معهم فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فقال له : فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل ، وعبادة الله تعنى توحيده والإقرار بربوبيته وبوحدانيته ، والشهادة بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويتضح هذا التفسير من العبادات التى جاءت فى روايات أخرى لنفس الحديث كقوله صلى الله عليه سلم : فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فهذه العبارة تفسر معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((فادعهم إلى عبادة الله)) وهى إشارة إلى أن شهادة التوحيد هى أساس العبادة ، وأن العبادة لا تصح ولا تقبل إلا بالنطق بالشهادتين ، وبعد ذلك أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم إذا عرفوا الله ووحدوه وأقروا بوحدانيته وبتفرده بالتصرف فى ملكه ، وقالوا لا إله إلا الله ، محمد رسول الله صدقاً من قلوبهم فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، أى أن الله فرض عليهم خمس صلوات هى : صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء وهذه فريضة لا تسقط عن أى إنسان مهما كان

وللإنسان يتنفل بما شاء بحيث لا يترك هذه الفروض أو يتهاون فيها وبعد ذلك أخبر النبى وقال له : إذا فعلوا ذلك أى إذا أقاموا الصلاة وداوموا عليها ، وأقروا بها فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم والزكاة هى طهارة ونماء للمال شرعها الله فى المال الذى زاد على النصاب وحال عليه الحول أن يؤخذ منه اثنان ونصف فى المائة (٥ر٢٪) ويوزع هذا المال على فقراء المسلمين وعلى باقى الأنواع الثمانية التى تجب عليهم الزكاة كالمساكين وابن السبيل والمؤلفة قلوبهم . . وغيرهم ، وبعد ذلك أخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنهم إذا أطاعوك لهذا الأمر وأعطوك الزكاة فخذها منهم وتوقى كرائم أموالهم ، أى خذ منهم المال الذى تفرضه زكاة عليهم ، وابتعد ولا تقرب إلى أموالهم التى يحبونها ، أو التى تعز عليهم ، أو المميزة الجامعة للخير فهذه الأموال لا تأخذها منهم واتركها لهم وخذ نصيب الزكاة من باقى الأموال بشرط ألا تكون معيبة ولا هذيلة ولا ، ثمينة لأن الله سبحانه وتعالى طيباً لا يقبل إلا طيباً ، وفى إخبار النبى له بذلك منعه أخذ كرائم أموالهم ونفائسها إنما هذا تشجيع لهم على الصدقة وزيادة فى حبهم وإقبالهم على فعل الخير بخلاف ما لو أخذ العزيز عليهم من أموالهم فإن هذا سيكون مدعاة لهم إلى أن يتهربوا من الزكاة أو يعطوها عن غير رضى نفس ، وذلك لأن الزكاة شرعت لمواساة الفقراء فلا ينبغى أن يكون ذلك على حساب الإجحاف بمال الأغنياء إلا إذا رضوا بذلك .

المباحث الفقهية

تعرض هذا الحديث لفريضة الزكاة وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أحكاماً فقهية خاصة بالزكاة ، وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الإمام هو الذى يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائبه ، ومن امتنع عن الزكاة أخذت منه قهراً ، واستدلوا أيضا بهذا الحديث على أنه يحرم على الساعى أخذ كرائم المال فى الزكاة فليأخذ الوسط ، ويحرم على رب المال إخراج شر المال . واستدل بهذا الحديث أيضاً أن الزكاة لا تدفع إلى كافر ، ولا تدفع إلى غنى ، وإنما توزع على الأصناف الثمانية الذين ذكرهم القرآن الكريم بشرط أن يكونوا مسلمين . واستدل به الإمام مالك وغيره فى أنه يكفى إخراج الزكاة فى صنف واحد من الأصناف الثمانية لقوله فترد على فقرائهم واستدل بهذه العبارة الخطابى وسائر أصحابه على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال ، ورد عليه بعض الفقهاء فقالوا إن "ضمير فى فقرائهم محتمل أن يعود على فقراء المسلمين وليس خاصاً بفقراء القرية وبهذا يجوز نقل الزكاة من بلد المال إلى أى بلد فيه من الفقراء والمساكين ما يستحقون هذه الزكاة . وأرى أن الزكاة لا تخرج من بلد المال إذا كانوا فقراء البلد فى حاجة إليه ، أما إذا كان فقراء البلد قد أخذوا ما يكفيهم فمن الأفضل نقل المال إلى فقراء بلد أخرى يكونون أحوج إليه من غيرهم . وقال الخطابى وقد يستدل به من لا يرى على المدين زكاة ما فى يده إذا لم يفضل من الدين الذى عليه قدر نصاب لأنه ليس بغنى إذا كان إخراج ماله مستحق لغرمائه (١) .

ما يستفاد من الحديث

١ - على الإمام والراعى أن يرسل إلى ولاته وبلاده من يفقههم فى الدين ويحكم بينهم بالحق والعدل .

٢ - على الإمام أن يختار من يوليه أمر المسلمين بحيث يكون أعلمهم وأتقاهم وأفقههم فى دين الله ، وأن ينصحه ويأمره بتقوى الله عز وجل .

٣ - منهج الدعوة إلى الله تعالى وأنه يقوم على التدرج فى التطبيق لما جاء ذلك واضحا فى الحديث الشريف .

٤ - أهمية الصلاة والزكاة وأنهما لا يسقطان عن إنسان فى أى حال من الأحوال

٥ - على جامع الزكاة ألا يأخذ كرائم أموال الناس لأن الزكاة شرعت لمواساة الفقراء ولا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء .

(١) راجع فتح البارى ٣/ ٢٨٠ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ١/ ١٩٦ وما بعدها .

الحديث

أولا رواية الإمام البخارى

حدثنا يحيى بن موسى حدثنا وكيع حدثنا زكريا بن إسحاق المكى عن يحيى بن عبد الله بن صيفى عن أبى معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب (١) .

ثانيا رواية الإمام مسلم

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم جميعا عن وكيع قال أبو بكر حدثنا وكيع عن زكريا بن إسحاق قال حدثنى يحيى بن عبد الله بن صيفى عن أبى معبد عن ابن عباس عن معاذ بن جبل قال أبو بكر ربما قال وكيع عن ابن عباس أن معاذا قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب (٢) .

والراوى الأعلى للحديث هو الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد سبق التعريف به فى حديث رقم ١١ .

---

(١) أخرجه البخارى فى : ٤٦ - كتاب المظالم : ٩ - باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان بلب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

المفردات

ـذ الوقاية أى يقى نفسه من أن يقع فى ظلم أحد فيدعو عليه
ن ذلك سبباً فى هلاكه فمعنى اتق : أى تجنب دعوة المظلوم بأخذ
حيطة فى عدم الظلم حتى يجعل لنفسه وقاية من الهلاك ومن عذاب
الله .

(الظلم) ظلمه يظلمه بالكسر ظلماً ومظلمَةً بكسر اللام أيضا ، وأصل الظلم وضع الشىء فى غير موضعه ويقال من أشبه أباه فما ظلم . وفى المثل :من استرعي الذئب فقد ظلم . والظلامة والظلمة والمظلمة بفتح اللام ما تطلبه عن الظالم وهو اسم ما أخذه منك ، وتظلمه أى ظلمة ماله . وتظلم منه.أى اشتكى ظلمه ، وتظالم القوم وظلمه تظليماً نسبة إلى الظلم ، وتظلم احتمل الظلم ، والظليم بوزن السكيت الكثير الظلم (١) ، والمظلوم : هو الذى سلب منه حقه ، والذى لم يعطى حقه .

(الحجاب) : الستر ، وحجبه منعه من الدخول ، وبابه نصر ، ومنه الحجب فى الميراث ، والمحجوب الضرير ، وحاجب العين جمعه حواجب ، وحاجب الأمير جمعه حجاب ، وحواجب الشمس نواحيها ، واحتجب الملك عن الناس . (٢) والمعنى أن دعوة المظلوم ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة فليس لله تعالى حجاب يحجبها عن الناس .

---

(١) مختار الصحاح مادة ظلم ص ٣٥٦.
(٢) مختار الصحاح مادة " حجب " ص ١٠٨ .

المعنى العام للحديث

في هذا الحديث الشريف نجد أن رواية الإمام البخاري اقتصرت على قوله صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب . أما رواية الإمام مسلم فقد ذكرت نص الحديث السابق كاملاً وجاءت هذه العبارة وهي "اتق دعوة المظلوم" مكملة الرواية السابقة . والاختلاف في الروايات إنما يقع من الرواة على حسب ضبطهم وقوة حفظهم ، أو على حسب المناسبة للحديث . فقد كان بعض الرواة يذكرون جزءاً من الحديث الذي يلائم المشكلة أو القضية ، وبعضهم كان يذكر النص كاملاً ولا ضرر ولا خلاف في ذلك مادامت هناك روايات أخرى كاملة لهذا الحديث . وهذا الحديث الجزء الأول منه يتعلق ببعث سيدنا معاذ إلى اليمن ووصيته التي أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم من أمره الناس بعبادة الله وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن يتجنب أخذ كرائم أموال الناس في الزكاة بل يتوسط في المال المأخوذ للزكاة بحيث يكون أحسن المال لا أسوأه . ثم بعد ذلك يقول النبي بقوله: "واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب" وقال العلماء إن ورود هذه العبارة بعد قوله "وإياك وكرائم أموالهم" إشارة إلى أن أخذ كرائم أموال الناس ظلم وليس هذا هو المقصود في الحديث فحسب وإنما المقصود من الحديث الظلم عامة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه والياً وقاضياً وحاكماً بين أهل اليمن ، فأوصاه بأن يتقي الله وأن يقي نفسه من عذاب الله ، وأن يقي نفسه من أن يقع في الظلم فيظلم أحداً بأن يسلبه حقاً كان له ، أو يمنعه من الوصول إلى حقه فإن هذا المظلوم إذا دعا عليه فإن دعوته مستجابة لا يردها شيء ، ولا يحجبها حاجب لأن الله سبحانه وتعالى ليس له حاجب يحجبه عن الناس ، وقد جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده مرفوعاً "دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه" . والرسول صلى الله عليه وسلم أمره وأشار إليه إلى أن يتحرز عن الظلم مطلقاً ليتجنب دعوة المظلوم فيقع في الهلاك ، فعلى الحاكم والقاضي أن يقي نفسه من عذاب الله وعقابه وذلك في أن يتجنب الظلم الذي يكون سبباً في هلاكه.

ما يستفاد من الحديث

١ - على الحاكم عندما يُعَيِن ولياً أو قاضياً أن يأمره بتقوى الله وأن يحذره من الظلم لأن الإثم يقع عليه .

٢ - دعوة المظلوم مستجابة لا يمنعها مانع ولا يصرفها صارف لأن الله سبحانه وتعالى ليس له حجاب يحجبه عن الناس.

٣ - إن الإسلام دين العدل والرحمة والمساواة .

٤ - النهي عن الظلم أيا كان سببه أو مقداره لأن عاقبة الظالم وخيمة حتى ولو كان المظلوم فاجراً .

(٧) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ الحديث رقم [illegible] ﴾

أولاً رواية الإمام البخاري

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضي الله عنه . قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق (١) .

ثانياً : رواية الإمام مسلم

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث بن سعد عن عقيل عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٢) .

والراوي الأعلى للحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وقد سبق التعريف به في حديث رقم ٤ .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢٤ – كتاب الزكاة : ١ – باب وجوب الزكاة .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

المفردات

(واستخلف) أى صار خليفة للمسلمين أو خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسـ
فى حكم المسلمين وكـان ذلك فى ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وظـ
خليفة إلى أن مات فى أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ .

(وكفر من كفر من العرب) يجب أن يعرف أن أهل الردة كانوا صنفين صنف
ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر وهم الذين عناهم أبو
هريرة بقوله وكفر من كفر من العرب وهذه الفرقة طائفتان احداهما
أصحاب مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على
دعواه فى النبوة وأصحاب الأسود العنس ومن كان من مستجيبيه من
أهل اليمن وغيرهم وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم مر عين النبوة لغيره فقاتلهم أبو بكر رضى الله عنه
حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنس بصنعاء وانفضت جموعهم
وهلك أكثرهم والصنف الثانى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع
وعادوا لما كانوا عليه فى الجاهلية وهؤلاء أهل بغى ولم يدعو بهذا
الاسم لدخولهم فى غمار أهل الردة فأضيف الاسم فى الجملة إلى
الردة وكانت أعظم الأمرين وأهمهما . (١)

(عصم) العصمة المنع يقال عصم الطعام أى منعه من الجوع والعصمة أيضا
الحفظ وقد عصمه يعصمه بالكسر عصمةً فانعصم واعتصم بالله أى
امتنع بلطفه من المعصية (٢) والمعنى أن من قال لا إله إلا الله فقد منع
نفسه وماله وحفظهما وأصبح له حق فى ذلك .

(إلا بحقه) أى بحق الإسلام والمعنى أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا اشتدوا عصموا منى دماءهم
وأموالهم ولا يجوز إهدار دمائهم واستباحة أموالهم بسبب من
الأسباب إلا بحق الاسلام من قتل النفس المحرمة وترك الصلاة ومنع
الزكاة .

(وحسابهم على الله) أى فيما يسرون به من الكفر والمعاصى والمعنى أنا نحكم عليهم

---

(١) نقل بتصرف من عمدة القارى ١٤٤/٨ ومسلم بشرح النووى ١ /٢٠٢
(٢) مختار الصحاح مادة عصم ص ٢٨٥.

بالايمان ونؤاخذهم بحقوق الإسلام بحسب ما يقتضيه الظاهر والله تعالى يتولى حسابهم فيثيب المخلص ويعاقب المنافق .

(فرق بين الصلاة والزكاة) فرق وفرق بتشديد الراء وتخفيفها ومعناه أطاع فى الصلاة وجحد الزكاة أو منعها وخص الصلاة والزكاة بالذكر لأن الصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية وهما المعيار لباقى العبادات والعنوان لها ولذلك سميت الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام (١) .

(أمرت) على صيغة المجهول وإذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم أمرت فُهم منه أن الله تعالى أمره . فإذا قال الصحابى أمرت فُهم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره فإن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم منه أن الرئيس أمره (٢)

(عناقا) بالفتح الأنثى من ولد الماعز والجمع أعنق وعنوق والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم (٣) .

(عقالاً) العقل الحجر والنهى والعقل أيضاً الدية والعقيلة كريمة الحى وكريمة الإبل وعقيلة كل شىء أكرمه والدرة عقيلة البحر والعقال صدق العامة وزكاته قال الشاعر يهجو ساعيا

[سعى عقالاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين] والعقال ذلك الحبل الذى يعقل به البقر (٤) .

(شرح) أى فتح ووسع ولين لما استقر عنده صحة رأى أبى بكر وأن الله ألقى الطمأنينة فى قلبه على أنه على صواب فى رأيه والشرح الكشف كما جاء فى القاموس .

(الحق) ضد الباطل والحق أيضاً واحد الحقوق وحق الأمن من باب رد أيضا وأحقه أى تحقق وصار منه على يقين ويقال حق لك أن تفعل هذا وحققت أن تفعل هذا بمعنى وحق له أن يفعل كذا وهو حقيق به وحق الشىء يحق بالكسر حقاً أى وجب (٥) .

---

(١) عمدة القارى ٢٤٦/٨ ومسلم بشرح النووى ٢٠٧/١ .
(٢) عمدة القارى ٢٧٥/٨ .
(٣) مختار الصحاح مادة عنق ص ٤٠٣ .
(٤) مختار الصحاح مادة عقل ص ٣٩٣ .
(٥) مختار الصحاح مادة حقق ص ١٣٩ .

المعنى العام للحديث

الاسلام دين حفظ الحقوق والعهود والمواثيق وهو دين الأمانة والعبادة والوحدة والترابط وأن الإيمان به لا يتجزأ ، فلا يجوز أن يؤمن الإنسان ببعضه ويترك البعض الآخر ، أو أن يؤمن بما يعجبه أو يتقبله وما يظنه في مصلحته ويترك ما خلا ذلك ، فالإيمان إذن لابد أن نؤمن بجميع ما أمرنا به رسولنا صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وذلك لأن الإسلام هو دين الله الباقي إلى أن تقوم الساعة ، وفي هذا الحديث الشريف يتضح هذا المعنى جلياً فبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى في يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة ، اجتمع المسلمون في ثقيفة بني ساعدة بالمدينة ورأوا وأجمعوا على أن خير من يخلف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذلك لمعان كثيرة منها أنه أول من أسلم من الرجال ، ومنها أنه كان ثاني اثنين إذ هما في الغار في رحلة الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أن يصلي بالناس أثناء مرضه صلى الله عليه وسلم ، لكل هذا وغيره أجمع المسلمون علي استخلاف سيدنا أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يكون أول خليفة لرسول الله ليخلفه في حكم المسلمين ويتولى شئون أمورهم . وكان سيدنا أبو بكر رجلا نحيفاً رقيق القلب ، لين الجانب لا تعرف عنه القوة الجسدية ولكنه كان قوياً في دينه ، شديدا في إيمانه لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تضعف قوته وعزيمته إذا كان الأمر يتعلق بدين الله وشريعة الإسلام . وأول ما تولى الخلافة قابلته مشكلة خطيرة الشأن ألا وهي مشكلة الردة والمرتدين عن دين الله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان المرتدون صنفين ، صنف ارتد عن الدين ونابذ الملة وعاد إلى الكفر وهم أصحاب مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وأصحاب الأسود العنسي من أهل اليمن ، وهذا الصنف أنكر نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا النبوة لغيره وهؤلاء هم الذين وصفهم سيدنا أبو هريرة في الحديث بقوله : " وكفر مَنْ كفر . هم الصنف الآخر الذى ارتد عن الدين وأنكر الشرائع وترك الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعاد لما كان عليه في الجاهلية حتى إنه وصلت الحالة إلى أنه لم تكن الصلاة تقام إلا في ثلاثة مساجد هي مسجد مكة والمدينة ومسجد عبد القيس في البحرين في قرية يقال لها "جواثا"

وكان هناك صنف آخر من الناس فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ، ووجوب أدائها إلى الإمام وهؤلاء فى الحقيقة يطلق عليهم أهل بغى ؛ ولكن تغليباً للصنف الأول وخطورته فنطلق على الجميع اسم الردة وهذا النوع الأخير هم الذين عناهم سيدنا عمر بقوله : " كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا إله إلا الله " . ولكن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه وقف وقفة جريئة وشجاعة إزاء هذا الموقف الصعب الذى حدث فى الأمة الإسلامية بعد وفاة رسولها صلى الله عليه وسلم ، ووجد تصدعاً فى صفوف الدولة الإسلامية فمنهم من أنكر الإسلام ومنهم من جزأه بحيث يقبل ما يراه ويرفض ما لا يتفق مع هواه فقاتل الصنفين والفريقين حتى قتل مسيلمة الكذاب باليمامة والأسود العنسى . [illegible] جموعهم ، وقاتل ما نعى الزكاة وأعادهم إلى حظيرة الإسلام ودولته ، ولولا [illegible] الموقف الشجاع من سيدنا أبى بكر لتفتت الدولة الإسلامية وضعفت شوكتها وضاعت هيبتها . وعندما عزم سيدنا أبو بكر على قتال ما نعى الزكاة قال له سيدنا عمر : " كيف تقاتل الناس وقد قال الرسول أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه ، أى فقد استحق العصمة لنفسه وماله بحق الإسلام الذى أظهره بشهادته ولا يستباح ماله ودمه إلا إذا أتى بما يخالف به الإسلام كقتل النفس بغير حق ، ومنع الصلاة والزكاة وغيرها من الأركان ، أما من قالها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فقد عصم ماله ونفسه وحسابه على الله فيثيبه خيراً إن كان صادقاً فى قوله وإيمانه ، ويعاقبه إن كان كاذباً فى قوله ومرائياً وغير صادق ، فقال له سيدنا أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة أى من أطاع فى الصلاة وهى عبادة بدنية وجحد فى الزكاة وهى عبادة مالية . فقد منع عن نفسه العصمة التى أعطاها الإسلام وهى عصمة النفس وعصمة المال وذلك لأن الزكاة حق المال فلابد وأن يؤدى حق المال لكى تجب له عصمة هذا المال ، ثم بعد ذلك يقسم سيدنا أبو بكر بقوله والله لو منعونى عناقاً وهى أنثى المعز ، أو عقالاً وهو الحبل الذى يعقل به البعير وضرب سيدنا أبو بكر المثل بالعناق . والعقال المبالغة فى أنه لا يترك شيئاً مهما كان صغيراً . وأنه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب على كل مسلم أن يؤدى له ما كان يؤديه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن ينقص منه شيئاً . وبعد أن بين سيدنا أبو بكر لسيدنا عمر أن الزكاة حق المال وأنه

لا يتهاون فى ذلك وأنه مصرٌ على قتال مانعى الزكاة عرف سيدنا عمر أن هذا الأمر هو الحق وهو الذى يجب أن يكون خاصة وأن الله شرح صدر سيدنا أبى بكر لهذا الأمر ، وجعل فى قلبه طمأنينة وتصميم على هذا الفعل ، وتابعه سيدنا عمر فشرح الله صدره لهذا الأمر ، وأخمدت الفتنة التى لو قدر الله لها أن تستمر لقضت على دين الله . وقد زعم بعض الرافضة أن أبا بكر رضى الله عنه أول من سبى المسلمين ، وأن القوم كانوا متأولين فى منع الصدقة وكانوا يزعمون أن الخطاب فى قوله تعالى : " **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلى عليهم إن صلاتك سكن لهم** " (١) ، أن هذه الآية خطاب خاص فى مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره وأنه مقيد بشرائط لا توجد فيمن سواه ، وذلك أنه ليس لأحد من التطهير والتزكية والصلاة على المتصدق ما للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الرافضة بهذه الشبهة إنه كان يجب بعذر مانعى الزكاة ولا يقاتلوا وقد رد الإمام الخطابى رحمه الله على هؤلاء بأنهم قوم لاخلاق لهم فى الدين وإنما رأس مالهم البهت والتكذيب والوقيعة فى السلف . وأما قوله تعالى : " خذ من أموالهم صدقة " وما ادعوه من كون الخطاب خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خطاب كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه خطاب عام كقوله تعالى : " ياأيها الذين أمنوا إذا قمتم إلى الصلاة . . " وكقوله : " يا أيها الذين أموا كتب عليكم الصيام " وخطاب خاص للنبى صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه غيره وهو ما أبين به عن غيره بسمة التخصيص وقطع التشريك كقوله تعالى : " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " وكقوله تعالى " خالصة لك من دون المؤمنين " وخطاب مواجهة للنبى هو وجميع أمته فى المراد به سواء كقوله تعالى : " أقم الصلاة لدلوك الشمس " وكقوله تعالى : " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " ونحو ذلك من خطاب المواجهة فكل ذلك غير مختص برسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشركه فيه الأمة فكذا قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة " فعلى القائم بعده صلى الله عليه وسلم يأمر الأمة أن يحتذى حذوه فى أخذها منه ، وإنما الفائدة فى مواجهة النبى بالخطاب أنه هو الداعى إلى الله تعالى ، والمبين عنه معنى ما أراد ، فقدم اسمه فى الخطاب ليكون سلوك الأمر فى شرائع الدين على حسب ما ينهجه ويبينه لهم (٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(٢) راجع مسلم بشرح النووى ٢٠٢/١ وما بعدها .

المباحث الفقهية

استدل العلماء بهذا الحديث على أن القياس من الأحكام الشرعية التى أقرها الصحابة وذلك يظهر واضحاً من قياس سيدنا أبى بكر حكم مانع الزكاة على حكم تارك الصلاة ومنكرها فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والأحكام الشرعية تستمد إما من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو إجماع علماء المسلمين أو القياس . واستدل أكثر العلماء بهذا الحديث على أن من أظهر الاسلام وأسر الكفر قبل إسلامه فى الظاهر لقوله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله . وذهب الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل إلى أن توبة الزنديق لا تقبل وقال النووى اختلف أصحابنا فى قبول توبة الزنديق وهو الذى ينكر الشرع جملة فذكروا فيه خمسة أوجه لأصحابنا أصحها والأصوب منها قبولها مطلقاً للأحاديث الصحيحة المطلقة والثانى لا تقبل ويتحتم قتله لكنه إن صدق فى توبته نفعه ذلك فى الدار الآخرة وكان من أهل الجنة الثالث إن تاب مرة واحدة قبلت توبته فإن تكرر ذلك منه لم تقبل . والرابع إن أسلم ابتداء من غير طلب قبل منه وإن كان تحت السيف فلا . الخامس إن كان داعيا إلى الضلال لم يقبل منه وإلا قبل منه والله أعلم (١) . وفى هذا الحديث دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الاسلام اعتقادا جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك وهو مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها خلافا لمن أوجب ذلك وجعله شرطا فى كونه من أهل القبلة وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به وهذا مذهب كثير من المعتزلة وبعض المتكلمين (٢) . وأجمع العلماء على أن منكر الزكاة فى زماننا كافر وفى عهد سيدنا أبى بكر كان باغيا لا كافراً والفرق فى أن السابقين عذروا فيما جرى منهم لقرب عهدهم بزمان الشريعة الذى كان يقع فيه تبديل الأحكام والنسخ ولوقوع الفترة بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان القوم جهالا بأمور الدين قد أضلتهم الشبهة أما اليوم فقد شاع أن الدين واستفاض العلم بوجوب الزكاة حتى عرفه الخاص والعام فلا يعذر أحد بتأويله (٣) .

---

(١) مسلم بشرح النووى ٢٠٧/١ .

(٢) المصدر السابق ٢١٠/١ .

(٣) عمدة القارى ٢٤٧/٨.

ما يستفاد من الحديث

١ - شجاعة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وقوة إيمانه ومنزلته التى وضحت بأنه أفضل صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - أن القياس من الأحكام الشرعية التى عمل بها الصحابة .

٣ - وجوب قتال ما نعى الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام سواء كان قليلاً أو كثيراً .

٤ - جواز مراجعة الأئمة والأكابر ومناظرتهم لإظهار الحق .

٥ - وجوب قتال أهل البغى .

٦ - جواز الحلف وإن كان فى غير مجلس الحكم .

٧ - اجتهاد الأئمة فى النوازل والعمل برأيهم مادام لا يخالف الأصول .

٨ - لا يعيب الإنسان رجوعه عن رأيه إذا بان له الحق في قول صاحبه .

الحديث

أولا رواية الإمام البخاري

((حَدَّثَنَا أبو اليمان أخبَرَنَا شُعَيْبٌ عن الزُّهْرِي حَدَّثَنَا سَعِيدُ بنُ المسَيَّبِ أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ فقد عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ)) (١) .

ثانيا رواية الإمام مسلم

حَدَّثَنَا أبو الطَّاهِرِ وحرملة بنُ يَحْيَى وأَحْمَدُ بنُ عيسى قَالَ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا وقَالَ الآخَرَانِ أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يونُسُ عن ابن شهابٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ المسَيَّبِ أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهَ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللهِ " (٢) .

والراوى الأعلى للحديث هو الصحابى الجليل أبو هريرة وقد سبق التعريف به فى حديث رقم ٤ .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٦ كتاب الجهاد : ١٠٢ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف صُدِّر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم أُمِرْتُ وعندما يقولُ
الرسول صلى الله عليه وسلم أمرتُ فيكون الآمرله هو الله سبحانه وتعالى وإذا قال
الصحابى أُمِرْتُ فيكون الآمرُ له الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث الذى
معنا يبينُ أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يُقاتل كل من لا يقول لا إله إلا الله
وأن عليه صلى الله عليه وسلم أن ينشر دين الله ودعوة الإسلام وأن يُعرف البشرية
بخالقها ورازقها ومحييها ومميتها وهو الله سبحانه وتعالى وأنه واحدٌ أحد فردٌ
صمد لا شريك له فى ملكه ولا منازع له فى سلطانه وبهذا يتعرف الناس على أنه لا
إله إلا الله فلا رازق سواه ولا معز ولا مذل إلا هو بيده الأمر والنهى وهو على كل
شىء قديرٌ . والإسلام يأمرُ بأن ندعوا الناس إلى دين الله أولا بالحسنى والموعظة
الحسنة فإذا أبوا وجب علينا قتالهم حتى يدخُلوا فى الإسلام ويشهدوا أن لا إله إلا
الله فإذا شهدوا هذه الشهادة كان لهم حق علينا وحُرمة تجعل أنفسهم وأرواحهم
حراماً علينا المساس بها وتجعل أموالهم فى مأمن فيحرم علينا أخذها لأنهم
صاروا مؤمنين مسلمين موحدين لله رب العالمين وهُناك صنف آخر وهم أهل الكتاب
وهم يقولون لا إله إلا الله ولكنهم لم يشهدوا بأن محمدا رسول الله وهذا الصنف لا
نقاتلهم إذا دفعوا الجزية للمسلمين ولأنهم يقولون لا إله إلا الله ويدفعون ما عليهم
من الجزية . أما إذا أبوا عن دفع الجزية أو لم يوحدوا الله كأن ثلثوا وقالوا إن الله
ثالث ثلاثة أو المسيح ابن الله أو عُزير ابن الله فهؤلاء نقاتلهم حتى يعودوا إلى
صوابهم ويرتدوا عن زعمهم الباطل ويشهدوا بواحدانية الله سبحانه وتعالى وهذا
الحديث هو الذى استشهد به سيدنا عمر عندما راجع سيدنا أبا بكر فى قتال
مانعى الزكاة وقال له كيف تقاتل الناس وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ
منى نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلا بِحَقِّه وحِسَابِه على اللَّه .

فبين له سيدنا أبو بكر أن من يعصم فإنما يعصمُ نفسهُ وماله والزكاة حقُ المال
فكيف لايؤدى حق المال الذى يطلب عصمته وأيضا قاس له مانع الزكاة على تارك
الصلاة فانشرح صدرُ سيدنا عمر لقتال المرتدين واقتنع برأى سيدنا أبى بكر
رضى الله عنه . وهذا الحديث لم يذكر العبارة الثانية من الشهادة وهى محمدٌ
رسول الله وقد أجمع الفقهاء على أن الشهادة لا تقبل إلا كاملة ولعل هذا السبب
فى عدم ذكرها فى الحديث إذ أنه معروف ومشهور أن محمدا رسول الله لا تنفك

عن لا إله إلا الله وأنهما مرتبطتان ببعض لا تُقبل أحدهما بدون الأخرى . فمن شهد الشهادتين صار له حق علينا كباقى المسلمين تُمنع نفْسه وتصان وكذا ماله ويصير له حق الإسلام ولا تُستباح نفسه ولا ماله إلا إذا فعل فعلا يخالف الإسلام أو ينهى عنه دين الإسلام كقتل النفس بغير حق أو ترك الصلاة ومنع الزكاة وغيرها من واجبات الإسلام . ولنا أن نقبل من الناس قولهم الظاهر والله سبحانه وتعالى يتولى السرائر فمن قال لا إله إلا الله أمامنا صار مسلماً فى الظاهر . أما فى الباطن فحسابه على الله إن كان صادقا فيثيبهُ وإن كان كاذبا فيعاقبهُ ويتضح ذلك عندما قتل أحدُ الصحابة رجلاً كان كافرا وعندما وجد القتال وأنه سيَقتل فقال لا إله إلا الله فقتله الصحابى وهو أسامة بن زيد وعندما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قال له أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فقال أسامة لقد قالها رياءاً وخوفاً من القتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه وعاتب أسامة وعنفه فى قتل هذا الرجل وفى هذا إشارة إلى أننا نقبل من شهد بالشهادتين ويصير له حرمة علينا ولا نفتش عن حاله لنعرف إن كان صادقا أم كاذبا لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى السرائر ويحاسب عليها .

ما يستفاد من الحديث

(١) أنه يجب على المسلمين قتال الكفار والمشركين حتى يدخلوا فى دين الله .

(٢) أن من قال لا إله إلا الله محمدا رسول الله صار مسلما وعليه أن يأتى بباقى أركان الإسلام ليكون مسلما كامل الإسلام .

(٣) أن للمسلم حُرمة فنفسه وماله يجب أن يكونوا فى مأمن ولا يُستباح دمه وماله لأى سبب مادام يقول لا إله إلا الله .

(٤) أن لنا أن نعامل الناس بالظاهر وأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى السرائر .

﴿ الحديث رقم ١٦ ﴾

أولاً رواية الإمام البخارى

حدثنا عبدُ الله بنُ محمدٍ المسندى قال حدثنا أبو روحٍ الحرمى ابنُ عُمارةَ قالَ حدثنا شُعبةُ عنْ واقدِ بنِ محمدٍ قال سمعتُ أبى يحدث عنْ ابنِ عمرَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ قالَ ((أُمرتُ أنْ أقاتلَ الناسَ حتى يشهدُوا أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ويقيمُوا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ فإذا فعلوا ذلكَ عصمُوا منى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِ الإسلامِ وحسابُهم على اللهِ[1])).

ثانياً رواية الإمام مسلم

حدثنا أبو غسانَ المسمعىُّ مالكُ بنُ عبدِ الواحد حدثنا عبدُ الملكِ بنُ الصباحِ عنْ شعبةَ عن واقد بن محمدِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ عنْ أبيهِ عنْ عبدِ اللهِ بن عمرَ قالَ : قالَ (رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ((أمرتُ أنْ أقاتلَ الناسَ حتّى يشهدُوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالَهم إلا بحقِّها وحسابُهم على اللهِ[2])).

والراوى الأعلى للحديث هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر وقد سبق التعرف به فى حديث رقم ١٠ .

---

(1) أخرجه البخارى فى ٢ / كتاب الإيمان ٧١ / باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.

(2) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

المفردات

(أمــــرتُ) على صيغة المجهول والأمر هو قول القائل لمن دونه أفعل على سبيل الاستعلاء، وقال الكرماني أصح التصريف للأمر هو القول الطالب للفعل والمعنى عندما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أمرت فيكون الآمر بذلك هو الله سبحانه وتعالى إذا لا آمر للرسول غيره والتقدير أمرني الله تعالى بأن أقاتل الناس.

(أقاتل الناس) إنما ذكر باب المفاعلة التي وضعت بمشاركة الاثنين لأن الدين إنما ظهر بالجهاد والجهاد لا يكون إلا بين اثنين والالف واللام في الناس للجنس يدخل فيه أهل الكتاب الملتزمون لأداء الجزيه قلت هؤلاء قد خرجوا بدليل آخر مثل حتى يعطوا الجزيه ويدل عليه روايه النسائي بلفظ أمرت أن أقاتل المشركين فالمراد بالناس هنا عبدة الأوثان ومن لا دين لهم [1].

(يقيموا الصلاة) معنى إقامة الصلاة إما تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه، وإما المداومة عليها من قامت السوق إذا نفقت وإما التجلد والتشمر في أدائها من قامت الحرب على ساقها.

(ويؤتوا الزكاة) أي يعطوها، والزكاة هي القدر المخرج من النصاب للمستحق.

(عصمــــوا) أي حفظوا وحقنوا ومعنى العصم في اللغة المنع، ومنه العصام وهو الفم الذي تشد به فم القربة، سمى به لمنعه الماء من السيلان، قال الجوهري: العصمة الحفظ، يقال عصمه فانعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية.

(دمائهــــم) الدماء جمع دم، نحو جمال جمع جمل، إذ أصل دم دمو بالتحريك، وقال سيبويه أصله دمى على فعلة بالتسكين لأنه يجمع على دماء ودمى مثل ظباء وظبى، ودلو ودلي [2].

---

(١) عمدة القاري ١ / ١٨١.

(٢) راجع عمدة القاري ١ / ١٧٩ وما بعدها.

المعنى العام للحديث

هذا الحديث الشريف الذي معنا يختلف عن الحديثين السابقين ففي الحديث الأول قاتل سيدنا أبو بكر مانعي الزكاة وقاسهم على تاركي الصلاة، وفي الحديث الثاني لم تذكر فيه إقامة الصلاة ولا إيتاء الزكاة، وأن الذي يعصم النفس والمال إنما هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أما في هذا الحديث فيبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى أمره بقتال الكفار وعبدة الأوثان حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله بل لا تكفي هذه الشهادة ولكن يجب عليهم أيضاً أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ففي هذا الحديث نجد أن النص صريح في أن تارك الصلاة ومانعي الزكاة يقاتلوا، وهذا النص يشهد لرأي سيدنا أبي بكر في قتال مانعي الزكاة ولو كانت هذه الرواية حاضرة في ذهن سيدنا أبي بكر عندما راجعه سيدنا عمر في أمر قتال مانعي الزكاة لما احتاج سيدنا أبو بكر إلى قياس الزكاة على الصلاة وكانت هذه الرواية كافية لإقناع سيدنا عمر وباقي الصحابة برأي سيدنا أبي بكر وهو قتال مانعي الزكاة، ثم بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيم الصلاة ويأتي الزكاة فقد عصم وحفظ نفسه وماله ومنعها من أن يتطرق إليهما أي إنسان بشر كقتل وسلب لأن من يفعل ذلك فقد صار مسلماً ومن حق المسلم على المسلمين حفظ دمه وماله إلا إذا أتى بما يخالف دين الإسلام فيستحل من حقه على قدر مخالفته ومن قتل يقتل ومن سرق تقطع يده وهكذا تطبق عليه الأحكام الإسلامية، ولنا الظاهر فمن قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وصلى وأعطى الزكاة فله حق الإسلام وإن كان مرائياً في ذلك أو يفعله خوفاً فإن ظاهره أنه مسلم فلنا أن نعامله على هذا الظاهر وحسابه على الله إن كان صادقاً في عقيدته أثابه الله، وإن كان كاذباً عاقبه.

المباحث الفقهية

استدل جمهور العلماء بهذا الحديث كما قال الإمام النووى يستدل بهذا الحديث على أنه تارك الصلاة عمداً معتقداً وجوبها يقتل .

ثم اختلف أصحاب الشافعى هل يقتل ؟ على الفور أم يمهل ثلاثة أيام ؟ الأصح الأول ، والصحيح أنه يقتل إذا ترك صلاة واحده إذا خرج وقت الضرورة لها ، ويقتل بالسيف وهو مقتول حداً وقال الإمام أحمد فى روايه أكثر أصحابه عنه تارك الصلاة عمداً يكفر ويخرج من الملة وبه قال بعض أصحاب الشافعى فعلى هذا له حكم المرتد فلا يغسل ولا يصلى عليه وتبين منه أمرأته وقال أبو حنيفة والمازنى يحبس إلى أن يحدث توبة ولا يقتل .

وأما مانع الزكاة فإن الزكاة تؤخذ منه قهراً ويعزر على تركها ، أما إذا انتصب مانع الزكاة للقتال فإنه يقاتل كما قاتل سيدنا أبو بكر الصديق مانعى الزكاة وقال النووى يستدل بهذا الحديث على وجوب قتال مانعى الصلاة والزكاة وغيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيراً ، قلت فعن هذا ، قال محمد بن الحسن : إن أهل بلدة أو قرية إذا اجتمعوا على ترك الآذان فإن الإمام يقاتلهم وكذلك كل شىء من شعائر الإسلام [١] .

ما يستفاد من الحديث

(١) عظم منزلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يتقبل أمراً إلا من الله سبحانه وتعالى ولا يأمره أحد غير الله .

(٢) إن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مكملان لشهادة التوحيد ولابد منهما وإلا لم تقبل منه شهادته .

(٣) إن تارك الصلاة ومانع الزكاة يقاتل شرعاً ، واختلف الفقهاء فى حكم قتله هل يقتل حداً ، أم كفراً ؟ .

(٤) إن الإسلام دين حفظ الحقوق والأرواح والأموال والعهود والمواثيق

(٥) وجوب قتال الكفار إذا استطاع المسلمون ذلك حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية للمسلمين إذا كانوا من أهل الجزيه .

---

(١) راجع عمدة القارى ١ / ١٨١ وما بعدها ومسلم بشرح النووى ١ / ٢١٩ وما بعدها .

١٣- موقف الإسلام من الظلم والشح

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وسلم قال : "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".

شرح المفردات

(اتقوا الظلم) اجتنبوه واجعلوا بينكم وبينه ستراً ووقاية والظلم : هو وضع الشئ فى غير موضعه ، أو هو التصرف فى حق الغير دون عدل.

(فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) هذه الجملة تعليمية : للسابقة والمعنى: (اجتنبوا الظلم لأنه ظلمات متراكمة يوم القيامة ، أو أن المراد بالظلمات كناية عما يلاقيه الظالم من هول وشدة فى الآخرة.

(واتقوا الشح) والشح : هو الحرص الشديد أو شدة البخل.

(فإن الشح أهلك من كان قبلكم) هذه الجملة تعليل للجملة السابقة ، والمراد هنا بالاهلاك : إما الإهلاك الحسى أو الإهلاك المعنوى ، وترجح الأول وهو الإهلاك الحسى ، بدليل قوله " حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".

ومعنى سفكوا دماءهم أراقوه بالقتل.

(واستحلوا محارمهم) اى جعلوا نتحنين عما حرم الله.

المعنى

فى هذا الحديث الشريف يوضح الرسول ﷺ مواقف الإسلام من آفتين من شر الآفات ويترتب عليهما هلاك الإنسان وضياعه فى الدنيا وفى الأخرة، فحذر الرسول ﷺ

أمته منهما وبين ما اشتمل عليه كل آفة منهما من شر وهلاك وحاربهما الإسلام بوسائل شتى ، كاشفاً عما ينطويان عليه من خطر داهم وفساد يستشري في المجتمع ، فنفر الرسول ﷺ من الظلم حين أمر باتقائه فقال "اتقوا الظلم" وآثر التعبير بكلمة اتقوا ، دون غيرها ليصور بشاعة هذه الآفة ، وأنه أولى بالمسلم أن يحذرها ويبتعد عنها بالتزامه طريق العدل الذى أمر به الله تعالى قال سبحانه :(إن الله يأمر بالعدل [illegible] وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر [illegible] لعلكم تذكرون).

وبين الله تعالى أن نتيجة الظلم أليمة وعاقبته وخيمة أما نتيجة الظلم فى الدنيا فقد صورها القرآن بأنها تنتهى بأصحابها إلى الهلاك قال تعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا)

وأما فى الآخرة فإن الظالم يلقى ظلمات متتابعة إذا خرج من ظلمة دخل فى ظلمة غيرها وهكذا يلقى أمامه مظالم العباد ظلاما فى آخرته فهى ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض فتكون الظلمات على هذا محمولة على ظاهرها وحقيقتها ، فى قوله ﷺ:"فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" ويحتمل أن يكون كناية عن الهول والشدة في الآخرة بالنسبة للظالمين ، فهو تصوير لسوء العاقبة بالنسبة لهم ، كما قال تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)

وأما الآفة الثانية : فهى الشح ويعتبر سببا للظلم ، فالشح هو الحرص الشديد على المال وجمعه بشتى الوسائل وعدم إنفاقه فى وجوه الخير فيظلم الإنسان بهذا التصرف أصحاب الحقوق ويغبنهم ، فيكون من الظالمين وقد يراد من الشح أشد البخل الذى يلازم الحريص على المال.

فحذر الرسول ﷺ من الشح وأمر باتقائه حتى لا يتهالك الناس على الدنيا ، ثم بين السبب فى هذا التوجيه وهو أنه كان سبباً فى إهلاك من كان قبلكم ،وهو بنو اسرائيل ،ويحتمل أن يكون هلاكا معنويا بموت القيم الرشيدة والاخلاق السديدة. والفضائل المثلى ويحتمل أن يكون الهلاك على ظاهرة وحقيقته بأن يكون هلاكا حسياً ، وهذا ما ترجمه لأنه قال بعد ذلك :حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ، فسفك الدماء وإراقتها ، إنما يكون بقتل بعضهم لبعض وهو الهلاك الحسى، كما حملهم على تحليل ما حرم الله عليهم ، فقد حرم الله تعالى عليهم الشحوم فى قوله تعالى : " ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما" فأذابها وباعوها ؛ وأكلوا أثمانها وعندما حرم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت حبسوا السمك فى الحفائر التى حفروها فى هذا اليوم ، ليصطادوه فى الأيام المقبلة ، فهم أحرص الناس على الحياة وعلى المادة ، كما قال تعالى : (لتجدنهم أحرص الناس على حياة).

هذا ما يترتب على كل من آفة الظلم والشح ، وهما رذيلتان من أخطر الرذائل التى حذر منها الإسلام وحاربها فى جميع صورها ولننظر الآن إلى ضدهما وبضدهما تتميز الأشياء : وهما فضيلتا العدل والسخاء :

أما العدل : فهو اعطاء الحق لصاحبه ، ماديا كان هذا الحق أو معنويا وقد عنى القرآن الكريم بتوضيح مكانته وتجليه نتائجه فى جميع الجوانب قال تعالى : "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً"[1] وبالعدل جوانب واسعة فى كل جانب منها محاربة للظلم فى مختلف صوره وأشكاله فهناك العدل فى العمل ، والعدل فى القول والعدل فى الشعور والاحساس.

---

[1] - سورة النساء الآية (٥٨)

١- أما العدل في جانب العمل فهو أوسع المجالات في محاربة الظلم إنه تحقيق للحق في جانب النفس والعرض والمال وسائر الحقوق ، فينادي الإسلام بالعدل في هذا الجانب بحيث يحرم كل ظلم يقع على النفس الإنسانية من سفك الدم أو العدوان عليها بأي وجه ، وبأية وسيلة وينشد الإسلام من كل ذلك الأمان صيانة للنفس الإنسانية من أي ظلم يقع عليها يقول رسول الله ﷺ لا يشير أحدكم إلى أخيه بسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده" كما يصون الإسلام الأعراض والأموال من التعرض لها ، ويدفع غائلة الظلم عنها حتى تسود العفة والأمانة سائر المجتمع الإسلامي ، وفي سبيل تحقيق العدل في جانب الأفعال حرم الإسلام السرقة والرشوة وكل وسائل الاحتيال التي يتخذها الظالم أشكالا يتستر فيها.

٢- وأما العدل في جانب القول ، فقد أشار الله تعالى إليهما بقوله : (وإذا قلتم فاعدلوا) وأشار الرسول ﷺ إليهما بقوله :"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ....."

وفي هذا الجانب حذر الإسلام من صور الظلم التي يمكن أن تبرز فيه بصور متعددة كشهادة الزور ، والكذب والغيبة والنميمة وما إلى ذلك من الصور.

٣- وأما العدل في جانب الاحساس والشعور فذلك بمحاربة صور الظلم الخفية في الداخل مما تنطوي عليه الصدور من حقد وحسد وكراهية وشماتة وسوء ظن وما إلى ذلك من الآفات النفسية التي تنطلع بها المشاعر الظالمة لإخوانها من المسلمين وفي هذا الجانب دعا الإسلام إلى طهارة القلب وعدالة الشعور.

وأما ما يتعلق بفضيلة السخاء التي حارب الإسلام بها الشح فإننا نجد القرآن الكريم يجعل فلاح المؤمن منوطاً بها فمن استطاع أن يتقي شح نفسه

ويتسم بالسخاء ، فقد استطاع أن ينتظم في صفوف المفلحين عند الله ، قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقد بذل الإسلام كثيراً من الوسائل لتطهير النفس الإنسانية من هذه الرذيلة، التي تتعلق بكثير من الناس إلا الذين يتصلون بربهم ويديمون له بالصلاة والإخلاص له وقال تعالى : "إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون"

ما يؤخذ من الحديث

١- التحذير من الظلم والشح ، وبيان ما يترتب عليهما من العواقب الوخيمة.

٢- دعوة الإسلام إلى إقرار العدالة والتعاون بين الأفراد والجماعات.

٣- توجيه الناس إلى أحوال يوم القيامة وما يلاقيه الظالمون .

٤- التحذير من رذيلة البخل ، وبيان أنها كانت سبباً في هلاك الأمم السابقة وتقويض حضارتها ،وترويع الآمنين فيها، عن طريق سفك الدماء والاحتيال لتحليل ما حرم الله.

٥- الحث على إقامة المجتمع الإسلامي على أسس العدل والتعاون، ومحاربة كل الآفات من التسرب إلى المحيط الإسلامي.

الصوم الحقيقي

٤٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري.

شرح الحديث :

لايكون الصائم كامل الصوم مقبولا عند ربه إلا إذا صام صوماً حقيقياً وتاماً بأن كف جوارحه وشهواته، وامتنع عن النظرات وعن المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وامتنع عن قول الزور وعن العمل به أما من لم يدع قول الزور والعمل به فقد وضح هذا الحديث أنه قد نقص ثوابه.

والمراد بقول الزور: الكذب، واشتمل الحديث على التحذير من قول الزور وهذا هو المراد. وأما معنى قوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" أي فليس له إرادة في صيامه.

وقد وضح الإمام أبو حامد الغزالي درجات الصيام وذكر أنها

ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

صوم خصوص الخصوص : وهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم رواه البخاري ومسلم.

وجاء في الخبر : أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم : قل لهما قئا

فيه مما أكلتا فقاءت إحداهما نصفه دما وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فتعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم" رواه أحمد في المسند . والإنسان الذي يكف عن الطعام والشراب فيجوع ويعطش ولكنه لا يكف نفسه عن الغيبة ونحوه أو العمل به ولا يحفظ جوارحه عن الآثام أو يصوم ويفطر على الحرام أو على لحوم الناس بالغيبة ونحوها فهذا الإنسان لا يجني من صيامه إلا الجوع والعطش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش" رواه النسائي وابن ماجه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ كفر ما قبله" رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي.

إن الصيام أمانة يجب على المؤمن أن يؤديها على أكمل وجه وأتمه وأن يصون صيامه من كل ما يبطله أو ينقص ثوابه ، وأن يتحاشى قول الزور والعمل به ، وأن يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ليستحق أن يتكفل الله بجزائه ، وأن يثمر صيامه أعظم الثمرات ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

ما يؤخذ من الحديث :

١- على الصائم أن يتجنب قول الزور والعمل به.

٢- الصيام أمانة بين العبد وربه فيجب عليه مراعاتها.

٣- فضل الصيام الحقيقى الكامل وماله من أثر فى حياة العبد وآخرته.

الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان

٥٤- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ». رواه البخارى.

يوضح هذا الحديث ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجود والإنفاق ، والبذل والعطاء، فكان صلوات الله وسلامه عليه أجود الناس .. والجود فى الشرع : هو إعطاء ما ينبغى وهو أعم من الصدقة وفى حديث آخر عن أنس: كان النبى صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأجود الناس".

وليس عجيبا أن يكون أجود الناس وهو الأسوة الحسنة وصاحب النفس الكريمة التى هى أكرم النفوس وأشرفها وصاحب الأخلاق العالية التى هى أفضل الأخلاق بل إنه ركن مضمون بعثته لإتمامها،

كما قال صلوات الله وسلامه عليه "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فلا عجب أن يكون أجود الناس وأسخى الناس وأكرم الناس وأفضلهم ، وهو الهادى إلى صراط ربه والقائل ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفاً" رواه البخارى.

وبعد أن وضح الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس مطلقاً، أشار بعد ذلك إلى أن جوده وعطاءه وبذله صلوات الله وسلامة عليه فى شهر رمضان أكثر من غيره من الشهور ، لأن شهر رمضان هو موسم الخيرات ، ولأن نعم الله سبحانه وتعالى على عباده فيه زائدة على غيره وهى فى هذا الشهر أكثر من غيره.

"وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن" ومعنى مدارسة القرآن قراءته بالتناوب على سرعة ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتناوب القراءة مع جبريل عليه السلام بأن يقرأ هذا بعضا من القرآن ويقرأ الآخر البعض أو يتشاركان فى القراءة معا .

أما الحكمة فى مدراسة القرآن فهى أنها تجدد العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود ولأن هذا الشهر المبارك هو موسم الطاعات والخيرات ونعم الله فيه لاتحصى، وهكذا يتضح من الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس مطلقاً وأن جوده فى شهر رمضان أكثر من غيره.

ثم أشار الحديث بعد ذلك إلى أن جوده فى شموله وعمومه حيث يشمل كثيراً من الوجوه والمنافع وأنه جود مع كثرته سريع كالريح المرسلة بل أن جوده صلوات الله وسلامه عليه أكثر من الريح المرسلة سرعة ، ووصف الريح "بالمرسلة" إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة ، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه.

وإنما كان جوده صلوات الله وسلامه عليه فى شهر رمضان أفضل من جوده فى غيره لكونه فى رمضان ولملاقاته جبريل عليه السلام ولمدارسته القرآن الكريم.

وفى الحديث إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن الكريم كان فى شهر رمضان كما قال تعالى :"شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن.."[1] وأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان فى شهر رمضان.

ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة الذى يجب على أمته أن يقتدوا به كما قال الله جل شأنه :"لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[2] فعلينا أن نقتدى برسولنا صلوات الله وسلامه عليه فى الإنفاق والمزيد من الجود فى شهر رمضان.

---

(١) جزء من الآية "١٨٥" من سورة البقرة.
(٢) سورة الأحزاب آية "٢١".

النهي عن الوصال

٤٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال ، قالوا : « إنك تواصل ، قال : صلى الله عليه وسلم عن الوصال، فقال رجل من المسلمين . فإنك يارسول الله تواصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم - كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا » رواه مسلم .

معاني المفردات:

" نهى عن الوصال" مفعول الفعل "نهى" محذوف تقديره نهى المسلمين أو نهى الصحابة

ومعنى " الوصال" صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما "وأيكم مثلي" استفهام توبيخي يفيد الاستبعاد والواو عاطفة

على جملة تقديرها : هذا حالى وشأنى وأيكم مثلى ؟.

"ثم رأوا الهلال" المراد هلال شوال ، فالوصال كان فى آخر شهر رمضان.

المعنى :

من المعلوم أن على المسلمين أن يتخذوا أسوتهم من رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحرصون على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى كل أمورهم وشئونهم وعباداتهم ومعاملاتهم مصداقاً لقول الله تعالى "لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[1].

ولكن هناك أموراً يختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يقتدى به فيها .

(١) سورة الأحزاب آية "٢١".

وواضح أن كل حكم ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو ثابت أيضا فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل ، كبعض خصائصه صلى الله عليه وسلم ، فإن خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم لايتأسى به فى جميعها.

وقد نص الإمام الشافعى وأصحابه على كراهة الوصال فى الصيام ولهم على كراهة الوصال فى الصيام وجهان :

أولهما : وأصحهما : أنها كراهة تحريم .

والثانى : كراهة تنزيه ، وقد قال جمهور العلماء بالنهى عن الوصال.

وقال القاضى عياض: إختلف العلماء فى أحاديث الوصال فقيل : النهى عنه رحمة وتخفيف ، فمن قدر فلا حرج وقد واصل جماعة من السلف الأيام .

وأجازه ابن وهب وأحمد وإسحاق إلى السحر ، ثم حكى عن الأكثرين كراهته.

وقال الخطابي وغيره : الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرمت على الأمة ، واحتج الجمهور بعموم النهي عن الوصال، وأما الذين أباحوه فاحتجوا بما جاء في بعض طرق مسلم : نهاهم عن الوصال رحمة بهم .

وفي هذا الحديث الذي معنا ، أنهم لما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال وهو هلال شوال لأن الوصال بهم كان في آخر شهر رمضان ، وقال لهم . لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا .

وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " فقد قيل في معناه : أنه يطعم من طعام الجنة كرامة له وقيل : يجعل الله سبحانه وتعالى فيه قوة الطاعم والشارب وهذا أصح لأنه لو أكل حقيقة لم يكن [illegible] مواصلا.

وفي النهي عن الوصال [illegible] وتيسير بالأمة ، فمنهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد في الأمور كلها ، لا إفراط ولا تفريط ، قال

تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "(١) وقال تعالى : " وما جعل عليكم فى الدين من حرج "(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : " هلك المتنطعون " أى الذين يبالغون ويتشددون فى الأمور ، وقال : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأغدوا وروحوا " .

ما يؤخذ من الحديث :

١- مسارعة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- للرسول صلى الله عليه وسلم خصوصيات لايشاركه فيها أحد من أمته والاقتداء به فى غير هذه الخصوصيات .

٣- النهى عن الوصال فى الصيام .

٤- يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها .

٥- رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته .

٦- الزجر عن كل مايسبب الملل من العبادة أو التعرض للتقصير فيها .

---

(١) جزء من الآية "١٨٥" من سورة البقرة .

(٢) جزء من الآية "٧٨" من سورة الحج .

كتاب الصيام

باب فضل الصوم

قال الأمام البخاري - رحمه الله تعالي : حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج قال اخبرني عطاء صالح الزيات انه سمع آبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلي الله عليه وسلم -:قال الله: كل عمل ابن آدم له ألا الصيام فانه لي وآنا اجزي به،والصيام جنه ،وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب،فان سابه أحد"أو قاتله فليقل أنى امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما:إذا افطر فرح؛وإذا لقي ربه فرح بصومه) وقال الأمام البخاري :حدثنا عبد الله بن مسلمه عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ((الصيام جنه،فلا يرفث ولا يجهل.وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل :أنى صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك،يترك طعامه وشرابه وشهواته من اجلي .الصيام لي وأنا اجزي به ،والحسنه بعشر أمثالها))

شرح الحديث

(الصيام جنه) والجنه بضم الجيم الوقاية والستر. وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر وانه من النار،وبهذا جزم ابن عبد البر . واما صاحب (النهاية) فقال :معني كونه جنه أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات. وقال القرطبي:جنه أي ستره،يعني كسب مشروعيته،فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه،واليه الأشاره بقوله: ((فإذا كلن يوم صوم أحدكم فلا يرفث ٠٠٠ الخ)) ،ويصح أن يراد انه سترة كسبب قائلته وهو إضعاف شهوات النفس، واليه الإشارة بقوله((يدع شهواته)) ويصح أن يراد انه ستره كسبب ما يحصل من الثواب

وتضعيف الحسنات. وقال عياض في ((الإكمال)): معناه سترة من الأثام أو من النار أو من جميع ذلك،وبلا خير جزم النووي .وقال ابن العربي:إنما كان الصوم جنه من النار لانه امسك عن الشهوات في و النار محفوفة بالشهوات .فالحاصل انه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتر اله من النار في الآخرة .(فلا يرفث)أي الصائم،كذا وقع مختصرا،وفي الموطأ(الصيام جنه،فإذا كان أحدكم صائما فلايرفث ...الخ) ويرفث بالضم والكسر ويجوز في ماضيه التثليث،والمراد بالرفث هنا وهو بفتح الراء و الفاء ثم المثلثة الكلام الفاحش،وهو يطلق علي هذا وعلي الجماع وعلي مقدماته وعلي ذكره مع النساء أو مطلقا ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها. ((ولا يجهل)) أي لا يفعل شيئا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك. ولسعيد ابن منصور من طريق سهيل بن أبى صالح عن أبيه ((فلا يرفث ولا يجادل))قال القرطبي:لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر ،وانما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم.

:((وان امرؤ))بتخفيف النون (قاتله أو شاتمه)وقد استشكل ظاهره بان المفاعلة تقتضي وقوع الفعل من الجانبين والصائم لا تصدر منه الأفعال التي رتب عليها الجواب خصوصا المقاتلة ،والجواب عن ذلك أن المراد بالمفاعلة التهيؤ لها ،أي أن تهيا أحد لمقاتلته أو مشاتمته فليقل أنى صائم،فانه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه ،فان أصر دفعه بالأخف فالأخف كالصائل،هذا فيمن يرو مقاتلته فان كان المراد بقوله (قاتله) شاتمه لان القتل يطلق علي اللعن و اللعن من جمله السب و يؤيده ما ذكرت من الألفاظ المختلفة فان حاصلها يرجع الي الشتم فالمراد من الحديث انه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله (أني صائم) و اختلف في المراد بقوله :(فليقل أني صائم) هل يخاطب بها الذي يكلمه بذلك أو يقولها في نفسه ؟ وبالثاني جزم المتولي ونقله الرافعى عن الأئمة ،ورجح النووي الأول في "الأذكار"

وقال في "شرح المهذب" كل منهما حسن ،والقول باللسان أقوى ولو جمعهما لكان حسنا، ولهذا التردد أتى البخاري في ترجمته كما سيأتي بعد أبواب بالاستفام فقال :"باب هل يقول أنى صائم إذا شتم ؟" وقال الرويانى

إن كان رمضان فليقل بلسانه، وان كان غيرة فليقلة في نفسه. وادعى ابن العربي أن موضوع الخلاف في التطوع. وإما في الغرض فيقوله بلسانه قطعا، ولما تكرير قولة :"أنى صائم" فليتأكد الانزجار منة أو ممن يخاطبه بذلك.ونقل الزركشي أن المراد في قولة :"فليقل إني صائم مرتين" بقولة مرة بقلبه و مرة بلسانه، فليستفيد بقولة بقلبه كف لسانة عن خصمة وبقولة بلسانه كف خصمة عنة.وتعقب بأن القول حقيقة باللسان، وأجيب بأنة لا يمنع المجاز، وقولة:"قاتلة" يمكن حملة على ظاهرة ويمكن أن يراد بالقتل لعن يرجع إلى معنى الشتم، لا يمكن حمل قاتلة و شاتمة على المفاعلى،لأن الصائم مأمور بأن يكف نفسة عن ذلك فكيف يقع ذلك منة؟ وانما المعنى إذا جاءه متعرضا لمقاتلته أو مشاتمته كان يبدأه بقتل أو شتم اقتضت العادة أن يكافئة علية. فالمراد بالمفاعلة إرادة غير الصائم ذلك من الصائم ،و قد تطلق الفاعلة علي التهيؤ لها ولو وقع الفعل من واحد،وقد تقع المفاعلة بفعل الواحد كما يقال لواحد عالج الأمر و عافاه الله و أبعد من حمله علي ظاهرة فقال المراد إذا بدرت من الصائم مقابله الشتم بشتم علي مقتض الطبع فلينزجر عن ذلك و يقول أني صائم ،ومما يبعده قوله في الرواية الماضية " فان شتمه شتمه "والله اعلم . وفائدة قوله : "أنى صائم "أنه يمكن أن يكف عنه بذلك فان أصر دفعه بالأخف فالأخف كالقاتل ،هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة،فان كان المراد بقوله "قاتله شاتمه فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر علي قوله أنى صائم

(والذي نفسي بيده) أقسم علي ذلك تأكيدا .(لخلوف) بضم المعجمه و اللام وسكون الواو وبعدها فاء .قال عياض :هذة الرواية الصحيحة وبعض الشيوخ بقوله بفتح الخاء ، قال الخطابي وهو خطأ ،وحكي القابسي الوجهين ،وبالغ النووي في " شرح المهذب " فقال لا يجوز فتح الخاء ،واحتج غيره لذلك بأن المصادر التي جاءت علي فعول بفتح أوله قليلة ذكرها سيبويه وغيره فليس هذا منها ،واتفقوا علي أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام (فم الصائم) فيه رد علي من قال لاتثبت الميم في الفم عند الاضافه ألا في ضرورة الشعر لثبوته في هذا الحديث الصحيح وغيره (أطيب عند الله من ريح المسك) اختلف

في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك- مع انه سبحانه وتعالي – منزه عن استطابه الروائح ،إذ ذلك من صفات الحيوان ومع انه يعلم الشيء علي ما هو عليه – علي اوجه قال المازري :هو مجاز لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله فالمعنى انه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه اكثر من تقريب المسك إليكم ، والي ذلك أشار ابن عبد البر وقيل:المراد أن ذلك في حق الملائكة وانهم يستطيبون ريح الخلوف اكثر مما تستطيبون ريح المسك ،وقيل المعني أن الخلوف والسك عند الله علي ضد ما هو عندكم ، وهو قريب من الأول .وقيل :المراد أن الله تعالي يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كماياتى المكلوم وريح جرحه تفوح مسكا . وقيل: المراد أن صاحبه ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك لاسيما بالاضافه ألي الخلوف حكاها عياض .وقال الداودي وجماعه :المعنى أن الخلوف اكثر ثوابا من المسك المندوب أليه في الجمع ومجالس الذكر ،ورجح النووي هذا الأخير ،وحاصلة حمل معنى الطيب على القبول والرضا ، فحصلنا على ستة أوجه .

(يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى) والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ،ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص .

(الصيام لي وأنا أجزى به) وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى :" الصيام لي وأنا أجزى به " مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزى به على أقوال:-

أحدها: أن الصوم لايقع فيه الرياء كما يقع في غيره .

ثانيها : أن المراد بقوله :"وأنا أجزى به" أنى أنفرد بعلم مقدار ثواب وتضعيف حسناته . وأما غيره من العبادات فقد أطلع عليها بعض الناس .

ثالثها :معنى قوله :"الصوم لي " آي أنه أحب العبادات ألي ، والمقدم عندي ، وقد تقدم قول ابن عبد البر : كفى بقوله :"الصوم لى " فضلا للصيام على سائر العبادات .

رابعها : الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وان كانت البيوت كلها لله.
قال الزين بن المنير : التخصيص في موضوع التعميم في مثل هذا السياق لايفهم منه ألا التعظيم و التشريف .
خامسها : أن الاستغناء عن الطعام و غيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله -، فلما تقرب الصائم أليه بما يوافق صفاته أضافه أليه
وقال القرطبي : معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم ألا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق ،كأنه يقول أن الصائم يتقرب ألي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي .
سادسها : أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة إلى الملائكة لأن ذلك من صفاتهم .
سابعها : أنه خالص لله وليس للعبد فيه حظ ،قاله الخطابي ، هكذا نقله عياض و غيره ،فان أراد بالحظ ما يحصل من الثناء عليه لأجل العبادة رجع ألي المعنى الأول وقد أفصح بذلك ابن الجوزى فقال /: المعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره فان له فيه حظا لثناء الناس عليه لعبادته .(١) (فتح الباري ح ٤ /١٢٥-١٣٠، ١٤١)
ويستفاد من الحديث :

١- وجوب الإخلاص في العبادات لله رب العالمين .
٢- الصيام من التربية والتهذيب .
٣- ليقبل الصيام لابد وأن ينهى عن اللغو والرفث

باب فضل رمضان

قال الإمام مسلم – رحمه الله تعالى -: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر عن أبى هريرة – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين".

وقال الأمام مسلم : وحدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن أبى أنس أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة – رضى الله عنه – يقول: قال رسول الله – صلى عليه وسلم - :إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلست الشياطين ".

الشرح والتحليل

الصيام في اللغة :الإمساك ، وفى الشرع : إمساك مخصوص في زمن مخصوص من شخص مخصوص بشرطه .

قوله (ص) :(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) وفى الرواية الأخرى (إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين) وفى رواية (إذا دخل رمضان) فيه دليل للمذهب

الصحيح المختار الذي ذهب اليه البخاري والمحققون أنه يجوز أن يقال : رمضان من غير ذكر الشهر بلا كراهية وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب :-

- قالت طائفة : لا يقال رمضان على انفراده بحال وانما يقال شهر رمضان وهذا قول أصحاب مالك وزعم هؤلاء أن رمضان اسم من أسماء الله -تعالى- فلا يطلق على غيره ألا بقيد.

وقال أكثر أصحابنا وابن الباقلاني : أن كان هناك قرينة لصرفه ألي الشهر فلا كراهة والا فيكره قالوا : فيقال صمنا رمضان قمنا رمضان ورمضان أفضل الأشهر ويندب طلبُ ليلة القدر في أواخر رمضان ، وأشباه ذلك ولا كراهة فى هذا كله ، وانما يكره أن يقال "جاء رمضان ودخل رمضان وحضر رمضان وأحب رمضان ونحو ذلك .

- والمذهب الثالث مذهب البخاري والمحققين أنه لاكراهة فى اطلاق رمضان بقرينة وبغير قرينة ، وهذا المذهب هو الصواب والمذهبان الأولان فاسدان ، لأن الكراهية إنما تثبت بنهى الشرع ولم يثبت فيه نهى ، وقولهم انه اسم من أسماء الله -تعالى- ليس بصحيح ،ولم يصح فيه شئ ،وان كان قد جاء فيه أثر ضعيف ، وأسماء الله -تعالى- توفيقية لاتطلق ألا بدليل صحيح ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة ، وهذا الحديث المذكور فى الباب صريح فى الرد على المذهبين ولهذا الحديث نظائر كثيرة فى الصحيح فى اطلاق رمضان علي الشهر ، وقد سبق التنبيه على كثير منها فى كتاب الإيمان وغيره والله أعلم .

وأما قوله (ص) :"فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " فقال القاضي عياض -رحمه الله تعالى- يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق

أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم قال : ويحتمل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة ألي كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم ليصيرون كالمصفدين ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس ، ويؤيد هذه الرواية الثانية " فتحت أبواب الرحمة " وجاء فى حديث آخر " صفدت مردة الشياطين " قال القاضي : ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله –تعالى – لعباده من الطاعات فى هذا الشهر التي لاتقع فى غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكناف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها كذلك تغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكنفون عنه من المخالفات (ومعنى صفدت)غللت، والصفد بفتح الفاء – الغل - بضم الغين – وهو معنى

سلسلت في الرواية الأخرى هذا كلام القاضي أوفيه أحرف بمعنى كلامه (١). (صحيح) مسلم بشرح ا النووي١٩٣-١٩٥

ما يستفاد من الحديث :-

١-بيان فضائل شهر رمضان و نعم الله – تعالى – فيه .

٢- الحث على العمل الصالح والصوم المقبول.

باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، والفطر لرؤية الهلال .

انه إذا غمر في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما .

قال الإمام مسلم :- حدثنا يحيى بن يحيى قال :قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر –(رضى الله عنهما)عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أنه ذكر رمضان ،فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان أغمى عليكم فاقدروا له وقال الإمام مسلم –رحمه الله تعالي -:حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه-حدثنا أبو أسامه حدثنا عبيد الله عن أبى عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله- صلي الله عليه وسلم – ذكر رمضان فضرب بيديه فقال: الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم عقد ابهامه في الثالثه فصوموا لرؤيته وافطرو لرؤيته فان اغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين

الشرح والتحليل

قوله-ص-:(لاتقوموا حتى تروا الهلال ولاتفطروا حتى تروه فان أغمى عليكم فاقدروا له) وفى رواية (فاقدروا له ثلاثين) وفى رواية (اذا رأيتم الهلال فصوموا واذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فاقدروا له) وفى رواية (فان أغمى عليكم فأكملوا العدد) وفى رواية (فان عمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين) وفي رواية (فان أغمى عليكم فعدوا ثلاثين) .

هذه الروايات كلها فى الكتاب على هذا الترتيب ، وفى رواية للبخارى فان غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين ، واختلف العلماء فى معنى (فاقدروا له) فقالت طائفة من العلماء : معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب وممن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم يوم ليلة الغم عن رمضان كما سنذكره ان شاء الله تعالى -،وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف ابن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروه

هبحساب المنازل ، وذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف الى أن معناه قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما .
قال أهل اللغة يقال قدرت الشيء أقدره وأقدره وقدرته وأقدرته بمعنى واحد وهو من التقدير ، وقال الخطابي : ومنه قول الله تعالى : (فقدرنا فنعم القادرين) ، واحتج الجمهور بالروايات المذكورة فأكملوا العدة ثلاثين ، وهو تفسير لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية بل تارة يذكر هذا وتارة يذكر هذا ويؤكدهالرواية السابقةفاقدروا له ثلاثين .
قال المازرى:حمل جمهور الفقهاء قوله(ص):فاقدروا له على ان المراد اكمال العده ثلاثين كما فسره في حديث اخر قوله ولا يجوزان يكون المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به ضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع أنما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم والله اعلم . واما قوله(ص) (فان غم عليكم): فمعناه حال بينكم وبينه غيم يقال غم واغمي وغمي وغمىبتشديد الميم وتخفيفها والعين مضمومه فيهما ؛ ويقال غبى بفتح الغين وكسر الباء وكلها صحيحه؛ وقد غامت السماء وغيمت واغامت وتغيمت واغمت وفي هذه الاحاديث دلاله لمذهب مالك والشافعي والجمهور انه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم . قوله(ص) (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته). المراد رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جمع الناس رؤية عدلين وكذا عدل على الاصح هذا في الصوم واما في الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثورفجوزه بعدل.
قوله(ص): (الشهر هكذا وهكذا) وفي رواية الشهر تسع وعشرون.
معناه ان الشهر قد يكون تسعا وعشرون ؛ وحاصله ان الاعتبار بالهلال فقد يكون تاما ثلاثين وقد يكون ناقصا تسعا وعشرين؛ وقد لا يرى الهلال فيجب اكمال العدد ثلاثين قالوا: وقد يقع النقص متواليا في شهرين وثلاثة واربعة ولا يقع في اكثر من اربعة ؛ وفي هذا الحديث جواز اعتماد لاشاره المفهمه في مثل هذا.
*ما يستفاد من الحديث:

٢- ان غم على المسلمين رؤية الهلال فالواجب اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما.
٣- دقة الشارع الحكيم.
٤- وجوب اتحاد المسلمين واجتماعهم على البر والطاعات ما امكنهم ذلك.

باب فضل ليلة القدر ؛والحث على طلبها وبيان محلها أرجى أوقات طلبها

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: وحدثنا بن يحيى قال : قرأت على مالك عن نافع عن بن عمر - رضى الله عنهما
- أن رجلا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم - رؤوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله - صلي لله عليه وسلم - أرى رؤياكم قد توا طات في السبع الأواخر فمن كان متحرها فليتحرها في السبع الأواخر .

الشرح و التحليل

قال العلماء وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالى:(فيها يفرق كل أمر حكيم).

وقوله تعالى : (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر).

ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وتقديره له، وقيل : سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها واجمع من يعتد به على وجودها ودوامها ألي آخر الدهر للأحاديث الصحيحة المشهورة قال القاضي : واختلفوا في محلها، فقال جماعه : هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفى سنة أخري في ليلة أخرى ، وهكذا وبهذا يجمع بين الأحاديث ويقال : كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها قال: ونحو هذا قول مالك والثوري واحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم قالوا : وانما تنتقل في العشر الأواخر من رمضان ،وقيل : بل في كله ، وقيل أنها معنية فلا تنتقل أبدا بل هي ليلة معنية في جميع السنين لا تفارقها وعلى هذا قيل في السنة كلها ،وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبه وقيل : بل في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر وجماعة من الصحابة .

قيل : بل في العشر الوسط والأواخر . وقيل : في العشر الأواخر
قيل : تختص بأوتار العشر وقيل بأشفاعها كما في حديث أبي سعيد
وقيل بل في ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو قول ابن عباس ،
بل تطلب في ليلة سبع عشره أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين
حكى عن علي وابن مسعود وقيل : ليلة ثلاث وعشرين وهو قول
كثيرين من الصحابة وغيرهم ، وقيل : ليلة أربع وعشرين وهو حكى
عن بلال وابن عباس والحسن وقتاده ، وقيل : ليلة سبع وعشرين
وهو قول جماعة من الصحابة ، وقيل ليلة سبع عشرة وهو محكي عن
زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا ، وقيل آخر ليلة من الشهر ، قال
القاضي : وشذ قوم فقالوا رفعت لقوله (ص) حين تلاحا الرجلان
فرفعت وهذا غلط من هؤلاء الشاذين لان آخر الحديث يرد عليهم فانه
(ص) قال : فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في السبع
والتسع هكذا رفع بيان علم عينها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر
بالتماسها.

قوله (ص) : (أرى رؤياكم قد تواطت) . أي توافقت وهكذا هو في
النسخ بطاء ثم تاء وهو مهموز وكان ينبغي أن يكتب بالف بين الطاء
والتاء صورة للهمزه ولا بد من قراءته مهموزا قال الله تعالى :
(ليواطئوا عدة ماحرم الله). قوله (ص) (تحروا ليلة القدر) . أي
احرصوا على طلبها واجتهدوا فيه . (١) .

هذا ،وقد فصل العلماء الحديث عن فضائل ليلة القدر ، وعن وقتها
وعن خصائصها ،وقد لخص الإمام القرطبي ذلك تلخيصا حسنا فقال :
وهنا ثلاث مسائل :

الأولى: في تعيين ليلة القدر .. والذي عليه معظم العلماء أنها ليلة سبع
وعشرين من ليالي شهر رمضان ، والجمهور على أنها في كل عام
من رمضان، وقيل : إخفاها سبحانه في جميع ليالي شهر رمضان،
ليجتهد العباد في العمل الصالح طامعا في إدراكها .

الثانية: - في علاماتها:- ومنها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء
لا شعاع لها .

الثالثة:- في فضائلها: وحسبك قوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف
شهر) وقوله (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) .

وفى الصحيحين:(من قام ليلة القدر أيمانا واحتسابا غفرا لله له ما تقدم من ذنبه)

والمأثور عن النبي(ص) انه كان يتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ،فقد روى الشيخان عن عائشة- رضى الله عنها – قالت : (كان النبي –صلى الله عليه وسلم-إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره-أي: اجتهد في العبادة- وأحيا ليلة ، أيقظ أهله.

وكان يجاور أي : يعتكف –في العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان .

وفى رواية عنها (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) .

وينبغى على كل مسلم أن يكثر في هذه الليلة من جوامع الدعاء من القرآن والسنه ،فقد روى احمد ولترمزي وابن ماجه عن عائشة – رضى الله عنها –قالت (قلت يا رسول الله ،ارايت أن علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولي : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) .

- ما يستفاد من الحديث :

١- كثرة نعم الله ومننه على الأمة المسلمة .

٢- فضل شهر رمضان وانه كله خير .

٣- استحباب تحرى ليلة القدر .

٤- الدعوه ألي العبادة والاجتهاد في رمضان .

١) –صحيح مسلم بشرح النووي ٣٠٥/٨-٣٠٩ ط دار القلم بيروت) .

فضل الحج وثمرته

٤٧- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه" رواه مسلم - وفى رواية البخارى بلفظ: من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ».

معانى المفردات :

"من أتى هذا البيت" . هو البيت الحرام بمكة المكرمة "فلم يرفث" الرفث : يطلق على الفحش فى القول ويطلق على الجماع ، وعلى التعريض به ، ويراد به فى الحديث ما هو أعم من ذلك ، وهذه الجملة معطوفة على الشرط ، والجواب رجع (ولم يفسق) : أى لم يأت بمعصية، فالفسوق المعصية .

"رجع كما ولدته أمه" رجع بمعنى صار والجار والمجرور خبر له ويجوز أن يكون حالا أى صار مشابها لنفسه فى البراءة عن الذنوب .

في يوم ولدته أمه ، وفي رواية الدارقطني : رجع كهيئته يوم ولدته :

المعنى العام :

يوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث فضل الحج وثمرته في تكفير الذنوب ، وتطهير المسلم بحيث يصبح في طهارته ونقائه من الذنوب والمعاصي والعيوب بيوم ولدته أمه ، ولكن تلك الثمرة التي أشار إليها الحديث والتي تتمثل في طهارة العبد من الذنوب وغفرانها إنما تتأتى لمن حج حجاً صحيحاً مبروراً.

والحج الصحيح المبرور هو المقبول الذي لم يخالطه إثم وكان كامل الأحكام مستوفي المناسك لا نقص فيه ولا خلل في قواعده فحدث على أكمل وجه .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : "من أتى هذا البيت ...." يشمل الحج والعمرة . والحج الذي يصبح به صاحبه كيوم ولدته أمه هو الذي كان حجا سليمـا فلم يحدث فيه "الرفث" وهو اسم[1] الفحش

---

(١) مسلم شرح النووي.

من القول وقيل هو الجماع وهو قول الجمهور فى الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)(١). وقال بعضهم: هى كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة.

والحج الصحيح الذى خلا من الفسق أيضا فلم يرفث صاحبه ولم يفسق أى لم يأت بمعصية من المعاصى، فالفسوق هو المعصية.

ومن ثمرات الحج نفى الفقر والذنوب، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب. كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة" رواه الترمذى وابن خزيمة، وابن حبان، والحديث الذى معنا وهذا الحديث وغيرهما يظهر من كل هذه الأحاديث أن الغفران شامل للصغائر والكبائر.

---

(١) جزء من الآية "١٧٨" من سورة البقرة

وواضح أن الحسنات يذهبن السيئات والكثير من أعمال الطاعة والعبادة يغفر الله بها الذنوب الصغائر . وأما الكبائر فلابد لغفرانها من التوبة النصوح بشروطها المعهودة من الإقلاع عن الذنب ، والعزم على عدم العودة والندم على مافات ورد الحقوق لأصحابها .

مايؤخذ من الحديث :

١- دعوة المسلمين إلى الحج والعمرة وزيارة بيت الله الحرام .

٢- يجب على من وفقه الله لأداء فريضة الحج أن يحافظ على مناسكه وأن يؤدي عبادته على أكمل وجه وأن يسأل أهل العلم عن كل مالايعرفه.

٣- يجب على الحاج أن يبتعد عن الرفث والفسوق والجدال وسائر المعاصي.

٤- أن الحج المقبول الذى ابتعد صاحبه عن الرفث والفسوق والجدال يرجع صاحبه من الحج كيوم ولدته أمه .

٥- فريضة الحج ركن من أركان الإسلام ومنزلته وفضله وأهميته في غفران الذنب.

أولاً: رواية البخاري

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ (فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ).

ثانياً: رواية مسلم

حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ. حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ. أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ (يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ "إِيمَانٌ بِاللَّهِ" قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : "حَجٌّ مَبْرُورٌ" وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ".

وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

* معانى المفردات *

العمل: عمل ليلاً: فعل فعلاً عن قصد.

أفضل: فضل الشئ فضلاً زاد على الحاجة.

إيمان بالله ورسوله: الإيمان: التصديق، وفى الشرع: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والإيمان بالله ورسوله: اظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبى ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب، ولا شاك وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، لا يدخله فى ذلك ريب.

الجهاد: قتال الكفار، وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً: قاتله، وجاهد فى سبيل الله، والجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل أو ما أطاق من شئ.

حج مبرور: هو الذى لا يخالطه شئ من المأثم، ومنه برت يمينه: إذا سلم من الحنث، وبرّ بيعه: إذا سلم من الخداع، وقيل: المبرور المتقبل.

أولاً: رواية البخاري

حَدَّثنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَعْلَاهَا ثَمَنًا وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ، قَالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ.

ثانياً: رواية مسلم

حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ. حَدَّثنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ. حَدَّثنَا هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ. ح وَحَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ (وَاللَّفْظُ لَهُ) حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ" قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا" قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: "تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ" قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: "تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ".

•••

(...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (قَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا . وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . بِنَحْوِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: "فَتُعِينُ الصَّانِعَ أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ".

* معانى المفردات *

أى الرقاب: جمع رقبة، وهى فى الأصل العنق، فجعلت كفاية عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه، وأى هنا حرف تفسير بمعنى: أى إنسان، فأى الرقاب أفضل يراد به: للعتق.

أنفسها عند أهلها: أى أعجبها وأكثرها وأكرمها عندهم، ونفس الشئ نفاسة كان عظيم القيمة فهو نفيس، ومعناه: أرفعها وأجودها، وقال الأصمعى: مال نفيس أى مرغوب فيه.

تعين صانعا: العون: الظهير للواحد والجمع والمؤنث ويكسر: أعوانا والعوين اسم للجمع، واستعنته وبه فأعانني وعونني والاسم: العون اسم للجمع، والمعونة والمعونة والمعون وتعاونوا واعتونوا: أعان بعضهم بعضا، وعاونه معاونة وعوانا: أعانه، والمعوان الحسن المعونة أو كثيرها، والصانع: من له حرفة.

تصنيع لاخرق فيه: التصنيع: تكلف الصلاح وليس به، لا خرق فيه: ليس ابتداع ولا يحسن عمله، فالأخرق هو الذى ليس بصانع، يقال: رجل أخرق وامرأة خرقاء، لمن لا صنعة له، أو هو الذى لا يحسن صنعة ولا يهتدى إليها.

تـدع: أى تترك، وتكف الأذى عن الناس.

الشـر: السوء والفساد.

صدقة: عده صادقا به.

المعنى العام

لما دخل الإيمان قلوب الصحابة للصحابة، وامتزج بأرواحهم ودمائهم، أخذوا يتنافسون على عمل الصالحات، ويسألون رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال التي تقرب من الجنة وتباعد من النار، بل التي ترفع الدرجات وتقرب من الله، ليصعدوا في سلم الكمال، وليصلوا إلى أرفع المنازل.

فهذا أبو ذر يسأل رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أي الصالحات أفضل عند الله؟ قال ﷺ: أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله إيماناً بالغاً حد الحزم لا يخالطه شك ولا يساوره قلق. قال: يا رسول الله ثم أي الأعمال أفضل بعد الإيمان بالله ورسوله؟ قال: الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الاسلام بالنفس والمال. قال: ثم أي الأعمال أفضل بعد الجهاد في سبيل الله؟ قال: الحج المبرور والمتقبل، الخالي من اللغو والرفث والفسوق والجدال، قال: يا رسول الله، من كانت عنده رقاب يريد أن يعتق منها، فأي الرقاب أفضل في العتق؟ قال: أحسنها وأحبها عند صاحبها، وأغلاها ثمناً، قال: يا رسول الله، إن لم يكن عندي رقاب أعتقها وأردت المنافسة في الخير، فماذا أفعل؟ قال ﷺ: تساعد الصانع في صنعته، والمحتاج في حاجته، وتعين الضعفاء وأهل البطالة.

قال: يا رسول الله، إن ضعفت قوتي عن هذه المساعدة، فماذا أفعل لأسهم في الخير؟ قال ﷺ: تكف شرك عن الناس، وتمسك لسانك وجوارحك عن الأذى فتحسن بذلك إلى نفسك وتحميها من السيئات والآثام.[1]

---

[1] ينظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٤٢٢/١ ط: دار التراث العربي.

* فقه الحديث *

جعل الرسول ﷺ فى هذا الحديث أفضل الأعمال الإيمان بالله ثم الجهاد ثم الحج، وفى حديث ابن مسعود الآتى جعل أفضل العمل الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد فى سبيل الله، وفى حديث عبد الله بن عمرو: أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف. وفى حديث أبى موسى: أى المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. وفى حديث عثمان: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وأمثال هذا فى الصحيح كثيرة.

وقد اختلف العلماء فى الجمع بينها، فقيل: يجوز أن يكون المراد: من أفضل الأعمال كذا، أو من خيرها كذا، أو من خيركم من فعل كذا فحذفت "من" وهى مرادة، كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم.

ومن ذلك قوله ﷺ : (خيركم خيركم لأهله) ومن المعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس، ومن ذلك قولهم: أزهد الناس فى العلم جيرانه، وقد يوجد فى غيرهم من هو أزهد منهم فيه.

والأولى أن يقال: إن اختلاف جوابه ﷺ مع اتحاد السؤال أو تشابه الأسئلة إنما كان مراعاة لمقتضى الحال، فقد يراعى حال السائل وما هو أنفع له وأخص به، فإن كان السائل ذا نجدة فالجهاد في حقه أفضل، وإن كان له والدان يعتمدان عليه لو خرج للجهاد ضاعا فالبر فى حقه أفضل، ومن ذلك ما ورد أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الجهاد، فقال: ألك والدان؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد، وإن كان السائل امرأة تسأل عن الجهاد لم يكن بالنسبة لها أفضل الأعمال، ففى البخارى عن عائشة قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور. وقد يراعى حال المخاطبين والسامعين فيعلم كل قوم بما بهم من حاجة إليه،

أو بما لم يكملوه بعد من دعائم الإسلام، فقد ورد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "حجة لمن لم يحج أفضل من أربعين غزوة، وغزوة لمن حج أفضل من أربعين حجة" وقد يراعى ما هو أليق بالزمان كما لو نزل العدو بأرض المسلمين وفى وقت الزحف الملجئ والنفير العام، فإن الجهاد حينئذ يجب على الجميع، وإن كان كذلك فالجهاد أولى بالتحريض والتقديم على ما سواه، ... لو نزلت بالمسلمين ضائقة وفقر وجدب وشدة، فإن إطعام الطعام حينئذ يكون أولى بالتقديم، بكونه أفضل الأعمال.

فكأن الأفضلية أمر نسبى فما هو أفضل لى قد يكون غيره أفضل لغيرى، بل قد يكون الشئ خير الأشياء لى فى وقت وغيره خيراً منه لى فى وقت آخر.

ومرجع هذا الجواب إلى تقييد كل حديث بالحال والمقام، وهذا الجواب يصلح جواباً عن قول القائل: لم خص هذه الأمور بالذكر من بين سائر خصال الإسلام وشعبه؟ وكذلك عن قول القائل: لم قدم الجهاد -وليس بركن- على الحج وهو ركن؟ ولا يشكل على هذا الجواب ما جاءت به بعض الروايات من التعبير بحرف "ثم" وهى موضوعة للترتيب، فقد تقتضى الظروف والأحوال هذا الترتيب. على أنهم قالوا: إن للترتيب فى مثل "هذا ترتيب فى الذكر، من قبيل قوله تعالى ﴿وما أدرك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا﴾ .. ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب فى الفعل بين الإطعام والإيمان وكقول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ❁ ثم قد ساد قبل ذلك جده

وإذا صرفنا النظر عن الظروف ومقتضيات الأحوال فإنه لا خلاف فى أن أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله، لأنه شرط فى كلها، وأساس فى قبول أ...

منها، ثم إن [illegible] رف الصفة بشرف متعلقها، ومتعلق الإيمان الله ورسوله ولا يعد الإيمان ههنا الأعمال بسائر الجوارح كالصوم والحج والجهاد وغيرها لكونه [illegible] الجهاد والحج، ولا يمنع هذا من تسمية الأعمال المذكورة إيماناً باعتبار ما من الإيمان المنجي من النار، أما الشبهة الواردة في عد الإيمان من الأعمال مع أنه التصديق بالقلب عند جمهور المتكلمين، فقد يجاب عنها بأن المراد من الأعمال المسئول عن أفضلها ما هو أعم من عمل القلب وعمل الجوارح. وهذا الجواب خير من قول بعضهم: إن المراد من الإيمان المجعول أفضل هو الذكر الخلقي من تعظيم حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ وإدامة الذكر وتدبر آيات كتاب الله.

وأما عدم ذكر الحج في روايتنا الثانية وعدم ذكر العتق وما بعده في روايتنا الأولى فهو من تصريف الرواة. والله أعلم.

وقد أفادت الرواية الثانية أن عتق أنفس الرقاب أفضل من عتق غير الأنفس. وهذا فيما أراد أن يعتق رقبة واحدة، أم إذا كان معه ألف درهم وأمكن أن يشترى رقبتين مفضولتين أو رقبة نفيسة، فالرقبتان أفضل، وهذا بخلاف الأضحية فإن التضحية بشاة سمينة أفضل من التضحية بشاتين دونها في السمن، قال الشافعي: في الأضحية استكثار القيمة مع استقلال العدد أحب إلي من استكثار العدد مع استقلال القيمة، وفي العتق استكثار العدد مع استقلال القيمة أحب إلي من استكثار القيمة مع استقلال العدد لأن المقصود من الأضحية اللحم، ولحم السمين أوفر وأطيب، والمقصود من العتق تكميل حال الشخص وتخليصه من ذل الرق، وتخليص جماعة أفضل من تخليص واحد. [1]

---

[1] فتح المنعم ١/٤٢٥ – ٤٢٨.

ويؤخذ من الحديث:

١- حرص الصحابة على تتبع أفضل الأعمال والسؤال عنه لا

٢- حلم النبي ﷺ ورفقه بالسائل حتى ولو تمادى في تساؤله

٣- الترغيب فيما ذكر من الأعمال باعتباره أفضل شعب

٤- فيه حجة لمن جعل الترك والكف عملاً وكسباً للعبد.

٥- استدل بظاهره بعضهم على أنه ليس في الشرع شيء إلا وله أجر أو عليه وزر، والجمهور على خلافه.

٦- فيه إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس.

٧- فيه أن الكف عن الشرور والآثام يثاب عليه، والجمهور على أنه يثاب إذا قصد بالترك وجه الله تعالى.

٨- الحث على فعل الخير مهما أمكن، وليس في الحديث ترتيب فيما تضمنه ليس هو لإيضاح ما يفعله من عجز من خصلة من الخصال المذكورة، فمن أمكنه أن يفعل فليفعل، ومن عجز عن الأعلى انتقل إلى الأدنى.

٩- أن الشفقة على خلق الله لابد منها.

١٠- أخذ منه بعضهم أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع لأن غير الصانع مظنة الإعانة، فكل أحد يعينه غالباً، بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته والله أعلم.[1]

---

[1] فتح المنعم ٢/٣٨٤ - ٣٩٠.

وجوب الحج في العمر مرة:

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا» فقال رجل: كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال النبي ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم» وفي رواية لأحمد: «ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أنّ تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فهو تطوّع»[1].

قال ابن تيمية: فيه دليل على أن الأمر لا يقتضي التكرار. وسببه البيت وهو واحد. والحج: مطلق القصد وقال الخليل: الحج كثرة القصد إلى معظّم. وشرعاً: القصد إلى بيت الله الحرام بالطواف وعرفة بالوقوف في زمنهما مُحرِماً، وفرض سنة تسع. على كل من استكمل شرائط وجوبه وأدائه في العمر مرة واحدة، وما زاد فتطوع. وقيل: سنة ست. وعند الشافعيةَ

---

(1) مسند أحمد بشرح البنا ١١/١٥.

لا يوصف بالنفلية بل المرة الأولى فرض عين. وما زاد ففرض كفاية لأن من فروض الكفاية أن يحج البيت كل عام كذا في غنية الناسك.

وجوب الحج على الفور:

روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من أراد الحج فليتعجّل فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»[١] وروى ابن عباس عن الفضل، أو الفضل عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة» رواه أحمد وحديثه حسن الإسناد. لأن راويه أبا إسرائيل مختلف في توثيقه قال فيه أحمد يكتب حديثه.

وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف إلى وجوبه على الفور، وذهب محمد والشافعي إلى وجوبه على التراخي ولو أخره سنين بلا عذر يصير فاسقاً مردود الشهادة لأن التأخير صغيرة، وتأخير الحج مكروه تحريماً وبارتكاب الصغيرة مرة لا يصير فاسقاً بل بالإصرار عليها. كيف وقد روي عن أبي أمامة: «من لم يحبسه مرض، أو حاجة ظاهرة، أو مشقة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» وروى ابن سابط عن النبي ﷺ مرسلاً. وله طريق أخرى عن علي مرفوعاً عند الترمذي بلفظ: «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً» وقد روي من طريق ثالثة عن أبي هريرة مرفوعاً عند ابن عدي وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً ويرتقي الحديث إلى درجة الحسن لغيره، ولا يقدح قول المحدثين لم يصح في الباب منه شيء لأن نفي الصحة لا يستلزم نفي الحسن.

وتقدير التأخير في الحج بخمسة أعوام لوروده في الأثر أولى وهو ما روي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إن عبداً صححت له جسمه ووسّعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم».

اشتراط الحرية والبلوغ لوجوب الحج:

روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما صبيّ حج ثم بلغ الحنث فعليه أن يحجّ حجّة أخرى، وأيما أعرابي حج، ثم هاجر فعليه أن يحج حجة أخرى، وأيما عبد حج، ثم أعتق فعليه أن يحج حجة أخرى» وصوّب البيهقي وقفه.

وشرط البلوغ لأن العبادات كلها موضوعة عن الصبيان. والحج مركّب من العبادات البدنية والمالية فلم يكن العبد أهلاً للوجوب لأنه لا ملك له فالعبد وما ملكت يداه لمولاه.

اشتراط الزاد والراحلة:

روي عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة»[1] وقال الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملك زاداً وراحلة وجب عليه الحج.

واليوم يحل محل الراحلة الطائرة، والباخرة والسيارة. فمن قدر على السفر بواحدة من الثلاث، وأهل بلده يخرجون بها، وعنده سائر ما يحتاج إليه من نفقة، وطعام طيلة فترة الحج، وطعام أهله وجب عليه الحج. والضريبة المفروضة على الحاج تسقط عنه الحج لو لم يحج. وأما الذي

---

(١) سنن الترمذي.

حج، فلا يجوز له دفع أي مبلغ لتسهيل أمور حجه. ويكون معيناً غيره على الظلم ولا يجب عليه الحج ثانية لما تقدم. وأهل مكة وما حولها لا تشترط في حقهم الراحلة لمن قدر منهم على المشي. وعليهم التزود لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

فشروط الوجوب: الإسلام أو العلم بكون الحج فرضاً، والبلوغ والعقل، والحرية والاستطاعة، ووقت الحج. فإذا وجدت بتمامها وجب الحج عليه وإلا فلا. وشروط وجوب الأداء إذا وجدت بتمامها مع شروط الوجوب وجب أداء الحج بنفسه، وإن فقد واحد منها مع تحقيق شروط الوجوب بتمامها فلا يجب الأداء بنفسه بل عليه الإحجاج، أو الإيصاء به عند الموت. وهي الصحة، وعدم الخوف أو الحبس من ظالم وغيره وأمن الطريق، فالمرض الذي يمنع عن السفر والذهاب إلى بيت الله أو كونه شيخاً كبيراً لا يثبت عن الراحلة بنفسه أو لأجل الحاجة الظاهرة كحضانة الولد الصغير المحتاج إليه، أو تعهد الوالد أو الوالدة المريضين المحتاجين إلى خدمته، أو غلبة الخوف على القلوب من حبس ظالم، أو غيره أو فرض ظلامة عليه. فمن ابتلي بمثل هذه الأعذار له أن يؤخر الحج إلى زوال العذر.

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع[1] ويشترط المحرم، أو الزوج لوجوب أداء الحج على المرأة لما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة

(١) عمدة القاري ٩/١٢٣.

تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم»[1] ولما روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وامرأتي تريد الحج قال: «اخرج معها»[2] وفي رواية «ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم»[3] وعن ابن عمر مرفوعاً: «لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم»[4].

فلا يجوز لامرأة بالغة ولو عجوزاً ولو معها غيرها من النساء الثقات، أو الرجال الصالحين أن تخرج للحج مسيرة سفر بغير محرم أو زوج، أما في أقل منها فيجب إذا لم تكن معتدّة. وكرّه أبو حنيفة وأبو يوسف خروجها مسيرة يوم واحد بغير محرم، أو زوج لفساد الزمان. ويؤيد قولهما ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم» وما روياه عن أبي سعيد الخدري «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها»[5] وإذا كان المذهب هو الأول وهو عدم سفرها ثلاثاً فليس للزوج منعها إذا كان بينها وبين مكة أقلّ من ثلاثة أيام سيراً على الأقدام.

قال التهانوي: واتفقت الروايات عن ابن عمر بذكر الثلاث والمعتمد عليها وهي الأصل في الحكم وذكر اليومين ومسيرة يوم واحد إنما هو لعارض لاختلاف الأحوال من فساد الزمان ونحوه فاستحسن العلماء الإفتاء به لفساد الزمان. فجمع الحنفية بين الأحاديث كلها، ولم يتركوا العمل بحديث ما في باب من الأبواب إلا أن يكون منسوخاً ثابت النسخ، أو

---

1) صحيح مسلم ٩/١٠٣.
2) فتح الباري ٤/٦٣.
3) عمدة القاري ١٠/٢٢٥.
4) صحيح مسلم ٩/١٠٢.
5) صحيح مسلم ٩/١٠٦.

موضوعاً ظاهر الوضع فأين تقديم القياس على النصوص؟

والمحرم: هو الذي لا يجوز له مناكحتها على التأبيد بقرابة، أو رضاع أو مصاهرة بنكاح. وقالوا أيضاً: لا تسافر بأخيها رضاعاً في زماننا لفساد الزمان. وتكره الخلوة (بالحَماية) الشابة (الصهرة) لأن السفر كالخلوة قال ابن المنذر: أغفل قوم القول بظاهر أحاديث المحرم واشتراطه في سفر المرأة. وشرط كل منهم شرطاً لا حجة لهم فيما اشترطوه فقال مالك: تخرج مع جماعة النساء. وقال الشافعي: تخرج مع ثقة حرة مسلمة، وقال ابن سيرين: تخرج مع رجل من المسلمين. قال ابن المنذر وظاهر الحديث أولى، ولا نعلم مع هؤلاء حجةً فيما قالوا.

المواقيت

روى البخاري عن ابن عباس قال: وقّت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم قال: «فهنّ لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، فمن كان دونهن فمن أهله وكذا فكذلك حتى أهل مكة يهلون منها»[١] وروى مسلم بسنده إلى جابر قال: سمعت أحسبه رفع إلى النبي ﷺ فقال: «مهل أهل المدينة من ذي الحليفة والطريق الآخر من الجحفة ومهل أهل العراق من ذات عرق. ومهل أهل نجد من قرن، ومهل أهل اليمن من يلملم»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقّت لأهل العراق ذات عرق[٣]

---

(١) صحيح مسلم ٨/ ٨٢.
(٢) صحيح مسلم ٨/ ٨٩.
(٣) الأم.

سنده صحيح صالح للاحتجاج به ولا يعارضه حديث الترمذي وحسّنه عن
بن عباس أن النبي ﷺ وقّت لأهل المشرق العقيق[1] فإن العقيق وذات عرق
متحدان متحاذيان. ولا يجوز مجاوزة الميقات إلا بإحرام لما روى ابن عباس
أن النبي ﷺ قال: «لا تجاوزوا المواقيت إلا بإحرام»[2]. ولما روى البيهقي:
«لا يدخل أحد مكة إلا محرماً» ولا يعارضه أن النبي ﷺ دخل يوم فتح مكة
وعليه عمامة سوداء بغير إحرام، وأنه ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه
المغفر، فإن القتال في مكة خاص بالنبي ﷺ لما ثبت في الصحيح أن
النبي ﷺ قال: «فإن ترخص أحد لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله أذن
سوله ﷺ ولم يأذن لكم» فدلّ على عدم جواز قياس غيره عليه. وجواز
تال للنبي ﷺ يستدعي جواز مجاوزة الميقات بلا إحرام.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: من دخل مكة بغير إحرام فلا بد له من أن
ج فيهل بعمرة أو حجة لقوله ﷺ حين أحرم من حنين: «هذه العمرة
حولنا مكة بغير إحرام» يعني يوم الفتح. قاله محمد في الموطأ[3] ومن
دل بفعل الحجاج بن علاط وإتيانه مكة وجمع أمواله بأمر النبي ﷺ لم
مره بإحرام لدخول مكة فالجواب ظاهر لأنه لم يعلن إسلامه بعد ولم يدخل
ة مظهراً إسلامه بأمان من أهلها. مثله قصة أبي قتادة فإنه لم يرد الحج ولا
كة. ساعة صيده وإنما قصد مكة بعدما بقي النبي ﷺ بعفسان.

فإن أمن الحاج أو المعتمر. على نفسه من الوقوع في المحظور، أو لم
كن قدوة إماماً يقتدي به الناس فله أن يقدّم الإحرام على الميقات لما جاء
ن عبد الله بن سلمة المرادي قال: سئل علي عن قول الله عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا

---

(1) صحيح مسلم ٨/٨٩.
(2) مصنف ابن أبي شية.
(3) صحيح مسلم ٩/١٠٢.

الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: أن تحرم من دويرة أهلك. قال الحاكم في المستدرك: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديثٌ مسندٌ فقول عمر وعلي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أن تحرم من دويرة أهلك مرفوع حكماً.

وكون النبي ﷺ وأصحابه ما أحرموا بهما من بيوتهم وقد أمرهم الله تعالى بإتمام العمرة والحج لا يدل على أنهم تركوا أمر الله حاشاهم من ذلك فإن إتمام الحج والعمرة بأداء الفرائض والواجبات أمر مأمور به. وبأداء المستحبات والمندوبات مندوب إليه، والإحرام بالحج والعمرة من دويرة الأهل ليس من إتمام الحج بالمعنى الأول بل بالمعنى الثاني، بل غاية ما في الأمر أنهم تركوا أمراً مندوباً إليه لمعارضة مندوب آخر له. وهو الرفق بالناس الذين يقتدون بأفعالهم. وإعمال الأحاديث أولى من إهمالها. ويؤيده ما روته أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة». وما رواه مالك عن الثقة عنده أن عبد الله بن عمر أحرم من إيلياء.

من كان في طريقه ميقاتان:

روى أبو يوسف عن إسحاق بن راشد قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب منكم أن يستمتع بثيابه إلى الجحفة فليفعل» رواه محمد في الموطأ. وهو حديث مرسل صحيح لأن إسحاق بن راشد ذكره ابن حبان في الثقات ووثقه النسائي وابن معين وأبو حاتم. وقد عملت السيدة عائشة به فاعتمرت في سنة مرتين مرة من ذي الحليفة ومرة من الجحفة أخرجه الشافعي في الأم ورجاله ثقات كلهم. ويؤيده ما رواه مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابراً عن المُهَلّ فقال: سمعت أحسبه رفع إلى النبي ﷺ قال: «مُهَل

أهل المدينة من ذي الحليفة، والطريق الآخر الجحفة الحديث»[١] فيشعر بأن لأهل المدينة ميقاتين ذو الحليفة في طريق، والجحفة في طريق آخر فلو مر بميقاتين فإحرامه من الأبعد أفضل. ولو أخره إلى الثاني لا شيء عليه في ظاهر الرواية عن أبي حنيفة. وقال في البحر: ولا يجب على المدني أن يحرم من ذي الحليفة بل من الجحفة. وكذا الشامي إذا مرّ بذي الحليفة أولى. وعن أبي حنيفة أنّ عليه دماً. وكره اتفاقاً للمدني إذا جاوز وقته غير محرم إلى الجحفة والكراهة تنزيهية، فإن دعت الحاجة إلى مجاوزة الميقات الأول فلا كراهة بالاتفاق. وتأخير المدني إحرامه إلى الجحفة خلاف الأولى لأن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة. فالإحرام منه عزيمة ومن الجحفة رخصة

ميقات أهل مكة للحج الحرم وللعمرة الحل:

روى ابن عباس من حديث المواقيت وفي آخره: «ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة»[٢] وأهل مكة إذا أرادوا الاعتمار لهم أن يخرجوا إلى الحل. وأمره ﷺ عبد الرحمن بالخروج إلى التنعيم لكونه أقرب نقطة من الحل إلى الحرم روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن النبي ﷺ أمره أن يردف عائشة ويعمرها من التنعيم[٣] والتنعيم وغيره في ذلك سواء. وكل من تحلل بعمرة التحق بأهل مكة، وميقاته للحج والعمرة ميقات المكيين.

---

(١) صحيح مسلم ٨/٨٦.
(٢) عمدة القاري ٩/١٣٩.
(٣) عمدة القاري ١٠/١١٩.

كتاب الجهاد والسير

الجهاد في اللغة : مأخوذ من الجهد بمعنى المشقة أو الطاقة ، وهو مصدر جاهد جهادا أو مجاهدة أي بذل طاقته .

وشرعاً : هو بذل الجهد في قتال الأعداء

وقد تدرجت مشروعية الجهاد في الإسلام ، بما يتناسب مع أحوال المسلمين وظروف قوتهم فشرع على المراحل الآتية :

أولا : لم يشرع الجهاد حين كان المسلمون في مكة ، بل أنهم كانو مأمورين بمقابلة الاعتداء بالصفح والاحتمال الأذى.

ثانياً : بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة وقويت شوكتهم أذن لهم في القتال غير أنه لم يكن مفروضاً ، قال الله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير[١]

ثالثاً : فرض القتال بعد ذلك بالنسبة لمن قاتل المسلمين دون غيرها ممن لم يقاتلوا ، قال الله تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[٢]

رابعاً : الأمر بعموم القتال ،حيث فرض الله على المسلمين أن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين "[٣]

وتتلخص حكمة مشروعيته : في الدفاع عن الدين وتأمين الطريق أما الدعوة الإسلامية ،وفي الدفاع عن النفس والوطن فهو في سبيل الله لا هو لـ بأساليب القهر والسطو والاستعمار والمتتبع لآيات الجهاد في القرآن يجد أنها قد خصته بإطار سليم نقي هو أنه في سبيل الله ، قال الله تعالى : إن الله

---

[١] - سورة الحج آية (٣٩)

[٢] - سورة البقرة آية (١٩٠)

[٣] - سورة التوبة آية (٣٦)

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"[١].

وللجهاد ثلاثة أنواع :

١- جهاد النفس والشيطان : ويتضح تحذير القرآن من شرور النفس ببيان أنها أمارة بالسوء . قال الله تعالى : وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء"[٢]. كما حذر من كيد الشيطان فى قوله تعالى : " يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة"[٣]

٢- جهاد العصاة والبغاة وأهل الفسوق والبدع ، قال ﷺ: "ومن أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"[٤].

٣- جهاد الكفار .

حكم الجهاد

اتفق جمهور المسلمين على أن الجهاد فرض كفاية ، إذا قام بـه من يكفى فى رداً للمعتدين وسند الطلب عن الباقين ،وإلا أثم الجميع.

ويكون فرض عين : إذا تقابل الفريقان ، فيجب على من حضر القتال ويحرم عليه الفرار، أو إذا اعتدى الكفار على بلد من بلاد الإسلام أو إذا عين ولى الأمر أحداً للقيام بالقتال أصبح فرضاً عليه لقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل"[٥]. وفى الحديث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا"[٦].

---

[١] - سورة التوبة آية (١١١)

[٢] - سورة يوسف آية (٥٣)

[٣] - سورة الأعراف آية (٢٧)

[٤] - أخرجه مسلم وأحمد.

[٥] - سورة التوبة آية (٣٨)

[٦] - رواه البخارى ومسلم.

٧- الحرب خدعه

قال الإمام مسلم رحمه الله : وحدثنا على بن حجر السعدى وعمرو الناقد وزهير بن حرب " واللفظ لعلى وزهير " قال على أخبرنا ، وقال الآخران حدثنا سفيان قال : سمع عمرو جابرا يقول : قال رسول الله ﷺ : الحرب خدعة .... وحدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهم أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الحرب خدعه.

الشرح

فى هذا الحديث الشريف يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحرب ، وضرورة الحيطة الكاملة ، واتخاذ الحذر بحيث يخفى المجاهد خططه عن عدوه ، ويخدعه فى محاولاته وأباح الإسلام هذه الصيغة القتالية لأن حرب المسلمين دفاع عن الحق وجهاد فى سبيل الله فشرع فيها من أساليب الحيطة الدقيقة ما لم يشرع فى غيرها.

ونتناول فى الكلام على هذا الحديث :

١- معنى الحرب خدعه

٢- حكم خداع الكفار

٣- تطبيق الرسول ﷺ والمسلمين الأساليب الحيطة فى الحرب.

١- معنى الحرب خدعه

لما كان للجهاد ميادينه وأساليب التى يتلاقى فيها جند الحق مع جند الباطل ، فإن الإسلام حريص على وجوب كتمان الأسرار الحربية والاجتهاد فى الوقوف على أحوال العدو وأسراره.

عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : "كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها .... الخ" رواه البخارى ومعنى ورى : ستر والمراد بهذه الكلمة : إظهار الشئ مع إرادة غيره.

وفى قوله : "خدعه" خمس لغات :

١- بفتح الخاء وسكون الدال ، وقد اتفق العلماء على أن هذه اللغة هى أفصح اللغات ؛ قال ثعلب وغيره : وهو لغة النبى ﷺ وبذلك جزم أبو ذر الهروى والقزاز . قال أبو بكر بن طلحة : أراد ثعلب أن النبى ﷺ كان يستعمل هذه البنية كثيراً ،ولو جازه لفظها ولكونها تعطى معنى البنيتيت الأخيريتن.

٢- بضم الخاء وإسكان الدال

والمعنى على هاتين اللغتين : أن الحرب تخدع أهلها ، والتعبير من وصف الفاعل باسم المصدر.

أو أنها وصف المفعول ؛ كما يقال هذا الدرهم ضرب الأمير أى مضروبه وقال الخطابى : معناه : أنها مرة واحدة أى الذى خدع مرة واحدج لم تقل سترته.

وقيل : الحكمة فى الاتيان بالتاء للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة . وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة ، فلا ينبغى التهاون بهم ، لما اتهم من المفسدة ولو قال أ. هـ من الفتح.

٣- واللغة الثالثة هى : "خدعه" كهمزة ولمزة ، بضم الخاء وافتح الدال والتاء فية المبالغة فى الوصف وقد أطرد أن بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل ، وإذا سكنت عين الكلمة كان لمبالغة المفعول.

٤- بالفتح فيهما - أى فتح الخاء والدال - وعلى هذا فالكلمة جمع خادع ، أى أن أهل الحرب خدعه.

٥- بكسر أوله مع إسكان الدال .

وأصل الخدع : إظهار أمر واضمار خلافه ، وقال ابن المنير : معنى الحرب خدعه أى الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة فى مقصودها إنما هى المخادعة لا المواجهه وذلك لخطر المواجهه وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر.

٢- حكم خداع الكفار

اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل

قال ابن العربى : الخداع فى الحرب يقع بالتعريض وابكمين ونحو ذلك . قال النووى : وقد صح فى الحديث جواز الكذب فى ثلاثة أشياء : أحدها فى الحرب ، قال الطبرى : إنما يجوز من الكذب فى الحرب المعارض دون حقيقة الكذب ، فإنه لا يحل هذا كلامه .

قال النووى رحمة الله : والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل . أ. هـ

هذا وقد شدد الإسلام فى النهى عن إذاعة الأسرار الحربية وبينه بين الناس وحرم الخوض فى شئون الحرب والسلم والخوف والأمن ، لما يترتب على ذلك من الأضرار الفادحة التى تضر بالأمة وتسهل لأعدائها التعرف على أسرارها ، قال الله تعالى : "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو

الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم [1]

وهذا هو الطريق الواضح ، والوسيلة المثلى لعلاج مثل هذه الأمور فلو أن الخائفين الذين يخوضون فى أمور أمتهم ويذيعونها ردوا هذه الأمور إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى سنته الشريفة المبينة للقرآن وإلى أولى الأمر منهم الذين تنعقد بهم ثقتهم لحصل المراد ،ووجدوا عندهم الرشد والسداد وقد وجهنا الله تعالى أن نكون على حذر : "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم"[2]

ونهى الرسول ﷺ عن أن يفيض الناس فى الحديث عن كل ما يسمعون دون وقوف على حقائق الأمور من المصدر الموثوق به ، قال صلى الله عليه وسلم : "كفا بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع"

وقد طبق الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أساليب الحيطة فى الحرب ، وواجهوا كل ما حاوله الأعداء من بث الاشاعات والحرب النفسية بقوة وحيطة كاملة ، فأحبطوا كيد عدوهم.

وأخذ المسلمون بأسلوب الحيطة والخدعة ، فى جهادهم للأعداء فاستخدموا الكمين والخندق ، وغيروا المواقع ،وأشعلوا النار ليلا ،و قسموا الجيوش إلى فرق ترى كثرة العدد وما إلى ذلك.

واقتدى الصحابة برسولهم ﷺ وهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عقد لخالد بن الوليد لواء القيادة على الجيش ليتجه إلى بزاخة من ارض بنى أسد فهناك طليحة بن خويلد المتنبى الذى قام بأمر الردة وحوله حلفاؤه وأنصاره من أهل الباطل وقدم الخليفة

---

[1] - سورة النساء آية (٨٣)

[2] - سورة النساء آية (٧١)

وصيته لخالد فى حذر بالغ وخدعه حربية واعية ، فقال - وهو يودع الجيش - أيها الناس سيروا على إسم الله وبركته فأميركم خالد بن الوليد إلى أن ألقاكم فإنى خارج فيمن معى إلى ناحية خيبر حتى الاقيكم ثم أسر إلى خالد أمرا ثم قال : عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه ... إلى أن قال وسر بالأدلاء وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل ، وسر فى أصحابك على تعبئة جيدة ، واحرص على الموت توهب لك الحياة ولم يكن الخليفة على نية المسير إلى خيبر ، ولكنه أراد أن يخدع عدوه ، ويوهمه على غره ، حيث يظن أنه غير متجه إلى بزاخة ، إلى غير هذا من المقاصد .

وهكذا نرى أن الإسلام قد وضع الوسائل العلمية والأساليب الصحيحة للثقافة الحربية الأصلية ، دفاعا عن الحق واستبسالا فى ميادين الشرف ، حتى لايؤخذ المسلمون على غرة بل تكون لهم الغلبة وليكون النصر فى جانبهم " وكان حقا علينا نصر المؤمنين "

ما يؤخذ من الحديث

١- جواز خداع الأعداء فى الحرب ومن غير أن يكون فى ذلك نقض عهد أو أمان

٢- وجوب اتخاذ الحيطة الكاملة والحذر البالغ ومن العدو

٣- استخدام الرأى فى الحرب ، والاستفادة بأصحاب الخبرة قال فى الفتح وفى الحديث الاشارة إلى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة ولهذا وقع الاقتصار على ما يشير إليه بهذا الحديث وهو كقوله الحج عرفة أ. هـ.

٤- الأمر باستعمال الحيطة فى الحرب كلما أمكن واستخدام كل محاولة يرى فيها تحقيق النصر على العدو.

٨- المرأة و الجهاد

قال الإمام مسلم حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ألد ارمي حدثنا عبد الله عمرو و هو أبو معمر النقرى حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز و هو ابن صهيب عن أنس بن مالك قال لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي صلي الله عليه وسلم- و أبو طلحه بين يدي النبي – صلي-الله عليه و سلم.. يجوب عليه بجحفه قال:وكان أبو طلحه رجلا راميا شديد النزع و كسر يومئذ قوسه أو ثلاث قال : فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول أنثرها لأبي طلحه ،قال ويشرف النبي صلي الله عليه و سلم ينظر إلى القوم ،فيقول أبو طلحه يا نبي الله بابي أنت وامي – لا يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك، قال لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر و أم سليم و أنهما لمشمرتان أري خدم سوقهما ، تنقلان القرب علي متنونهما ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتملانها ثم تجيئان تفرغانه في افواة القوم و لقد وقع السيف من يدي أبي طلحه أما مرتين و أما ثلاث من النعاس .

الشرح

في هذا الحديث الشريف بيان لما قامت به المرأة المسلمة في ميادين الجهاد و توضيح لما شرعة الإسلام لها من القيام ببعض الأعمال إلهامه التي لا تقل أثر عن نتيجة القتال في سبيل الله فكانت المرأة تسقي الماء وتداوي الجرحى و تناول السهام و تثير الحميه و القيام علي خدمه الجرحي وتمريضهم و هذا نموذج من تلك النماذج الرائعة قال أنس :لما كان يوم أحد أنهزم ناس من الناس عن النبي صلي الله عليه وسلم، أي بعضهم ،و هم الذين تسببوا في هزيمة يوم أحد حيث خالفو أمر النبي صلي الله عليه و سلم وهؤلاء فرقه

الرسول ﷺ بالوقوف خلف الجيش لحمايته ، ولكنهم لما رأوا انتصار المسلمين أول الأمر شرعوا فى أخذ الغنائم ، فانتهز خالد بن الوليد الفرصة وهو يومئذ على غير الإسلام - وشد عليهم من الخلف . وهنا أدرك المسلمون نتيجة مخالفة أمر رسولهم ﷺ وأن المجاهد ينبغى عليه ألا يضع عينه على غير الجنة ، فما الغنائم إلا عرض زائل.

وقوله : "وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ مجوب بضم أوله وفتح الجيم وتشديد الواو المكسورة أى : متترس عنه ليقيه سلاح الكفار ، يقال مترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب حجفة بفتح الحاء والجيم درقة بفتحات والجمع حجف وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع

قال : فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل ، بفتح الجيم وهى الكنانة التى تجعل فيها السهام

فيقول : انثرها لأبى طلحة ، قال : ويشرف نبى الله ﷺ ينظر إلى القوم : ويشرف : مضارع 'أشرف' يقال : أشرف المكان علاه وأشرف عليه أطلع عليه من فوق.

فيقول طلحة يانبى الله - بأبى أنت وأمى - لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم ،وهذا اشفاق وحب منه لرسول ﷺ وقوله : نحرى دون نحرك : "النحر" هو أعلى الصدر ، وهذه الجملة دعائية والمراد بها جعل الله نحرى أقرب من نحرك إلى العدو حتى أصاب دونك وهكذا كان حبهم لنبيهم واقتداؤهم وتضحيتهم فى سبيله.

وها قد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم ، أما عائشة فهى أم المؤمنين وزوج الرسول ﷺ وأما أم سليم فهلاى أم أنس بن مالك وهى من الصاحبيات التى جاهدن فى سبيل الله وانهما لمشمرتان رأى خدم سوقهما : والتشمير : رفع طرف الرداء تأهبا للجد فى السعى والعمل "وخدم" جمع

خدمه ، وهي الخلخال ، و"السوق" جمع ساق ومعنى عبارة انه كان يرى موضع الخلخال.

ورؤيته لهذا الموضع من الجسم ،وإن كان عورة إلا أن النظرة حصلت فجأة منه دون قصد وتعمد ولم يحصل منه دوام النظر وليس فى كشف السيدتين الطاهرتين عن هذا الموضع ما يوهم شبهه ، حاشا لله فهما من الطهارة بمكان بحيث لا يرتاب فى شأنهما أحد ، وإنما كان ذلك منهما قبل الأمر بالحجاب ، فإن حدوث ذلك كان يوم أحد من السنة الثالثة قبل نزول الحجاب ، الذى كان فى السنة الخامسة للهجرة أو أنه يباح فى وقت الحرب ما لايباح فى غيره لأن الحرب ضرورة.

"تنقلان القرب على متونهما" وفى رواية البخارى تنزان بضم القاف ومعناها تحملان ، والقربة : ما يحمل فيه الماء من الجلد.

وقيل فى معنى تنقزان : تقفزان ، والقفز هو الوثب ، لإنقاذ الجريح، واسعاف الظمآن ، وعلى هذا المعنى يكون قوله : 'القرب' منصوبا على نزع الخافض أى تقفزان بالقرب.

على متونهما : أى على ظهورها ، وقوله : (ثم تفرغانه فى أفواههم .... الخ والضمة فى (تفرغانه) للماء وفهم سياق العبارة لأن القربة إناء المياه، ويراد بالقوم : الجرحى والعطشى من المقاتلين والجملة كناية عن مداومة كل منهما واستمرارهما وبدراسة هذه النماذج من نساء الإسلام يتبين لنا :

١- حكم جهاد المرأة   ٢- كيفية اشتراكها فى ميدان القتال

٣- ما أحرزته المرأة المسلمة من سبق.

١ – حكم جهاد المرأة

لم يحرم الإسلام المرأة من كرامة الجهاد وثوبته ولكن يمكن أن يشاركن بسقي الماء ومداواة الجرحى، كل ذلك مع المحافظة عليهم وعدم الانكشاف والاختلاط المحرم بالرجال.

وهناك جهاد بالمال لإعداد القوة، وتجهيز الجيوش وهناك جهاد باللسان لإثارة الحمية ودفع الشبه ورد الاشاعات والدعوة إلى الجهاد وهذه الأنواع يؤدى كل من الرجل والمرأة فيها الرسالة اللائقة بحالة ويقوم حيالها بما يمكنه من عمل أما الجهاد بالسلاح، والاشتراك في ضرب العدو في الميدان فهذا لا يتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها، لذا لم يفرضه الإسلام عليها، ولئن شاركت بعض النساء في الجهاد فهذا تطوع منهن وليس مفروضاً كما هو الحال بالنسبة للرجال حيث فرض عليهن

٢–كيفية اشتراك المرأة في ميدان القتال

وقد وضح هذا الحديث كيفية اشتراك المرأة بالنسبة لميدان القتال، وأنه يمكنها أن تقوم بدور هام، وهو احياء الحمية، والقيام بالتمريض وسقى الماء وكثير من المهام التى يحتاج إليها الجيش، فتوفر على الجيش قيام الرجال بهذا العمل، وتقوم هى به، ليؤدى جميع أفراد الجيش المهمة القتالية على أكمل وجه.

٣- ما أحرزته المرأة المسلمة من سبق

لقد أحرزت المرأة المسلمة – بدلالة هذا الحديث وغيره – سبقاً في ميدان القتال والفروسية [illegible] تحرزه غيرها من الغربيات، ولكم كان للمرأة المسلمة بطولات فذة وأمثلة رائعة في التاريخ الإسلامي، حيث نهضت مع الرجل فهاجرت في سبيل الله متحملة مرارة الفرق والغربة، وخرجت في كثير من الغزوات وهذه أم عطية رضي الله عنه تقول : غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى، بل إن بعض النساء المسلمات كن يحملن السلاح دفاعاً عن النفس ويجاهدن بأنفسهن جهاداً مشكوراً مهما كلفهن ذلك، حتى سجل لهن التاريخ صفحات مشرقة بالبطولة، وتقول أم سعد بن الربيع : دخلت على أم عمارة نسيبة فقلت لها : يا خالة أخبريني خبرك، فقالت :خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وسلم ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح – أي الغلبة والنصر – للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت : من أصابك بهذا فقالت ابن قمئة أقمأه الله، أي أذله لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان، ولاستبسالها هذا يوم أحد، وموقفها المشرف قال الرسول ﷺ لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان وقال عنها أيضاً ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني.

ما يؤخذ من الحديث

١- مشروعية جهاد المرأة بما يتفق مع ظروفها وطبيعتها كالمداراة والستر وما إلى ذلك.

٢- جواز قتال المرأة ودفاعها عن نفسها إذا لزم الأمر ذلك.

٣- أن الحرب ضرورة يباح فيها بعض المحظورات

٤- جواز خروج المرأة مع الجيش ولأداء بعض الأعمال الهامة التى يحتاجها الجيش كالتمريض والسقى.

٥- ما كانت عليه المرأة المسلمة من سبق فى ميدان الجهاد فى سبيل الله.

كتاب النكاح

عناية الإسلام ببناء الأسرة

عنى الإسلام ببناء الأسرة لأنها أساس المجتمع ، ومن أفرادها تتألف لبناته فإن صلحت صلح المجتمع وقامت أركانه ولا يقوم البناء بدون أسس ترسى دعائمه عليها فإن كانت قوية سليمة قام البناء نهض ، وإن كانت ضعيفة غير سليمة خر البناء وانهار.

هكذا حال المجتمع بالنسبة للأسرة وإنها تمثل أسسه الأساسية وخلاياه الحية ، التى يحيا بها ، ويقوم عليها ولهذا حرص الإسلام على أن يكون بناء الأسرة محكماً ، فأولى عناية كبيرة براعية الأسرة وربة البيت لتنشد فيها الصلاح والدين قبل أية صفة أخرى.

وقد وضع الإسلام للعلاقة الزوجية أسساً تقوم عليها ، وحقوقاً وواجبات نيطت بها ، ونقاها من دنس الجاهلية وأنكحتها الفاسدة.

وقد أرسى القرآن الكريم أسمى قاعدة للحياة الزوجية ، هى الأساس الذى تقوم عليه حقوقها وواجباتها فى قوله تعالى "ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف" فعلى الزوج السعى والكسب وعلى الزوجة تدبير المنزل ورعاية الأولاد والقيام بالشئون المنزلية ، كما قرر الإسلام مسئولية الرجل فى القوامة، وأداء حق زوجته فى قوله تعالى " وللرجال عليهن درجة" وأساس هذه الدرجة يقوم على قوة الرجل ، وعلى إنفاقه ، يقول الله تعالى موضحاً الأسس فى درجة القوامة : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)[1]

---

[1] - سورة النساء (٣٤)

أنواع النكاح قبل الإسلام

[illegible] في الجاهلية قبل الإسلام أنواع للنكاح كثيرة ، كلها انحلال وفساد، وطمس لمعالم البيت الزوجي ، وضياع لأسس الحياة السعيدة ،والأخلاق الرشيدة ، ومن هذه الأنواع :

١- السفاح [illegible] كانوا يجاهرون فيه بالزنا ، فكانت المرأة تمكن من نفسها أي راغب من أهل الفجور

٢- نكاح الأخدان : والخدن هو الصاحب والرفيق، كانت تخصص كل واحدة برفيق وصاحب في غير مجاهرة ، بل كانوا يقولون : ما استتر فلا بأس به ، وما ظهر فهو لوم.

هذان النوعان هما اللذان نهى عنهما الله وحرمهما في قوله تعالى : محصنين غير [illegible] [1]. وفي قوله تعالى (وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ومتخذات أخذان [2]

٣- ونكاح البدل ، وفيه يتنزل الرجل عن إمرأته لآخر ويزيده على أن ينزل له الآخر عن امرأته.

٤- ونكاح الشغار ، وأصله الخلو ، والمراد هنا : خلوه من المهر ، وقيل شغار ، لقبحه ، يقال : شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول وعرف هذا النوع في الجاهلية ، وحرمه الإسلام ، ونهى عنه الرسول ﷺ فقال : " لا شغار في الإسلام " [3]

---

[1] - الآية (٥) سورة المائدة.

[2] - الآية (٢٥) من سورة النساء.

[3] - رواه مسلم عن ابن عمر وعن ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح.

٥- نكاح الاستبضاع ، وفيه يقول الرجل لامرأته : إذا تطهرت من طمثها - أي حيضها - ارسلي إلى فلان فاستبضعي منه - أي اطلبي منه الجماع - ويعتزلها الزوج إلى أن يظهر الحمل ، فيصيبها إذا شاء وذلك رغبة في نجابة الولد على حسب زعمهم.

٦- نكاح البغايا : أي الزواني ، وكن ينصبن رايات على أبوابهن تكون علماً ، فمن أراد دخل عليهن ، فيجتمع كثير من الناس على المرأة ، فإذا حملت ووضعت دعوا القافة والقائف من يلحق الولد بالشبه ، فإذا ألحق الولد بأحد ثبت النسب بينهما ، وكان ابنه.

٧- ونوع آخر يشبه نكاح البغايا ، إلا أن المرأة فيه إذا ولدت تلحق ولدها بمن تشاء من الرهط الذين أصابوها وبجانب هذه الأنواع الفاسدة من النكاح كان يوجد نوع سليم آخر هو نكاح الناس اليوم ، حيث يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها [1] وقد نوه رسول الله ﷺ بهذا النوع في قوله : "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح"[2]، وهكذا تطلعنا هذه الأنواع من النكاح على مدى ما كانت فيه الأسرة قبل الإسلام من فساد ، وما تلوثت به بيئتها ، واختلطت فيه أنسابها ، ففسدت القيم والأخلاق إلى أن جاء الإسلام فطهر المجتمع الإنساني من أدران الحياة الجاهلية فهدم نظم الفوضى والفساد وأبقى على نظام واحد شرعه الله ، تتحقق فيه أركان الزواج الصحيح إيجاباً وقبولاً وشهادة ، وبذلك تم نقد وبطل الاستبضاع.

---

[1]- فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ ٦ ص [illegible]

[2]- خرجت من نكاح ولم أخرج من [illegible] ... [illegible] الجاهلية شيء ... [illegible] عن [illegible]

التعريف بالنكاح

والنكاح في اللغة : الضم والتداخل ، ويطلق على العقد لكونه سببه وقيل استعماله في الوطء ، وقال أبو القاسم الزجاجي : هو حقيقة فيهما ، فرقت العرب بينهما ، فإذا قالوا نكح فلانة بنت فلان أو أخته أرادوا عقد عليها ، وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا إلا الوطء لأن بذكرا امرأته وزوجته يستغنى عن ذكر العقد وحقيقة النكاح عند الفقهاء على ثلاثة أوجه :

الأول : أنه حقيقة في العقد مجاز في الوطء وهو أصحها ، لكثرة وروده في القرآن والسنة على معنى العقد ، بل قيل أنه لم يرد في القرآن إلا العقد ولا يعترض بمثل قوله تعالى : "حتى تنكح زوجاً غيره" لأن شرط الوطء في التحليل ثابت في السنة ، والمراد العقد أولا ، والوطء مستفاد من الحديث " حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك" كما جاء في الصحيحين.

الثاني : أنه حقيقة في الوطء مجاز في العقد.

الثالث : حقيقة فيها بالاشتراك .

وعرفه البعض في الشرع بأنه عقد يتضمن أباحة وطء بلفظ النكاح أو تزوج أو ترجمته.

وأركان النكاح هي :

٣- الصيغة ٤- الولي

٥- الصداق

٦- الشاهدان وضرورة وجود الشاهدين.

زيارة الاحتياط ، وصيانة النكاح عن العرض للجحود ، كما يستحب حضور جمع من ذوى [illegible] الدين

وقد ثبت النكاح بالكتاب لقوله تعالى : "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم زواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" وقوله تعالى : "وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم" كما يثبت بالسنة للأحاديث الآتية ...... وإجماع الأمة.

٢- أهداف الزواج

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن يحيى التميمى وأبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن العلاء الهمذانى جميعاً عن أبى معاوية واللفظ ليحيى" أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عو إبراهيم عن علقمة قال :

" كنت أمشى مع عبد الله بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان : يا أبد عبد الرحمن ألا توزجك جارية (شابة) لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك ؟ قال عبد الله : لئن قلت ذاك لقد قال رسولنا ﷺ : ' يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"

الشرح

في هذا الحديث الشريف ، يحكى لنا علقمة أنه كان ماشياً مع عبد الله بن مسعود بمنى ، فلقيه عثمان بن عفان فقام معه يحدثه ، عرض عليه الزواج قائلاً يا أبا عبد الرحمن - وهذه كنية ابن مسعود - : ألا تزوجك جارية شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك ؟ أى تستعيد بها ذكرياتك الماضية ، وأيام شبابك الأولى ، ففى ذلك انتعاش للبدن ، وتقوية للنشاط ،وفى رواية جرير عن الأعمش اذ لقيه عثمان بن عفان فقال :

هلم يا أبا عبد الرحمن ، قال : فاستخلاه ، فلما رأى عبد الله أن ليست له حاجة قال لى : تعالى يا علقمى ، قال : فجئت ، فقال له عثمان : ألا نزوجك يا أبا عبد الرحمن جارية بكراً لعله يرجع إليك من نفسك ما كنت تعهد؟

ولعل عثمان رأى عبد الله على حالة تستدعى الزوجة التى تقوم على رعايتع ، وتعمل على تدبير شئونه ومعيشتع ، فقال ابن حجر : علع عثمان رأى به قشفاً ورثاثة هيئة فحمل ذلك على فقده الزوجة التى ترفهه.

وقد جاء فى رواية البخارى (فلما رأى عبد اللـه أن ليس لـه حاجـة فـى هذا أشار إلى فقال يا علقمه فانتهينا اليه وهو يقول : أما لئن قلت ذلك .... الخ)

فمراجعه عثمان لابن مسعود فى أمر التزويج قبل استدعائه لعلقمه وفى رواية جرير عند مسلم ويزد بن أبى أنيسه عند ابن حمدان ان مراجعة عثمان لابن مسعود كانت بعد استدعائه لعلقمه ، ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بـأن يكون عثمان رضى الله عنه ، أعاد على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ما كان قد قاله له ، بعد أن استدعى علقمه لكونه فهم منه إرادة اعلام علقمه بما كان فيه .

وقد خص رسول الله ﷺ الشابا باخطـاب ، مع أن الزواج مطلوب بالنسبة لغيرهم من الكهول والشيوخ إذا وجد الداعى اليه ، وذلك لأن الغالب مفى الشباب كثرة وجود الداعى إلى الزواج وهو بالنسبة لهم أقوى من غيرهم.

وكلمة (معشر) تطلق على الطائفة المشتركين فى وصف كالشيوخ والشباب والنساء وهكذا.

و(الشباب) جمع شاب وهو من بلغ ولم يجاوز ثلاثين سنة فى الأصح وفى (الباءة) أربع لغات : الأولى : بالهمز ، والمد وتاء التأنيث ، والثانية بغير همز ولا مد ، والثالثة بالهمز والمد بلا هاء ، والرابعة بالهاء والمد وبلا همزة.

وقيل بالمد القدره على مؤن النكاح ، وبالقصر : الوطء ، وأصلها فى اللغة الجماع مشتقة من المباءة وهى المنزل وقيل لعقد النكاح باءة ، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً والمراد بالباءة هنا الجماع ، والمعنى من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه فعليه بالصوم لدفع شهوته وقيل : إن المراد بالباءة هنا مؤن النكاح ، وتكون تسميتها بما يلازمها والمعنى من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته.

واستدل القائلون بهذا بقول الرسول ﷺ " ومن لم يستطع فعليه بالصوم" قالوا والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع شهوته ، فأولت الباءة بالمؤن وأجاب أصحاب الرأى الأول : بأن التخيير من لم يستطع الجماع ، لعجزه عن مؤنه وهو محتاج إلى الجماع فعليه بالصوم والقولان يرجعان فى الحقيقة الى معنى واحد وقيل : ان المراد بالباءة القدرة على المؤن والجماع معاً ، فتكون أعم .

و(الوجاء) بكسر الواو هو رض الخصيتين ، أى كسر الشهوة منهما فكأن الصوم يقطع الشهوة كالوجاء .

ولقد وجه الرسول صلوات الله وسلامه علية الشباب فى هذا الحديث توجيهاً شديداً يملك عليهم اقطار نفوسهم ، ويكبح جماحهم ويهديهم سواء السبيل فناداهم بالوصف القائم فيهم ، الداعى لهم أن يصيخوا السمع ، ويرهفوا الاحساس إلى ما سيلقى عليهم بعد من توجيه "يا معشر الشباب" ثم يأمرهم بعد ذلك بالزواج إن كان كانوا قادرين على الوطء وعلى مؤون النكاح ، مبيناً أهداف الزواج وثمراته .

ففيه العصمة من الزلل ، والحفظ من الانزلاق فى وحل المعصية ، أو التردي فى مهاوي الفساد ، فإنه أغض للبصر فيكفه عن النظر إلى ما حرم الله ، وأحصن للفرج فتكون به العفه وسلامة الخلق والدين وحماية أعراض الناس ، هذا بالاضافة إلى ما فيه من السكن والمودة والرحم التى أشار الله تعالى اليها فى قوله :

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[١]

---

[١] - سورة الروم ٢١

وما فى الزواج أيضا من طلب الأولا الصالحين الذين يكثر بهم سواد المسلمين وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم لأن هذا أطهر لهم من دنس المعصية ، كما أمر النساء كذلك بما أمر به الرجال متن غض البصر وحفظ الفرج ، ونهى النساء عن اظهار الزينة ، وفى هذا ما فيه من التأكيد والمبالغة فى النهى ن مواضعها ، فإذا كانت الزينة وحدها محرمة فما بالك بمواضعها من الجسم؟

لا شك أنها أكثر تحريما وأشد نهياً إلا ما ظهر منها للضرورة عند مزاولة الأمور التى لابد منها ، ولا يظهرن من نحورهن بل يضربن على نحورهن ما يسرتها ثم السنتثمنى من تحريم النظر طائفة ذكرهم الله تعالى فى قوله :

" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيبوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ، أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهم أو التابعين غيرأولى الإربه من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جيمعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون"[1]

وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر مقدمه الزنا ، ودليل المعصية ومعنى أغض : أشد غضاً وأحصن : أشد إحصاناً ، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل هنا على بابه . وذلك لأن تقوى الله هى سبب غض البصر وتحصين الفرج فإذا عرضت الشهوة لصاحبها ردتها التقوى فإذا ما

---

[1] - سورة النور (٣٠،٣١).

ثم الزواج ضعف العارض فيكون أكثر غضاً وإحصاناً منه قبل الزواج لأن الداعي حينئذ قد ضعف فأصبح وقوع الفعل نادراً ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل هنا على غير بابه فلا يراد به التفضيل وانما يراد به بيان الواقع والاخبار عنه .

سبيل الاستعفاف

وقد وضح الحديث سبيل الاستعفاف لمن لم يستطع الزواج "فعليه بالصوم" وليس في هذه العبارة إغراء للغائب بل الخطاب للحاضرين المخاطبين بقوله : (من استطاع منكم) فالهاء في قوله : (فعليه) للحاضر المبهم حيث لا يصح خطابه بالكاف ونظير هذا قوله تعالى : " كتب عليكم القصاص في القتل – إلى قوله تعالى ... فمن عفى له من أخيه شئ – ومثله لو قلت لاثنين : من قام منكما فله درهم فالهاء للمبهم من المخاطبين لا لغائب وقيل هو اغراء غائب وجواب ذلك أن الضمير الغائب يرجع الى لفظه (من) وهي للمخاطبين في قوله (يا معشر الشباب) وبيان لقوله منكم فجاز قوله عليه لأنه بمنزلة الخطاب فتح .

وقيل : إن الباء زائدة في المبتدأ ومعناه : الاخبار عن ذلك لا الأمر به أي فعليه الصوم وقيل : هو من اغراء المخاطب أي أشيروا عليه بالصوم فحذف فعل الأمر وجعل علية عوضاً منه وتولى من العمل ما كان الفعل يتولاه واستتر فيه ضمير المخاطب الذي كان متصلا بالفعل .

وإنما قال " فعليه بالصوم" وعدل عن القول بالجوع والاقلال مما يزيد في الشهوة وذلك لأن الصوم عبادة برأسها وليؤذن أن المطلوب من الصوم إنما هو الجماع وكسر الشهوة وإلا فكم من صائم يملأ وعاءه" ولا ثمرة من صومه أما الصوم الحقيقي النمو فهو الذي تتم به التقوى المشار اليها في آيات الصيام : ' لعلكم تتقون' وإطلاق 'الوجاء' على الصيام من مجاز المشابهة.

وقد يعترض بأن الصوم يزيد في تهييج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة؟

والجواب : أن هذا إنما يحدث في أول الأمر لا غير ، أما إذا داوم الإنسان على الصوم واعتاده فإنه يحقق الهدف منه - ويسكن الشهوة 'وتتم العفة" وليس في الحديث ما يتعارض معما اكتشفه الطب والعلم الحديث من فوائد الصوم الصحية التي تعود على الجسم ، لأن تسكين الشهوة لا يعني الضعف ، وإنما هو طريق للعفة ، وتتحقق به ، ويثمر التوقى كما قال تعالى " يأيها الذين أمنوا كتب عليكم الصوم كما كتب على الذيالذين من قبلكم لعلكم تتقون "

وقد أرشد الله تعالى العاجزين عن مؤن النكاح إلى العفة، ووعجدهم بعد ذلك إن عفوا أنفسهم أن يغنيهم من فضله' لأن فضله أولى بأهل العفة الصالحين قال تعالى :

' وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله'

وفي الزواج علاج لكثير من ثورات الشباب ونزواته ، واستعفاف له وحفظ من التردى في مسالك الشر والفساد . فإذا لم يستطع الشباب أن يتزوج وعجز عن مؤمن النكاح، فإن الصوم حينئذ يكون أعهظم وسائل الاستعفاف الذى أمر الله تعالى به في الآية السابقة ' وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ' إن الصيام يكسر الشهوة ،ونيكف عن انتهاك الحرمات ، [illegible] الشهوات والأهواء وباصيام يتعود الإنسان الفضائل والبعد عن الرذائل ،لأن يهدف إلى التقوى كما قال تعالى :

' يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون'.

حكيم الزواج :

١- ذهب الجمهور إلى أن الأمر فى الحديث الشريف للندب ليس الوجوب واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : 'وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم' فقد خير الله تعالى فى الآية السابقة بين التزوج والتسرى، ومعلوم بالإجماع أن التسرى ليس واجباً ، فيكون النكاح كذلك ليس واجباً ، لأن التخيير لا يكون بين واجب وغير واجب فلا يلزم إذا التزوج ولا التسرى ، ولأنه أيضاً خير بين الصوم والزواج فى قوله تعالى :' فمن لم يستطع فعليه بالصوم' والصوم غير واجب.

٢- وذهب داود ومن وافقه من أهل الظاهر إلى الوجوب ،وهو رواية أيضاً عن أحمد ، ويدل عليه ظاهر الأمر فى الحديث ، قالوا : يلزمه إذا خاف العنت[1] أن يتزوج أو يتسرى ، قالوا : وإنما يلزمه فى العمر مرة واحدة ، ولم يشترط بعضهم خوف العنت ، قال أهل الظاهر : إنما يتناول الأمر فى هذا الحديث مع غيره من الأحاديث مع القرآن قال تعالى : ' فانكحوا ما طاب لكم من النساء' : والحديث ' من رغب عن سنتى فليس منى'

٢- وذكر ابن دقيق العيد أن بعض الفقهاء قال بوجوب الزواج على من خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر عليه التسرى ، وكذا حكاه القرطبى، فيجب على من لا يقدر على ترك الزنا إلا به.

ونرى أن الزواج تعتريه الأحكام الخمسة :

١- الوجوب ٢- الاستحباب ٣- الحرمة

- العنت : هو الزنا ويطلق على كل أمر شاق وعلى الإثم والفجور

٤- الكراهة ٥- الإباحة.

١- فيكون واجباً على كل قادر عليه تائق خائف من [illegible] ، أي الزنا ، وذلك لأن حفظ النفس من الوقوع في المعصية واعفافها أمر واجب وهذا لا يكون إلا بالزواج ، فيكون الزواج حينئذ واجباً فإن عجز عن مؤن النكاح والانفاق على زوجته فعليه بالاستعفاف ، وتوطين النفس على طريقة الصوم كما في الحديث، حتى يغنيه الله من فضله كما قال الله تعالى : وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله" .

٢- ويكون مستحباً لمن تاقت نفسه إليه وقجد عليه ، وأمن على نفسه من الوقوع في المعصية ، فيكون الزواج حينئذ مستحباً له ، وهو أفضل من الرهبانية والتهلى للعبادة ، فعن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله تعالى أبدلنا بالرهبانية الحنفية السمحة" رواه الطبراني .

٣- ويكون حراماً على من لم يستطع الزواج لعجزه عن الوطء والانفاق ولعدم قدرته وتوقانه . ولا يصح لأى من الزوجين أن يخفى عيباً عن الآخر ، أو يغر أحدهما الآخر بمال أو عمل وما إلى ذلك ، فإن وجد أحدهما عيباً بصاحبه فله الرد

٤- ويكون مكروهاً : إذا أخل بالنفقة والوطء وكانت الزوجة غنية وليس لها رغبة قوية في الوطء . فلا تتعرض لضرر ما .

٥- ويكون مباحاً : إذا انتفت الدواعى والموانع [1] .

والناس بالنسبة للنكاح أربعة أقسام : قسم تتوق إليه نفسه ويجد المؤن فيستحب له النكاح . وقسم لا تتوق ولا يجد المؤن فيكره له وهذا مأمور بالصوم لدفع التوقان . وقسم يجد المؤن ولا تتوق فمذهب الشافعى

---

[1]- فتح البارى لابن حجر ، وفقه السنة للشيخ السيد سابق

والجمهور أن ترك النكاح لهذا والتخلى للعبادة أفضل ولا يقال النكاح مكروه. بل تركه أفضل ومذهب أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى وبعض أصحاب مالك أن النكاح له أفضل . أهـ النووى .

ويؤخذ من الحديث بعض النتائج الهامة :

١- استحباب عرض الرجل مثل هذا على صاحبه الذي ليست له زوجة وهو صالح لزواجها.

٢- استحباب نكاح الشابة خاصة إذا كانت بكراً فإنها المحصلة لمقاصد الزواج . وأقرب لتعويد ما يريده الزوج من الخلق.

٣- استحباب الإسرار فى الحديث عن النكاح والترويج لأنه مما يستحى منه بين الناس.

٤- الأمر بالزواج للمستطيع الذى تاقت له نفسه.

٥- أن من لا يقدر على الزواج يجب عليه أن يحصل سبيل الاستعفاف بالصوم . وأن يغض البصر ويحفظ الفرج.

٦- لا ينبغى للمسلم ان يكلف نفسه ما لا يطيق . فإذا لم تتوفر مؤن الزواج فليس مطالباً بما ليس ممكناً كالاستدانه مثلا . بل يطالب بالعفة والصوم.

٧- حرص الرسول ﷺ على تربية شباب الأمة تربية نقية من كل شائبة بعيدة عن أسباب الانحلال.

٨- استدل الخطابى بالحديث على جواز المعالجة لقطع الشهوة بالأدوية وينبغى أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دون أن يقطعها.

٩- استدل بعض المالكية بالحديث علي تحريم الاستمناء .لأنـه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذى يقطـع الشـهوة فلو كـان الاستمناء مباحاً لأرشد اليه.

(٣) لا رهبانية فى الإسلام

قـال الإمـام مسلم رحمـه اللـه : حدثنى أبو بكر بن نـافع العبدى حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أنس أن نفر من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله فى السر فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ،وقـال بعضهم : لا آكل اللحم ،وقـال بعضهم : لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى.

اشتمل هذا الحديث الشريف على مقاصد عظيمة فى الدين ، وكل مقصد منها يكون عنصراً هاماً فى الحديث ويرتبط به حكم شرعى وهى :

١- السؤال عن عمل الرسول ﷺ فى السر للتأسى به .

٢- استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤنته

٣- حكم التبتل فى الإسلام

٤- الاعتدال فى الأمور

١ - السؤال عن عمل الرسول ﷺ فى السر

اجتمع نفر من أصحاب النبى ﷺ متفقين علـى أن يقفو على أعمال الرسول ﷺ فى السر ، وما يقوم به من عبادات لا علم لهم بها ، وذلك

ليجتهدوا فى التأسي به فى كل مايأتون ومايدعون فلهم فيه الأسوة الحسنة كما قال الله تعالى :

"ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"[١]

وقد ذهب هؤلاء النفر إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ليسألوا كل واحدة منهن عن عمله فى السر ، ليقتدوا به.

وفى رواية البخارى : "جاء ثلاثة رهط" ولا منافاة بينهما وبين رواية مسلم فالنفر من ثلاثة إلى تسعة والرهط من ثلاثة إلى عشرة . وكل من الرهط والنفر اسم جمع لا واحد له من لفظه.

والإضافة فى رواية البخارى بيانية أى ثلاثة رهط وروى أن هؤلاء الثلاثة هم : على بن أبى طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون رضى الله عنه .

وروى أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة وهو أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وأبو ذر وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن فى بيت عثمان بن مظعون . فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقومون الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء ويجبوا مذا كيرهم[٢]

وعلى هذا فيمكن التوفيق بين هذا العدد والوارد هنا وهو العشرة وبين الثلاثة بأن النفر الثلاثة هم الذين قاموا بالمهمة وباشروا السؤال

---

[١] - سورة الأحزاب ٢١.

[٢] - فتح البارى نقلا عن أسباب

بأنفسهم فنسب إليهم بخصوصهم تارة وتارة أخرى نسب إلى الجميع لأنه اشتركوا فى طلب ذلك الأمر.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ويؤيد أنهم كانوا أكثر من ثلاثة فى الجملة ما روى مسلم من طريق سعيد بن هشام أنه قدم المدينة فأراد أن يبيع عقاره فيجعله فى سبيل الله ويجاهد الروم حتى يموت ، فلقى ناسا فى المدينة فنهوه عن ذلك وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك فى حياة الرسول ﷺ فنهاهم ، فلما حدثوه ذلك راجع امرأته وكان قد طلقها يعنى بسبب ذلك.

وقال مال الحافظ ابن حجر إلى عدم عبد الله بن عمرو معهم ، قال : لكن فى عد عبد الله بن عمرو معهم نظر ... قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب

وإنما توجهوا لسؤال أزواج النبى ﷺ لأنهن على صلة دائمة برسول الله ﷺ ، ويمكنهن الإخبار عن عبادته السرية التى لا يعرفها أحد من الناس ومعلوم أن أمهات المؤمنين ، قد وقفن على كثير من الأعمال والأحكام ونقلن عن رسول الله ﷺ ما لم يتح لسواهن نقله.

٢- استحباب النكاح

وقد أورد الإمام مسلم هذا الحديث ، فى استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة لأنه بعضهم قال : لا أتزوج النساء ، وفى رواية البخاري " أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً " : فبين الرسول ﷺ الحكم الصحيح ، وأنكر عليهم ما هم فيه من عمل يتنافى مع روح الحنفية السمحة، وبين لهم استحباب الزواج ما داموا قادرين .... إعفافا للنفس ، وتكثيراً للنسل، وتحقيقاً لحكمة الله تعالى فيه. وللعلماء لآراء فى النكاح ، هل هو من العبادات أو من المباحات.

فذهب النووى من الشافعية : إلى أنه إن قصد بالنكاح طاعة كاتباع السنة ، أو تحصيل ولد صالح ، أو عفة نفسه فهو من أعمال الآخرة يثاب عليه وهو لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه أفضل من التخلى للعبادة تحصيناً للدين وإبقاء للنسل.

وذهب الحنفية إلى أنه سنة مؤكدة على الأصح.

٣- التبتل فى الإسلام

ولما أخبر هؤلاء النفر بعبادة رسول الله ﷺ "كأنهم تقالوها" كما جاء فى رواية البخارى ، أى استقلوها ، وعدوها أعمالاً قليلة وهم فى الحقيقة لم يعوا عبادة الرسول ﷺ قليلة ، وإنما رأوا أن مقامه عند ربه لا يحتاج إلى كثرة العبادة فأثبتت حالهم فى عزمهم على التشديد واتجاههم إلى التبتل أشبهت حخال من بعدها قليلة . وأصل كلمة "تقالوها" تقالوها فأدغم الحرفان . وفى رواية البخارى أيضاً : "فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" والاستفهام هنا انكارى بمعنى النفى فكأنهم قد أنكروا قرب منزلتهم من منزلة الرسول ﷺ وبينوا السبب فى ذلك وهو أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومعلوم أن الرسول ﷺ معصوم ، فيكون المراد بالذنب هنا : خلاف الأولى والأفضل " فقال بعضهم : لا أتزوج النساء وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم : لا أنام على فراش".

وفى عزم بعضهم على عدم الزواج ، ويحتمل أن ذلك زهد منه ، وأنه يرى أن الزواج يشغله عن كل الجد والاجتهاد فى العبادة.

وفى قول بعضهم : لا آكل اللحم يحتمل أنه كناية عن الزهد صوما أو فى المنازل .

وقد [illegible] الإسلام [illegible] وهو ترك لذات الدجتيا وشهواتها والنقطاع إلى الله [illegible] تفرغاً لل[illegible] عن سعد بن أبي وقاص قال : "رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ،ولو أذن له لاختصينا" رواه مسلم.

وهو محمول على من تاقت نفسه إلى النكاح ووجد مؤنه، والتعبير بالاختصاء يفيد أنهم كانوا يظنون جوازه منهم وهو غير صحيح ، فإن الاختصاء الآدمى حرام ، قال النووى : وكذا يحرم خصاء كل حيوان لا يؤكل وأما المأكول فيجوز خصاؤه فى صغره ويحرم فى كبره.

وروى البخارى : "فقال أحدهم :أما أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال آخر :أنا أصوم الدهر لا أفطر ". قال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، ويلاحظ فى هذه الرواية أنه أكد على المصلى ومعتزل النساء بالتأبيد، ولكن لم يؤكد بالنسبة للصيام [illegible] ، وذلك لأنه لابد من افطار الليالى ، وبعض الأيام كالعيدين ، [illegible] وتعدد هذه الأقوال منهم ، واختلاف الروايات يدل على زيادة عدد القائلين عن ثلاثة ، لأن ترك أكل اللحم أخص من مداومة الصيام واستغراق الليل بالصلاة أخص من ترك النوم على الفراش.

٤- الاعتدال فى الأمور

ولما علم رسول الله ﷺ بما قاله هؤلاء القوم ، وما اعتزموا على فعله ، من التشدد والتغالى الذى يتنافى مع روح الإسلام كما قال تعالى :" وما جعل عليكم فى الدين من حرج". لما علم عنهم تلك حمد الله وأثنى عليه ، كما هو معروف عنه خطبة ﷺ فى مثل هذه المواقف إذا كره شيئاً فخطب له وذكر كراهيته ولا يعيب فاعله، ستراً لحاله وحتى لا يحصل توبيخ صاحب الفعل فى الملأ ، ويكون المقصود بالتوجيه الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم وهذا من مكارم أخلاق الرسول ﷺ ، قال " ما بال أقوام قالوا كذا

ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى"

وفى رواية البخارى : "أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم" قال الحافظ ابن حجر : فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد فى العبادة بخلاف غيره فأعلمهم أنه مع كونه لم يبالغ فى العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون ، وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره وخير العمل ما داوم عليه صاحبه وقد أرشد إلى ذلك فى قوله فى الحديث الآخر : "المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"

والخشية : وهى الخوف من الله مع تعظيمه بالعبادة وطاعته فى كل ما أمر ونهى ، فهى خشية تعظيم ، وليست خوفا من العذاب فقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وأتى بحرف الاستدراك "لكن" ليفيد أنه مع ما هو عليه من أسمى درجات الخوف والتقوى مما قد يوهم التشدد فى الطاعة ، والمبالغة فى العبادة مع هذا ، لكنه يصوم ويفطر ، ... الخ مستدركا على ذلك المعنى المتبادر إلى الأذهان من قوة خشيته. أو أن الاستدراك هنا من شئ محذوف يفهم من سياق الحديث أى أنا وأنتم بالنسبة إلى العبودية سواء لكن أنا أعمل كذا .

"والسنة" مفرد مضاف يعم فيشمل الشهادتين وبقى الأركان والمراد بها الطريقة وليس ما يقابل الفرض والرغبة عنها : هى الإعراض عنها وتركها إلى غيرها ، أى أن من ترك طريقة رسول الله ﷺ وهى الحنفية السمحة وأخذ بطريقة سواه كطريق الرهبانية فليس منه وليس من الإسلام فى شئ .

وتتضح طريقته ﷺ بما بينه في الحديث من يسر وسماحة إنه يصوم ويفطر ليتقوى على الصيام بعد ذلك ،ويقوم وينام لتقوى على القيام ويتزوج لتحقيق أهداف الشريعة من الزواج. . . .

ونقف عند قوله : فمن رغب عن سنتي فليس مني" لنتساءل " هل يلزم من هذا من أعرض عن طريقته يعتبر خارجاً عن الإسلام أم لا؟

والجواب عن هذا هو : إن كانت الرغبة عن ذلك بضرب من التأويل كالورع لقيام شبهة الوقت أو عجز عن ذلك بحيث يعذر فيه ، فالمعنى : أنه ليس على طريقتي ولا يلزم أن يكون خارجا عن الاسلام.

أما إن كان راغباً عن طريقة الرسول ﷺ ، إعراضاً عنها ، واعتقاداً لأفضلية عمله وأرجحيته فالمعنى : أنه ليس على الملة الاسلامية لأن اعتقاده هذا ضرب من الكفر والعياذ بالله .

ويستفاد من هذا الحديث بعض الأحكام الهامة :

١- السؤال عن أحوال الأكابر للاقتداء بأفعالهم الحميدة وإذا تعذر الوقوف عليها من الرجال جاز معرفتها من النساء.

٢- استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد المؤنه وأفضلية النكاح والترغيب فيه.

٣- عظيم خلقه ﷺ ورأفته بأصحابه.

٤- سمو منزلة الرسول ﷺ في الخشية من الله وفي التقوى.

٥- لابأس أن يظهر الإنسان ما يتعزم عليه من أعمال البر إذا احتاج الأمر بشرط أن يأمن على نفسه من الرياء.

٦- الاعتدال في الأمر ، بلا إفراط ولا تفر.

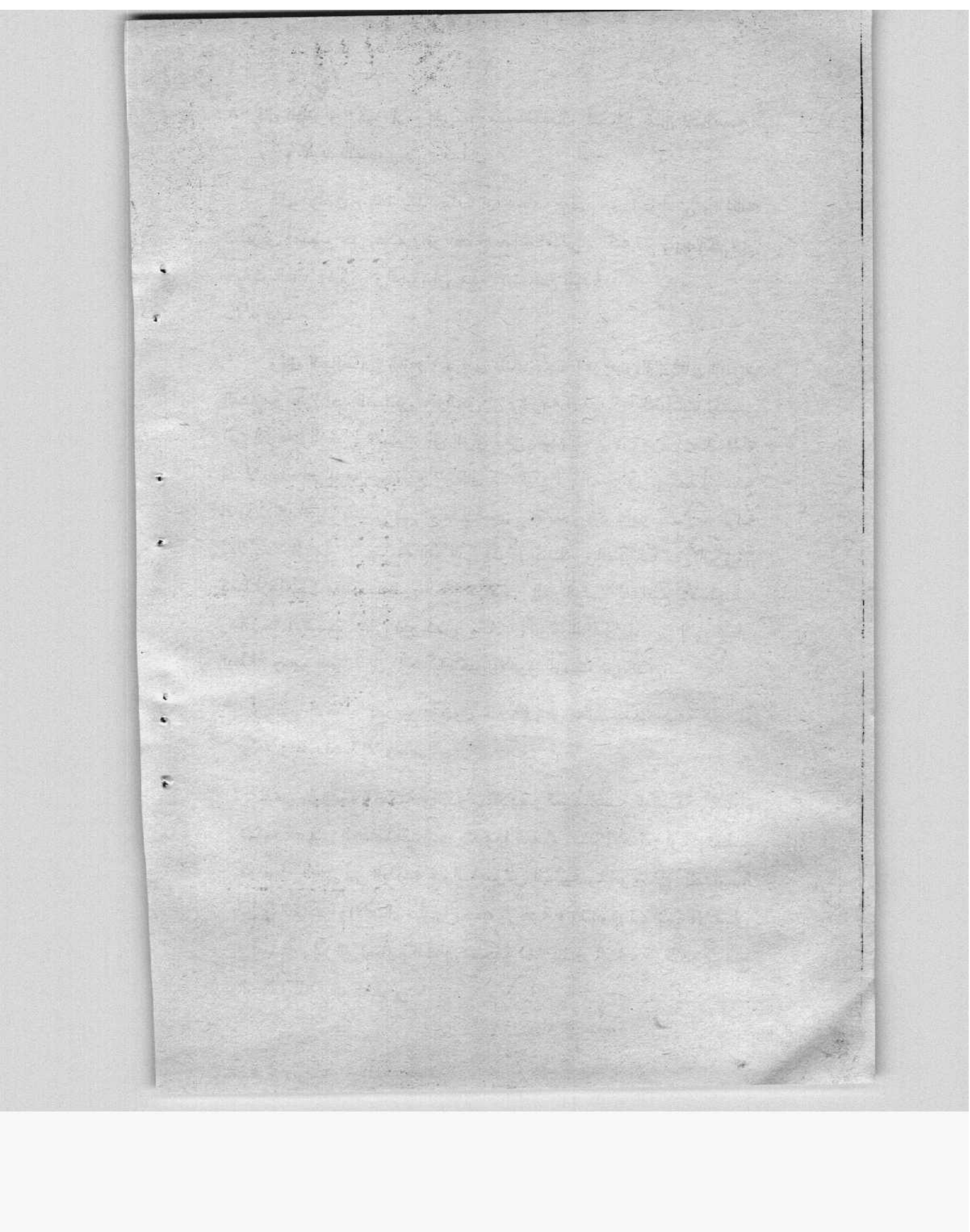
٨- قال الطبرى : فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة ، وأثر غليظ الثياب وخشن المأكل.

قال عياض : هذا مما اختلف فيه السلف فمنهم من نحا إلى ما قاله الطبرى ومنهم من عكس ،و احتج بقوله تعالى : "أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا" قال : والحق أن هذه الآية فى الكفار ،ة . ا بالأمرين...

وقال الحافظ فى الفتح : لا يدل ذلك لأحد الفريقين إن كان المراد المداومة على أحد الصفتين ، والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضى إلى الترفه والبطر ولا يأمن من الوقوع فى الشبهات ، لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحيانا فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع فى المحظور ، كما أن منع تناول ذلك أحيانا يفضى إلى التنطع المنهي عنه ، ويرد عليه صريح قوله تعالى : " قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق" كما أن الأخذ بالتشديد فى العبادة يفضى إلى الملل القاطع لأصلها . وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلا ، وترك التنفل يفضى إلى ايثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط من الفتح.

٩- أن خير الاقتداء إنما هو برسول الله ﷺ وهو على حسب طاقة المسلم و" لا يكلف نفساً إلا وسعها"

١- ليس مقاييس الخسية والتقوى بتكليف العبد نفسه المشقة وكثرة الانهماك فى العبادة فقد يورث هذا العمل عدم الاستمرار، ويقطع مواصلة السير فى الطاعة ، وإنما مقياس الخشية والتقوى فى المداومة على الطاعة والاقبال عليها بحب ورغبة ، وتذوق لحلاوة الايمان والطاعة وإدراك لعظمة الخالق سبحانه مما ينتج الخشية والتقوى مع التعظيم لله رب العالمين.



٤- اختيار الزوجة الصالحه

قال الإمام مسلم رحمه الله :

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالوا : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : "تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"

الشرح

يرشد الرسول ﷺ المسلم الراغب في الزواج إلى ما تتم به سعادته وغاية ما يتمناه ويظفر به ، فيوضح له أولا الأمور التي جرت عادة الناس بمراعاتها ويخبر بأنهم يقصدون هذه الخصال عندما يرغبون في اختيار الزوجة ، فتتجه عنايتهم إليها ، تلح رغباتهم الدنيوية في اختيار الزوجة التي يتوافر فيها المال والحسب والجمال ، ويقدمون هذه الامور على أهم المطالب كلها ، وهو "الدين" فيجلعونه آخر المطالب.

وقد ذكر الحديث هذه المطالب متدرجا مع نداء الرغبة والشهوة في نفوس الناس ، حت إذا ما وصل إلى آخر مطالبهم ، وهو ما ينبغي أن يكون أولاه لأنه أهمها ، حثهم عليه في صيغة الأمر بالظفر ووجههم إلى أهميته وحكمة الحصول عليه بقوله " فاظفر بذات الدين تربت يداك"

ويتناول الحديث أربعة مطالب وهي

...ين ٢- الحسب ٣- الجمال ٤- ...ال

٢٢٥٢/٢

١ – الدين

هذا هو أهم المطالب التي ينبغي على راغب الزواج أن يجعله نصب عينيه فيتخير الزوجة ذات الدين فهي التي تعينه على دينه ودنياه وآخرته، وتصون شرفها وعفافها ، وتحفظ على زوجها كرامته ، فيأمن معها ، ويسكن إليها ، وتشرق بينهما المودة والرحمة، لهذا نهى الإسلام عن أن تكون مطالب الحسن أو المال مقصودة لذاتها ، فإن الزواج لا يأمن معها غائلة الفتنة، فقد يهلك المرأة حسنها، وقد يطغيها مالها ،وروى ابن ماجه بسنده عن عبد الله ابن عمرو :" لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن : ولكن تزوجوهن على الدين ، والأمة سوداء ذات دين أفضل" .

وكما حذر الرسول ﷺ من الزواج لأجل الجمال أو المال ، دون مراعاة الدين، فقد رغب في الزواج من المرأة الصالحة المتدينة الجميلة الأمينة ، ورسم الصورة المشرقة للزوجة المثالية في المجتمع الإسلامي ، فقال ﷺ : "خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها وفي مالك" رواه النسائي بسند صحيح .

وقد وضح الرسول ﷺ أن زواج ذات الدين نعمة كبيرة يتم بها شطر الدين ، فعلى من أتم الله عليه هذه النعمة أن يشكره عليها وأن يرعى حق ربه في استكمال الشطر الثاني مخلصا فيه العبادة :

روى الطبراني والحاكم ، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي" .

٢- المال

إذا تحقق مطلب الدين فى المرأة فلا مـ ع أن يجتمع معه المال أو غيره من الجمال والحسب ، أما مراعاة المال وحده دون الدين فهذا ما نهى عنه الإسلام وحذرت من الأحاديث السابقة ، وكذلك الحال بالنسبة للحسب والجمال.

فلا ينبغى أن يكون المال وجهة المسلم التى يقصدها من وراء الزواج ، قال النووى : "اذا تزوج لرجل المرأة وقال : أى شئ لها ؟ فاعلموا أنه لص" ويجب على المسلم أن يسمو بالزواج وحكمته بعيدا عن المادة قال الغزالى رحمه الله فى الأحياء : وإذا هدى إليهم فلا ينبغى أن يهدي ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه، وكذلك إذا أهدوا إليه ، فنية طلب الزيادة نية فاسدة ، فأما التهادى فمستحب ، وهو سبب المودة قال عليه السلام : "تهادوا تحابوا"[1] وأما طلب الزيادة فداخل فى قوله تعالى : "ولا تمنن تستكثر" أى تعطى لتطلب أكثر ، وتحت قوله تعالى : " وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس"[2] فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن فى الأموال الربوية ، فكل ذلك مكروه وبدعه فى النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح، أ هـ

وقال المهلب : فى هذا الحديث دليل على أن للزوج الاستمتاع بمال الزوجة ، فإن طابت نفسها بذلك حل له وإلا فله من ذلك قدر ما بذل لها من الصداق وتعقب بأن هذا التفضيل ليس فى الحديث ، ولم يتحصر صند نكاح المرأة لأجل مالها فى استمتاع الزوج بل يقصد تزويج ذات الغنى لما عساه يتحصل له منها من ولد فيعود إليه ذلك المال بطريق الإرث إن وقع،

---

[1] - رواه البخارى فى الأدب المفرد ، والبيهقى بسند جيد

[2] - سورة البقرة آية (٦)

أو لكونها تستغنى بما لهى عن كثرة مطالبته بما يحتاج إليه النساء ونحو ذلك . وأعجب منه استدلال بعض المالكية به على أن للرجل أن يحجر على امرأته فى مالها قال : لأنه تزوجح لأجل المال فليس لها تفويته عليه ولا يخفى وجه الرد عليه أ. هـ من الفتح.

وهكذا نرى كيف كانت نظرة الإسلام إلى الزواج ،و تنقية أسبابه من كل آفة تستبد بالزواج أو بالزوجة ،كل هذا من أجل توفير الرحمة والمودة بين الزوجين وتمهيد الحياة الزوجية لاستقبال الأبناء وطمأنينتهم.

٣ - الحسب

والحسب بفتح الحاء والسين هو الشرف، ويطلق الحسب فى الأصل على الشرف بالآباء وبالأقارب ، فهو مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا ما لهم من مناقب ومآثر وما لآبائهم وأجدادهم وقومهم وحسبوا ذلك كله ، ويكون الحكم لمن زاد على غيره

وقيل : المراد بالحسب فى الحديث هو الفعال الحسنة.

وقيل : المال ،وهو مردود ، لذكر المال قبل ذلك ، لأنه عطف عليه لحسب ، والعطف يقتضى المغايرة.

ورُوى من حديث بريدة : " إن أحساب أهل الدنيا الذى يذهبون إليه مال"[١]. وهذا على معنى إن المال حسب من ليس له حسب، ومن ذلك يضا حديث سمرة " الحسب المال والكرم التقوى"[٢] ، وقد تمسك بهذا حديث من اعتبر الكفاءة بالمال ، وهناك احتمال آخر هو أن من شأن أهل دنيا رفعة من كان كثير المال ولو كان وضيعاً.

١- أخرجه أحمد النسائى وصححه ابن حبان والحاكم

٢- أخرجه أحمد والترمذى

وقال شمر : الحسب : الفعل الجميل للرجل وآبائه ، واشترط الإمام الغزالي أن تكون الزوجة نسيبة، أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربي بناتها وبنيها ، فإذا لم تكن مؤدبة ، ولم تحسن التأديب والتربية .

٤- الجمال

وتنكح المرأة كذلك "لجمالها" ولكن إذا تعارض الجمال مع التدين فلا خير فيه ، ويتبع جمال المنظر جمال الخلق

هذا وفي الجمال عفة الزوج عن أن يمد عينه إلى ما حرم الله ، وانشراح لصدره وسرور في حياته ، فخير النساء من إذا نظرت إليها سرتك.

ولئن قدمنا في أول المطالب أن الإسلام يحث على الزواج من ذات الدين ، وألا يكون الجمال مقصود المتزوج فحسب ، وإنما هو تصوير للزواج المثالي في الإسلام وتطهير له منما يتعلق به من رغبات الجمال فقط مع عدم فهذا ما نهى عنه الإسلام وحذر منه أما الجمال مع الدين فهو مطلوب.

، واقتصر الحديث على ذكر هذه الأمور الأربعة دون غيرها ، كأن تكون الزوجة بكراً ، أو ولوداً أو ذكية ، لأن هذه الأمور التي ذكرت هي التي اعتاد كثير من الناس اعتبارها في الزواج ، وطمعوا في وتقديمها على غيرها ، كما جرت عادتهم بقصد هذه الخصال أخير الدين فبين لهم الرسول ﷺ ما ينبغي أن يظفروا به ظفر بذات الدين تربت يداك"

أى لصقتا بالتراب، وهذه العبارة كناية عن الفقر ، وهى خبر بمعنى الدعاء ، لكن لا يراد به حقيقته"

قال بعض العلماء : أن صدور ذلك من النبى ﷺ فى حق مسلم لا يستجلب لشرطه ذلك على ربه.

وقيل : معناه : ضعف عقلك ، وقيل : افتقرت من العلم.

وقيل : فيه تقدير شرط أى وقع لك ذلك إن لم تفعل ، فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر ، أى إذا تبين ذلك فاظفر بذات الدين تربت يداك أى افتقرت إن لم تقصد ذات الدين

الكفاءة فى الزواج

استنبط العلماء من هذا الحديث اعتبار الكفاءة قال مالك فى الكفاءة : هى فى الدين دون غيره ، والمسلمون أكفاء بعضهم لبعض ، لقول الله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

ولحديث : " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه"[١]

وقال أبو حنيفة : قريش أكفاء بعضهم لبعض والعرب كذلك وليس أحد من العرب كفوا لقريش كما انه ليس أحد من غير العرب كفوا للعرب، وهو للشافعية.

والصحيح تقديم بنى هاشم والمطلب على غيرهم ومن عدا هؤلاء أكفاء بعضهم لبعض".

وقال الثورى : إذا نكح المولى العربية يفسخ النكاح وبه قال أحمد فى رواية وتوسط الشافعى فقال : ليس نكاح غير الأكفاء حراما فأرد به

---

١ – رواه الترمذى .

النكاح وإنما هو بالمرأة والأولياء ، فإذا رضوا صح ويكون حقا لهم تركوه ، أما اعتبار الكفاءة بالمال فمختلف فيه عند نمت يشترط الكفاءة والأشهر عند الشافعية أنه لا يعتبر ويستفاد من الحديث ما يأتى :

١- الحث على اعتبار الدين المطلب الأول فى اختيار الزوجة.

٢- استحباب تزوج المرأة الجميلة إلا إذا تعارض الجمال مع الدين.

٣- فى الحديث دلالة على أن للزوج أن يستمتع بمال زوجته إن طابت نفسها لذلك.

٤- جواز قصد الجمال والمال والحسب مع الدين فالإسلام لا يمنع شيئاً من ذلك وإنما الذى يحذر منه الإسلام أن تقصد هذه الأمور وحدها دون الدين.

٥- قال الإمام النووى : وفى هذا الحديث الحث على مصاحبة أهل الدين فى كل شئ لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن من المفسدة من جهتهم أ. هـ

هـ- النظر للخطبة

قال الإمام مسلم رحمه الله : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن يزيد ابن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : أنظرت إليها ؟ قال لا ، قال : فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً.

وحدثني يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية الفرازى حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال إني تزوجت امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ : هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئاً ؟ قال قد نظرت إليها ، قال : على كم تزوجتها ؟ قال : على أربع أواق فقال له النبي ﷺ على أربع أواق ؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ، ما عندنا نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه ، قال : فبعث بعثاً إلى بني عبس ذلك الرجل فيهم.

الشرح

يتناول هذا الحديث علاج ظاهرة من أهم ظواهر تكوين الأسرة إذا على ضوئها يهتدي الزوج إلى اختيار شريكة حياته وربة بيته ، وهذه الظاهرة هي : النظر إلى المخطوبة .

ويتناول الحديث خمسة عناصر يترتب على كل واحد منها حكم ديني وهدف تشريعي حكيم

١- حكم النظر إلى المخطوبة ومواضعه.

٢- تعرف الخاطب على صفات مخطوبته.

٣- تحريم الخلوة

٤- الرجوع فى الخطبة

٥- كراهة اكثار المهر

١- حكم النظر إلى المخطوبة ومواضعه

يوضح الحديث حكم النظر إلى المخطوبة ، وهو أنه مستحب ندب إليه الشارع ، فقد قال الرسول ﷺ للرجل الذى أراد زواج امرأة من الأنصار : أنظرت إليها ؟ قال الرجل لا : قال فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً قيل : صغر ، وقيل زرقة ، وقيل عمش.

أما وقت النظر : فيكون بعد أن يعزم على الزواج ، وقبل أن يباشر الخطبة ، وذلك لأن النظر قبل العزم على الزواج لا حاجة إليه وإنما هو محرم ، داخل فى نطاق قوله تعالى :" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهن" والنظر بعد الشروع فى الخطبة ، قد يترتب عليه إضرار بالمرأة حين يفضى الحال الى الترك فيشق ذلك عليها.

وهل يتوقف النظر على إذن المرأة أو إذن وليها؟

ذهب الجمهور : إلى أنه لا يشترط فى جواز هذا النظر رضاها بل إن للرجل أن ينظر إليها فى غفلتها ومن غير تقدم إعلام.

ويكتفى بإذن الشراع فى النظر ، ولا حاجة إلى إذنها أو إذن وليها ولئلا تتزين فيفوت المقصود.

وقال مالك : أكره نظرة فى غفلتها ، مخافة من وقوع نظره على عورة. وعن مالك رواية ضعيفة :أنه لا ينظر إليها إلا بإذنها ، قال الإمام النووى وهذا ضعيف لأن النبى ﷺ قد أذن فى ذلك مطلقاً ولم يشترط استئذانها ولأنها تستحى غالباً من الإذن ، ولأن فى ذلك تغريراً فربما رآها

فلم تعجبه فيتركها ، فتنكسر وتتأذى ،ولهذا قال أصحابنا : يستحب أن يكون نظره إليها قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذاء ، بخلاف ما إذا تركها بعد الخطبة أ. هـ شرح النووى.

وقد رغب الإسلام فى النظر للخطيبة فى هذه الفترة – وهى فترة ما قبل الشروع فى الخطبة – مع أن هذه الفترة تعتبر فيها المرأة أجنبية عن الرجل ، ولا علاقة ولا ارتباط بينهما إلا مجرد الرغبة فى الزواج فحسب، ومع هذا فإن الإسلام أباح للخاطب أن ينظر إلى من يريد الزواج منها ، لأن للنظر أهمية كبيرة حيث يتوقف دوام العشرة وسعادتها بعد ذلك على المعرفة الأولى المترتبة على النظر.

عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنظرت إليها ؟ قال لا : انظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"[١] أى أجدر أن يؤلف ويدوم الوفاق.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال "إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل " قال جابر فخطبت امرأة من بنى سلمة ، فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منا بعض ما دعانى إليها . رواه أبو داود وهذا الحديث يدل على أن للرجل أن ينظر إلى المرأة التى يريد خطبتها منها وبدون علمها، كما يوضح أيضا أن مما يدعو إليه الإسلام أن يقف من يريد الزواج على بعض أوصاف المرأة الهامة ومحاولة استشفاف كل ما يدعوه إلى الزواج منها وليس فى الحديث ما يوهم إباحة النظر فى غير الحدود التى شرعت من أجل الخطبة.

---

١ – رواه النسائى وابن ماجه والترمذى

أما مواضع النظر :

فقد ذهب الجمهور إلى جواز النظر إلى الوجه والكفين فقط ، لأنهما ليسا بعورة[1] ، ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده ، وبالكفين على خصوبة البدن أو عدمها.

وذهب الأوزاعي : إلى جواز النظر إلى مواضع اللحم

وذهب داود : إلى النظر الى جميع البدن ، وهذا غير صحيح لمخالفته السنة والاجماع.

وإذا نظرنا إلى الأحاديث الواردة في ذلك ، وجدناها لم تحدد مواضع النظر ، بل أطلقت ذلك.

ولكن حدد الفقهاء النظر إلى اليدين والوجه على ضوء اجتهادهم وفهمهم في قوله تعالى : "ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها" وذلك في الوجه واليدين فهما من مواضع الزينة المشار إليها ، هذا بالاضافة إلى ما يترتب على النظر من تعرف جمال الوجه والجسم

وفي معنى قوله تعالى : "ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها" قال ابن مسعود : كالرداء والثياب ، وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم.

وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها" قال : وجهها وكفيها والخاتم وهذا الرأي هو المشهور عند الجمهور ، ويستأنس به بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه قال : حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن

---

[1] - فهما من مواضع الزينة المشار إليها في قوله تعالى : "ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن"

أسماء بنت أبو بكر دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنه وقال : " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا" وأشار إلى وجهه وكفيه.

وإذا لم يمكنه أن ينظر إلى من يريد خطبتها ، استحب له أن يبعث امرأة يثق بها ، تنظر إليها وتخبره ، ويكون ذلك قبل الخطبة قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم و غم.

وبل يقتصر النظر على الرجل فحسب ، بل يثبت الحكم نفسه للمرأة فلها أن تنظر إلى من يتقدم لخطبتها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها ، وقال عمر : لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم ، فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن ،وما يثبت بالنسبة للمرأة من النظر إلى الرجل الذى يتقدم لخطبتها ، لم يرد به حديث، ولكن الدليل عليه هو كما قال صاحب سبل السلام : الأصل تحريم نظر الأجنبى والأجنبية الا بدليل كالدليل على الجواز نظر الرجل إلى من يريد خطبتها.

وأيضاً ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا تنكح الأيم حتى تستأمر ،ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا ***** إذنها؟ قال : أن تسكت" متفق عليه.

ففى هذا الحديث اعتبار رضا المرأة قبل الشروع فى الزواج بكراً كانت المرأة أم ثيباً ومعلوم أن هذا الرضا يترتب على النظر ، النظر أهم وسائل الرضا فثبت للمرأة جواز النظر إلى الرجل الذى يتقدم إليها وبهذا يقرر الإسلام حقوق المرأة ، يأخذ رأيها فى الحياة الزوجية ليكفل لـ السعادة ****.

الطباع مائلة فى مبادئ النكاح ووصف المزوجات إلى الافراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والإغراء أغلب والاحتياط فيه منهم.

٣- تحريم الخلوة

وقد أمر الرسول ﷺ الرجل - كما فى الحديث وقال له "فاذهب فانظر اليها" فبين أن للخاطب أن ينظر إلى من يردي خطبتها ولم يبح له أكثر من هذا ، ولم يرد فى الشرع اباحة شئ سوى النظر ، وأما ما يحدث الآن فى بعض المجتمعات الحديثة ، من تهاون بعض الأسر ، فى اباحة اختلاط الخطيب بخطيبته والخلوة بها ، فهذا حرام لأن المرأة محرمة عليه قبل العقد ، ولا تسلم الحال أن يحدث بسبب ذلك بعض ما حرمه الله عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان" رواه الإمام أحمد.

وفيما رواه الإمام أحمد أيضاً بسنده عن ربيعة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : "لا يخلون رجل بامرأة له فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم" وكان هذا التوجيه النبوى إصلاحا لحياة الناس وصوناً لكرامة المرأة وشرفها ، فقد لا يتم الزواج ،فتكون المرأة قد فقدت الشرف. وتعرضت لفساد العفاف ، وكما حرم الإسلام الإفراط فى هذا الأمر ، فقد حرم أيضا التفريط فيه ، والتقصير بحيث ستبد الجمود ببعض الأسر ، فلا تسمح لمن يريد الخطبة أن يرى المرأة إلا بعد العقد أو ليلة الزواج ، فهذا مناف لروح الإسلام مجاف لما جاء به من رعاية حقوق كل من الزوج والزوجة والزوجة فى رؤيتهم لبعض مع بعض التحفظ من الاختلاط الفاحش والخلوة المحرمة.

٤- الرجوع في الخطبة

وإذا تمت الخطبة ، ثم رجع أحد الزوجين أو كلاهما ، فما الحكم فيما قدمه الزوج من مهر أو هدايا؟

في الحقيقة أن الخطبة وإن لم تكن عقداً ملزماً بالزواج إلا أن الوفاء بها من صفات المؤمنين ،وخلف الوعد فيها ثلث النفاق إلا إذا وجدت ضرورة تقتضي العدول ، لما حضرت الوفاة عبد الله بن عمر قال : أنظروا فلاناً - لرجل من قريش - فإني قلت له في ابنتي قولا كشبه العدة ، وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق ، وأشهدكم أني قد زوجته ، ويعني بثلث النفاق - خلف الوعد - كما جاء في الحديث "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان" وبالنسبة للمهر فيسترده الخاطب ، لأنه لم يتم الزواج بينهما ولا عقد ، والمهر لا يكون إلا في مقابلة الزواج فيجب رده إلى الخاطب وأما الهدايا ،فتأخذ حكم الهبة، ولا يجوز الرجوع في الهبة إذا كانت تبرعاً محضاً ، أما إذا كانت الهبة لأجل عوض ، ولم يفعل الموهوب له ، فيجوز الرجوع فيها لأن الهبة حينئذ قامت على المعاوضة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحل لرجل أن يعطي أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده" رواه أصحاب السنن . ومذهب المالكية : إن كان العدول عن الخطبة من الخاطب فليس له الرجوع في هديته ، وأما إن كان الرجوع من المخطوبة فله الرجوع بكل ما أهداه سواء بقي على حاله أم لا فيرجع ببدله إلا إذا قام هناك شرط أو عرف فيعمل به.

ويرى الشافعية : رد الهدية ، قائمة كانت أو هالكة فترد قيمتها : ويرى الحنفية : أن للخاطب أن يسترد ما أهداه إن كانت الهدايا على

حالها،أم أن لم تبق علي حالها أن فقدن أو تغيرت فليس له استردادها أو استرداد بدلها ومذهب الحنفية هو الذي جري عليه القضاء بالمحاكم

كراهية إكثار المهر

وقد وضع الرسول – صلي الله عليه وسلم – يسر الإسلام لراغبي الزواج وتسهيل الطريق لأمامهم وبين إكراهه إكثار المهر بالنسبة ألي الزواج وذلك في قولة – في الحديث – (كأنما تنحتون الفضي عن عرض هذا الجبل) والعرض بضم العين وإسكان الراء هو الجانب والناحية، ومعني تنحتون تقطعون و تقشرون.

وقد نهي الرسول _ صلي الله عليه وسلم _ عن المغالاه في المهور

"خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهر" وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى المهور ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ، وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين أ. هـ الاحياء ، وكان هذا توجيه النبى فى كراهة إكثار المهور حتى لا يعزف النفس عن الزواج ويعجز الكثير من الشباب عن أداء هذه السنة التى تتم بها العفة، ويكثر النسل. وتعمر الحياة والتغالى فى المهور معول هدام يقضى على رغبات الكثير من أهل العفة الراغبين فى الزواج . وهو فى نفس الوقت دعوى صريحة تساعد على ضياع قسط كبير من أعمار الشباب دون تحقيق سنة الإسلام بالزواج ، بل قد تكون سبباً من أسباب انتشار الرذيلة وتفوضى الأخلاقية التى تهدد المجتمع بالتصدع والانحلال : ولا مبرر إلا تفاخر بعض الأسر فى تكوين الأثاث وفى تأثيث منازلهم [illegible] وقد يدعوا الأمر إلى أن تستدين بعض الأسر الفقيرة ، ومن أجل ذلك حرص الإسلام على التنبيه على ذلك بالحذر من تلك المغالاة الكثيرة .

وليس معنى هذا أن الإسلام يدعو إلى نقص حق المرأة في الصداق أو تحريم كثرة المهر؟ لا فإن الإسلام إنما يكره تلك المغالاة التي حادت عن الجادة أما إذا توفر المال ، وكان الزوج ذا يسر فإن الإسلام يجيز كثرة المهر حينئذ ،أخرج عبد الرازق من طريق عبد الرحمن السلمي ، قال : قال عمر : لا تغالوا في مهور النساء، فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر، إن الله يقول :" وآتيتم أحداهن قنطاراً " من ذهب " قال وكذلك هي قراءة ابن مسعود فقال عمر امرأة خاصمت عمر فخصمته ، وأخرجه الزبير بن بكار من وجه آخر منقطع فقال عمر أمرأة أصابت ورجل أخطأ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح . ومحل الاختلاف أنه أقل مايقول وقيل أقله ما يجب فيه القطع وقيل أبعون وقيل خمسون وأقل ما يجب فيه القطع مختلف فيه . فقيل ثلاثة دراهم . وقيل خمسة وقيل عشرة.

ويؤخذ من هذا الحديث بعض الفوائد والأحكام الهامة وهي :

١- استحباب النظر إلى وجه المرأة وكفيها عند إرادة خطبتها.

٢- جواز ذكر بعض العيوب التي في المرأة للنصيحة ، لأن الرسول ﷺ قال "فإن أعين الأنصار شيئاً"

٣- إستحباب النظر قبل الخطبة . حتى إن كرهها تركها دون إذاء لها.

٦- الوصية بالنساء

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى :

حدثنا عمرو الناقد وابن أبى عمر - واللفظ لابن أبى عمر - قالا: حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها.

وحدثنا أبى بكر عن أبى شيبة حدثنا حسن بن على عن زائد عن ميسرة عن أبى الحزم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه أن ذهبت تقيه كسرته وإن كسرته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً.

الشرح

أكد رسول الله ﷺ وصيته بالنساء وأمر بحسن معاشرتهن مصداقاً لقول الله تعالى " وعاشروهن بالمعروف" وفيه على جانب من أهم جوانب طبيعة المرأة ،وهو أنهن خلقن معوجات ،وأن من يجتهد فى إصلاحهن ، قد ينتهى الأمر به إلى مالا تحمد عقباه ، نبن أن من راح يطلب منهن المثالية الكاملة يعوزه الطلب ، وكان يحاول إقامة ضلع معوج ، ومعلوم أن الضلع لا يمكن إقامته فتنتهى به الحال إلى الكسر ، فمن أجل هذا وصى الرسول صلى الله عليه وسلم بهن وأمر بحسن معاملتهن والتغاضى عن بعض الهفات التى تصدر منهن، وليس معنى هذا أن يهمن الأزواج فى تعليم النساء وتوجيههن ولكن المراد أن ألا تودى بهم محاولة الإصلاح

إلى الفرقة وتصدع الأسرة بالانهيار بن عليهم بالصبر في سياسة الأمور حتى تطمئن بهم الحياة

ويتبين لنا بتحلين جوانب الحديث أنه يعالج ثلاثة مطالب :

١- طبيعة المرأة   ٢- كيفية معاملة النساء

٣- الوصية بالنساء

١- طبيعة المرأة

يتضح طبيعة المرأة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن المرأة خلقت من ضلع الخ" والضلع بكسر الضاد وفتح اللام وقد تسكن ، ومعنى هذا :أن النساء خلقن من أصل معوج وليس في هذا ما يخالف قوله صلى الله عليه وسلم [1]..... " المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها وفيها عوج" حيث شبه في هذا الحديث المرأة بالضلع ولا خلاف بينهما بل إن ثمرة التشبيه أن المرأة عوجاء مثل الضلع لكون أصلها منه فقد روى عن ابن عباس : "إن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم " قال الله تعالى : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها"[2].

أما كيفية خلقها من ضلع آدم ، فقيل : قبل دخوله الجنة فدخلاها وقيل في الجنة :.

---

[1] - هذه رواية البخارى وفى صحيح مسلم فى رواية أخرى : "المرأة كالضلع إذا ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج.

[2] - سورة النساء آية (١).

قال القاضى : ومعنى هذا الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهها ، ونزع العرق لما جرى لها فى قصة الشجرة مع ابليس ، فزين لها كل الشجرة فأغواها فأخبرت آدم بالشجرة فأكل منها.

وقد ضبط بعض العلماء "العوج" وضبطه آخرون بالكسر ، قال النووى : ولعل الفتح أكثر وضبطه الحافظ أبو القاسم بن عساكر وآخرون بالكسر " وهو الأرجح" قال أهل اللغة العوج بالفتح فى كل منتصب كالحائط والعود وشبيهه وبالكسر ما كان فى بساطك أو أرض أو معاش أو دين ويقال : فلان فى دينه عوج بالكسر .

وقال أهل اللغة : العوج بالفتح فى كل شخص ، وبالكسر فيما ليس بمرئى كالرأى والكلام وقال : انفرد عنهم أبو عمر الشيبانى فقال كلاهما بالكسر ومصدرهما بالفتح.

وفى رواية أخرى لمسلم زيادة "وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً"

وهذا التعبير ، وهو أن أعوج شئ فى الضلع أعلاه هو مثل لأعلى المرأة ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم لأكثر أعضاء المرأة عوجاً وهو اللسان لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها ، الذى تتحدث به ، ويصدر منه الأذى.

أو أن هذا التعبير جاء به التأكيد المعنى ، لأن الإقامة أمرها أظهر فى الجهة العليا.

أو أنه إشارة إلى أن المرأة قد خلقت من أعوج أجزاء الضلع وذلك بيانه فى اثبات صفة الإعوجاج ولعل تأكيد العبارة جاء لمقتضى حال البعض ممكن شكوا من عوج النساء وأكثروا الشكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظناً منهم أنه يمكن استقامة النساء استقامة كاملة ، فأكد

العبارة يدفع ما هم عليه ، ولذا قال " لن تستقيم لك" وهذه الجملة مستأنفة لبيان طبيعة المرأة ، وكأن سائلا ما الذى يترتب على خلق المرأة من ضلع؟ فقال " لن تستقيم لك على طريقة".

أما استعمال صيغة أفعل فى العوج ، بقوله " أعوج" مع **** ، لأنه أفعل الصفة ، قال فى الفتح وأنه شاذ وإنما يمتنع عند الالتباس بالصفة فإذا تميز عنه بالقرينة جاز البناء أ.هـ.

٢ – كيفية معاملة النساء

ويتجه الحديث بعد ذلك إلى كيفية معاملة النساء وذلك بعد ما تبين من أن المرأة لن تستقيم للإنسان على طريقة ،وأخذ يفصل ويفرع على هذه القاعدة ليرسم الصورة المثلى فى المعاملة ، وهى كالنتيجة المترتبة على طبيعة المرأة فقال : فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها : طلاقها وللطلاق عاقبة أليمة ، ونتائج مرة يقع عبؤها الأولاد فيذوقون مرارة الحرمان ،ويتعرضون للإهمال ، ومن أجل ذلك دعا الإسلام إلى حسن معاملة النساء ، وأن تتسم معاشرتهم بالمعروف والصبر حتى تتم السعادة ويشرق الوفاق ، ولتأكيد المعاملة الحسنة ، وعناية الرسول بذلك روى أن آخر ما وصى به الرسول صلى الله عليه وسلم وما ملكت أيمانكم والنساء ، قال :

"الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون الله الله فى النساء فإنهن عوان فى ايديكم – يعنى أسراء – أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله"[١].

---

[١] – رواه النسائى وابن ماجه.

قال الغزالي رحمه الله : "واعلم أنه ليس حسن الخلق معها – أي المرأة – كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها الحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعته الكلام وتهجره الواحدة منهم يوما إلى الليل " أ. هـ.

٣- الوصية بالنساء

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسن معاملة النساء وأكد الوصية بهن فذكرها مرتين :

المرة الأولى : وضح فيها حكمة الوصية ، والسبب الداعي إلى ذلك وهو أن المرأة خلقت ن من ضلع ...الخ ، فإذا ما اتضح الأمر وجب على من يرغب في هدوء العشرة ، أن يأخذ في علاج االأمور دون تعنيف أو قسوة حتى لا يترتب على ذلك الطلاق , كما في قوله صلى الله عليه وسلم "إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج" لأنه غير قابل للتعديل الكامل ، ولكن على الزوج ألا يهمل في جانب ا لارلاشاد والتوجيه بقوله : فاستوصوا والفاء هنا النصيحة لأنه أفصحت عن شرط وتقدير الكلام : إذا عرفتم الأمر والداعي له فاستوصوا.

وفي قوله : استوصوا بالنساء خيراً ، توضيح وإشارة إلى التقويم والإصلاح برفق وحكمة بحيث لا يشتد الزوج مع زوجته ويبالغ في التقويم لدرجة يترتب عليها الطلاق ،وأيضاً لا يترك الإصلاح والارشاد حتى لا يستمر الاعوجاج قال الحافظ بن حجر : فيؤخذ منه أن لا يتركها على الإعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب ، وإنما المراد أن يتركها على إعوجاجها في الأمور المباحة أ. هـ.

م ٢٧٢٩

ما يؤخذ من الحديث

١- الندب إلى مداراة النساء وحسن معاشرتهن

٢- الصبر على العوج، وأن محاولة إصلاحهن وإقامة الأمر على كماله قد يؤدى إلى الفرقة.

٣- ضرب الأمثلة لتوضيح المعنى ، وأن على العالم والموجه ، أن يكشف عن وجه الحكمة فيما ينصح به.

٤- مداراة أصحاب الخلق السئ حتى لا يصاب الإنسان من شرورهم.

٥- أحسان الزوج إلى زوجته وملاطفتها ، واحتمال ضعف عقلها.

٦- كراهة الطلاق للمرأة بلا سبب وعدم الطمع فى استقامتها استقامة كاملة.

٧- قال الإمام النووى رحمه الله : وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم.

